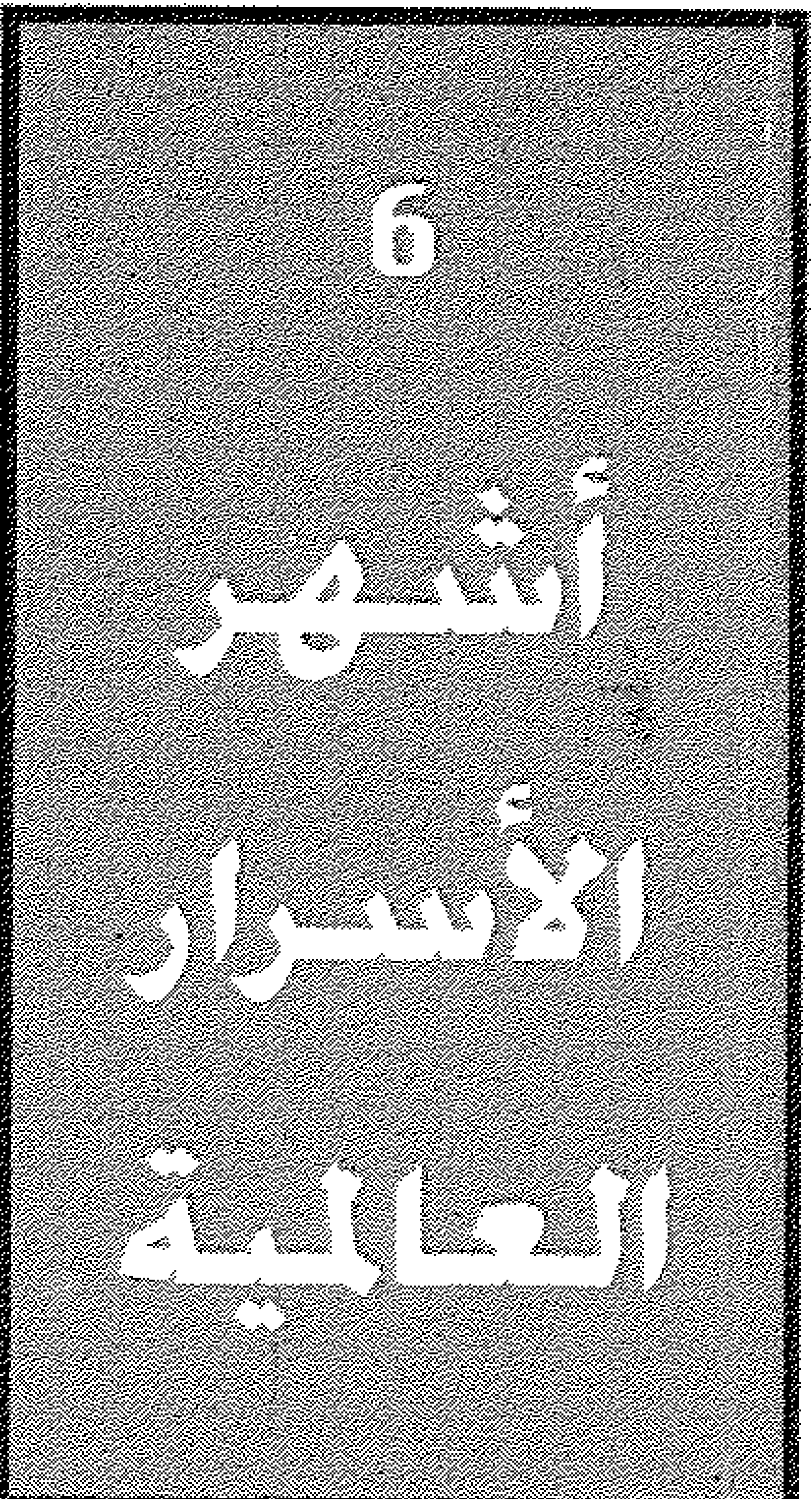


6

أشهر الأسرار العالمية



أشهر الجرائم الغامضة

جولي واغنر



اشهر الجرائم الغامضة

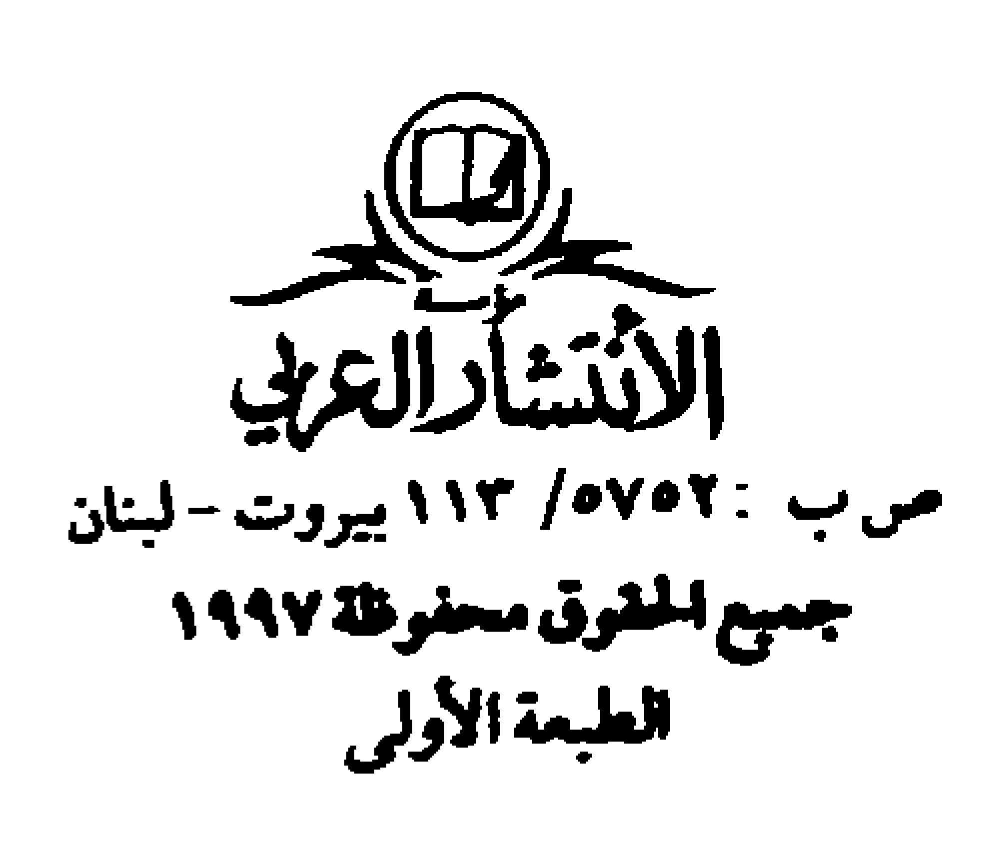
6

اشهر الاسرار العالمية

اشهر الجرائم الغامضة

جولي واغنر





ص ب : ٥٧٥٢/ ١١٣ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

المحتويات

١

أكبر جريمة غامضة

وصف مقتل السير إدموند باري غودفري ـ.في أكتوبر/تشرين الأول ١٦٧٨ ـ على أنه أكبر جريمة غامضة في التاريخ الانكليزي. وقد أثارت نتائجه موجة من الكراهية والعنف ضد الكاثوليك الرومان الإنكليز، وأدّت إلى أكثر من عشرين جريمة قضائية وإلى أكثر من مئة حالة سجن.

كان غودفري يعرف على أنه رجل شجاع وشريف جداً ولهذا تسبب مقتله بموجة عريضة من الامتعاض بيد البروتستانت البريطانيين والذين اقتنعوا، أو بالأحرى أقنعوا أنفسهم بأن مواطنيهم الكاثوليك يعملون لإحراقهم وشنقهم. والرجل الذي زرع في النفوس هذه الفكرة، ولا شك أنه كان مريضاً عقلياً هو كاهن يدعى تيتوس أوانس ويوصف على أنه من أسوأ الاشخاص الذين عرفهم التاريخ الانكليزي.

ولد أدمون باري غودفري في ٢٣ كانون أول/ديسمبر عام ١٦٢١ وكان إبناً لأحد سكان كنت البريطانية ويعيش من أملاكه الخاصة. درس ادموند في مدرسة وسمنستر وكرلي شيرس في

أكسفورد.. ولكنه منع من مزاولة المهنة بسبب تزايد صممه وصحته المعتلة.. وحل والده المشكلة وذلك باقراضه مبلغ ألف جنيه - وهي تساوي حوالي الأربعين ألف جنيه بحساب اليوم - فاشترى هو وصديق له يدعى هاريسون منشرة في داوغيت بالقرب من تيمس ستريت في مدينة لندن، وراحا يبيعان الأخشاب والفحم إلى أتباعهم اللندنيين. وكان الجو ملائماً لبيع المحروقات.. حيث كانت فصول الشتاء قارسة جداً وتؤدي كل سنة إلى تجمد نهر التيمس المعروف. كما أن شكوك الحرب الأهلية بين الرؤوس المستديرة والملكيين مكنتهما من فرض الأسعار المرتفعة جداً.

وفي العام ١٦٤٩، عندما أعدم الملك شارل، كان غودفري وهاريسون قد أصبحا رجلين غنيين لتوهما.. وأدى تحسن العمل إلى تحسن مقابل في صحة غودفري. وفي العام ١٦٥٩، وعندما اشترى غودفري منزلاً في غرين لينز، وهو طريق يربط بين ستراند والنهر، كان يعتبر تاجر الفحم الوحيد خارج مشارف المدينة وأصبح ينظر إليه كأحد المحتكرين لبيع هذا الصنف من الوقود. وفي العام ١٦٦٠ سار غودفري على خطى أبيه وأصبح قاضياً للسلام لومستمنستر وميدل سكس.

مارس عمله برصانة وشجاعة.. فأظهر قساوة تجاه اللصوص وقطاع الطرق ولكنه كان حليماً أكثر تجاه الفقراء والمعدمين والبؤساء الذين نشأوا هكذا منذ بدايتهم. وفي إحدى الحالات قرر تخصيص دعم شخص لعائلة فقيرة قدره عشرة جنيهات وذلك لعدة سنوات وحتى تمكنت العائلة من إعانة نفسها بنفشها.

وعندما تفشى مرض الطاعون في بريطانيا في العام ١٦٦٥، كان غودفري واحداً من الرجال الأغنياء الذين بقوا في لندن..

ولكن بقي هذا موضوع حب الغير ـ بل كان يعتقد في تلك الأيام أن الدخان يمكن أن يقي تماماً من الطاعون ويحمي من الأصابةِ به، ولهذا كانت تقام حرائق كثيرة وتبقى مشتعلة باستمرار في الشوارع ويتم تزويدها بفحم غودفري.. وكان هذا الأخير تولى حفر أكبر مجموعة من القبور الجماعية في إنكلترا ـ حيث كان يموت حوالي الألفي شخص أسبوعياً بالطاعون وأصبحت المدافن الشخصية شبه مستحيلة في البلاد. وكل ليلة كانت العربات تتجول في الشوارع ويصرخ سائقوها: «أحضروا موتاكم» ويتم تجميع الجثث ونقلها إلى المدافن العريضة.

وبدا غودفري نفسه غير خائف من الطاعون. فعندما سمع أن لص القبور لجأ إلى منزل مملوء بضحايا الطاعون وحيث خافت الشرطة من ملاحقته والدخول إلى المنزل.. قرر هو القيام بالمهمة فحمل سيفه وهاجم المنزل ثم خرج ممسكاً باللص من رقبته. وفيما بعد إلتقاه الرجل نفسه في الشارع وارتمى فوقه.. ولكن غودفري أمسك به وصوب سيفه نحو صدره وأبقاه محاصراً حتى وصول رجال الشرطة الذين قادوه إلى المركز.

وعندما عُلم أن القطط والكلاب تساعد على إنتشار الطاعون، تمت إبادة الآلاف من هذه الحيوانات.. ولكن لم يدرك أحد أن السبب الرئيسي لانتشار المرض كانت الجرذان هي التي تنقل جرثومة الطاعون فتتكاثر في آلاف أخرى بين القمامة المكدسة في شوارع لندن. ولحسن الحظ كان شتاء ذلك العام قارساً جداً وبدأ الطاعون يفقد من شدته.. وانتهى أخيراً من خلال حريق لندن الكبير الذي بدأ في أيلول/سبتمبر ١٦٦٦ وأحرق نصف المدينة خلال أربعة أيام فقط. وهنا مرة ثانية، اعتمد غودفري شجاعته

وصناعته، ومباشرة بعد نهاية الحريق، عيّن الملك شارل الثاني فارساً.

وبعد ثلاث سنوات، كشف غودفري عن شجاعته في صراع مع الملك.. إذ أن الكسندر فريزر ـ وهو واحد من أطباء الملك ـ كان مديناً لغودفري بثلاثين جنيهاً ثمناً لحطب وقود ـ أي ما يعادل الألف جنيه بحساب اليوم ـ ويبدو أنه لم يكن ينوي أن يسدد ما هو مدين به. وكعضو في منزل الملك لم يكن بالإمكان سوقه إلى المحكمة ومحاكمته. ولكن غودفري حصل على مذكرة من الشريف وألقى القبض على فريزر بالتحايل والخداع. وغضب الملك إلى حد أنه أمر بجلد أفراد الشرطة الذين ساعدوا على اعتقال فريزر.. ولكن غودفري تجاهل أمر الملك بالغاء المذكرة.. فتم سجنه في منزل الحارس في هوايتهول.. حيث قرر الإضراب عن الطعام لمدة ستة أيام وتراجع الملك وتم الإفراج عن فريزر وعن غودفري.. ولم يعرف أبداً إذا ما كان غودفري قد استوفى دينه من فريزر وقبض الثلاثين جنيهاً.

وفي أواخر الأربعين من العمر كان غودفري قد أصبح واحداً من أبرز الشخصيات المحبوبة والمحترمة في لندن. ولكن ما هو التحول الغريب الذي طرأ على حياته ليصبح ضحية قتلة غير معروفين بعد أقل من عشر سنوات فيما بعد.

كان غودفري عصبياً جداً قبل أسابيع قليلة من اختفائه وكان واضحاً أنه يتوقع أن يُقتل. وقال ذات يوم لإحدى معارفه النسائية: «ألم تسمعي بعد أنني سأشنق؟»

وعلى افتراض أن غودفري كان «يعلم» أنه سيقتل فلماذا تراه لم يترك أي دليل بعده يؤدي بسوق القتلة إلى العدالة؟ وعلى العكس

من ذلك، وصبحية يوم اختفائه قام باحراق جميع الأوراق التي ربما كانت ستشير إلى من قتله ولماذا؟

فصباح يوم السبت الواقع في ١٢ تشرين أول/أكتوبر نهض غودفري باكراً وارتدى ثيابه واحتذى ثلاثة أزواج من الجوارب الصوفية نظراً لموجة الصقيع التي كانت تعيشها لندن يوم ذاك. وعندما دخلت عليه خادمته تحمل طعام الفطور، وجدته يتكلم إلى رجل لم تعرفه ولكنها تعرف أنه بقي بصحبته لفترة طويلة.. وعند الساعة الثامنة غادر منزله القريب من ثارينغ غروس ومشى حتى شارع مارتنزلين. إثنان من معارفه مرّا به فحيّياه ولاحظا أنه متجهم ومكتئب. وفي تلك الأيام كانت هناك حقول في شمال أوكسفورد ستريت، وبعد ساعتين كان غودفري قد شوهد على مقربة من قرية بادنغتون الصغيرة. ثم بعد حوالي ساعة شوهد يسير في الحقول الموحلة باتجاه لندن. وكان ذلك حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً.

وفي تلك الساعة نفسها تقريباً اتصل به أحد معارفه ريتشارد أدامز في منزله وقال له الخدم إنهم يتخوفون من أن يكون حدث شيء ما للسير أدموند.

وكان السير ادموند قرر تلك الليلة أن يتناول طعام العشاء مع صديق يدعى واينل وفي منزل ليس ببعيد عن منزله. وعندما لم يحضر غودفري إلى الموعد عند الظهر (وكان هذا هو وقت العشاء في القرن السابع عشر)، ذهب واينل إلى منزل غودفري، فوجد الخدم قلقين ومرتاعين.. وقال له واحد منهم: «آه يا مستر واينل.. فأنت لن تراه أبداً بعد اليوم.»

وسأل واينل لماذا؟ فقالوا له إن البابويين كانوا يراقبونه منذ فترة طويلة.. وإنهم أكيدون الآن من أنهم حصلوا عليه أخيراً.

جهد واينل للحصول على معلومات إضافية.. ولكن جهوده باءت بالفشل.

وبدا أن شقيقي غودفري، وهما تاجران في المدينة، كانا تلقيا لتوهما رسائل تخبرهما بأن السير أدموند قد قتل على يد البابويين.. فاسرعا إلى منزله ووجدا أنه قد غادره قبل ساعتين من وصوله.

وعند الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم، سرت في كل لندن شائعات تقول بأن البابويين قد قتلوا السير أدموند غودفري. وفي ذلك المساء فشل في العودة إلى المنزل.. وفي اليوم التالي ذهب كاتبه إلى هاو سميث حيث كان غودفري يمتلك مطعماً صغيراً يعرف باسم «الأوزة» في كينغ ستريت.. ولكن لا يذكر أحد أنه شاهده هناك.

تم العثور على جثة أدموند غودفري بعد ستة أيام من اختفائه.. فعند الساعة الثانية بعد الظهر، وعندما كان رجلان يسيران في حقول بريمروز هيل ـ هكذا كانت تدعى لأنها كانت مغطاة دائماً بالورد. وهما كانا في طريقهما إلى حانة هوايت هاوس حيث هي الآن شولك فارم. وعندما مرّا بتل صغير شاهدا عصا وحزاماً وزوجاً من القفازات مرمية فوق مقعد أخضر.. وقرّرا أنها ربما كانت لرجل يتنزه هناك فتركها مكانه وذهب لقضاء حاجة في الهشيم القريب وأكملا طريقهما. وفي الحانة أخبرا بما شاهدا.. ولكن صاحب الحانة عرض عليهما شلناً واحداً لكل منهما إذا قاداه إلى المكان الذي تحدثا عنه ـ وربما كان يأمل بربح ما إذا هو حصل على الأشياء وباعها..وهناك وجدوا الأشياء لا زالت في مكانها.. ولكن عندما انحنى صاحب الحانة لحمل الأشياء طالعه رجل ميت في حفرة أمامه.. وبين كتفيه إستقر سيف حاد.

اخطر الرجال الثلاثة مركزاً قريباً للشرطة التي أرسلت أثني عشر جندياً إلى المكان ليعودوا بالجثة. كان المكان محاطاً بالهشيم والأشجار ولهذا لم ير أحد الجثة مبكراً. وكشفت ملابسه على أنه كان فعلاً من الأشراف.. حيث تم العثور على قبعته بعيدة عن جثة مسافة أقدام قليلة فقط. وعندما كان بعض الرجال يرفعون الجثة من الحفرة قال أحدهم معلقاً: «أحمدوا الله على أنه ليس السير أدموند غودفري المفقود منذ فترة.». والرجل الذي علّق كان العريف في الشرطة براون، لاحظ أنه بالرغم من السيف الذي غرز في الجسد تماماً.. لم يكن هناك دم كثير. وقد لاحظ أيضاً واقعاً غريباً وهو أنه رغم أن الحقول كانت موحلة ـ ولفترة طويلة ـ فإن حذاء الجثة كان نظيفاً.. ولا بد أنه لم يسر وسط الحقول.

وبينما كانت االشرطة تنقل الجثة إلى الحانة لاحظ بعضهم أن إرتخاء الرقبة دليل قاطع على أنها مكسورة.. وعندما ألقوا الجثة فوق الطاولة شاهدوا كدمات سوداء فوق الرقبة وتأكد لهم أن الرجل ضرب بشدة وقبل أن يموت.. وربما انهال القاتل (أو القتلة) عليه رفساً وهو ممدد أرضاً. ولم يشك العريف براون وهو كان يعرف غودفري.. أن الجثة الماثلة أمامه هي للقاضي أدموند غودفري نفسه . وفي صباح اليوم التالي، وعندما تمّ فحص الجثة بشكل أدق، لاحظ الطبيب وجود بقع من الشمع الأصفر على أكمام القتيل ولكن أكثرية الناس لم يكونوا يستعملون ذلك النوع من الشمع نظراً لغلاء أسعاره، إنما يكتفون باستعمال قناديل الزيت.. وحتى خدم غودفري لم يكونوا يستعملون الشمع الأصفر في منزله.. وقال أحد الكتبة وهو يشاهد الجثة أن الكهنة وحدهم يستعملون الشموع.. كهنة من جديد.. وبدا وكأن البابويين كانوا هم المسؤولين.

وتم فيما بعد إجراء فحص آخر على الجثة.. وكشف الفحص على أن معدة القتيل كانت خاوية نسبياً.. وبما أن غودفري كان تناول إفطاره قبل أن يغادر منزله بقليل، فإن هذا أدّى إلى اعتماد الأقاويل التي ترددت ومفادها أن غودفري أُسر وترك بدون طعام لعدة أيام قبل قتله. وبالفعل فالمعدة تحتاج إلى ساعتين أو ثلاث لتهضم طعامها، وأن غودفري سار مسافات طويلة في ذلك الصباح.

ومن خلال فحص آخر للجثة اتضح أن سبب الموت يعود إلى عملية خنق قوية أدّت إلى كسر الرقبة. وأن السيف الذي غرز في الجسد.. كان سيف غودفري نفسه. وواقع قلة النزيف تعود إلى أن السيف أدّى إلى إقفال الجروح في الأمام وفي الخلف.

وفي جميع الأحوال اتضح أن غودفري لقي ميتة بشعة وعنيفة ومقرفة على وجه التخصيص. والحل الظاهر للغز موته أنه اقتيد بواسطة مجموعة إلى هذا المكان بغرض السرقة ثم القتل.. ولكن جيوبه وجدت مملوءة بكميات كبيرة من المال.. وأكثر مما يمكن لرجل أن يحمله.. فكان المقصود من كل هذا هو أن من قتله أراد أن يدلل بكل وضوح على أن سبب القتل لم يكن السرقة.

وخلال ثلاثة قرون منذ الجريمة أنتج كثيرون من المؤرخين مجموعة نظريات حول من قتل القاضي غودفري. المتهمان الأبرزان كانا الرجلين اللذين وجداه في الأساس ـ ويدعيان بروموبل ووالترز ـ واتضح أنهما كاثوليكيان.. وسجنا بعد التحقيق فترة قصيرة كمتهمين. وعندما كانا في السجن كانت هناك محاولة لإجبارهما على الإعتراف بأن كاثوليك من أصحاب النفوذ متورطون في الجريمة.. ولكنهما رفضا وتمسكا باقوالهما الأولى.. وأطلق سراحهما فيما بعد وبدا واضحاً أيضاً إذا كانا هما قتلا غودفري

فعلاً فلماذا انتظرا ستة أيام كي «يجدا» جثته؟ ولم يكن لديهما أي سبب للإنتظار طول هذه المدة.

وبعد سنوات قليلة من وقوع الجريمة، قال السير روجر ليترابخ في كتابه: «التاريخ الموجز لصحيفة التايمز» إن السير إدموند غودفري ربما كان قد أقدم على الانتحار.. وخاصة عندما عرف عنه أنه كان متجهماً وكئيباً قبل أسابيع من اختفائه. واقترح آخر فيما بعد أن غودفري ربما أقدم على شنق نفسه وأن تيتوس أواتس هو الذي وجد الجثة أو أحد مساعديه.. فغرز السيف فيها لإيهام الناس بأن غودفري قتل بسيفه وأن ما حدث جريمة.. وبالتالي تزداد النقمة ضد الكاثوليك.. حتى إن أحد الكتاب اقترح أن غودفري كان رجلاً مريضاً ومات ميتة طبيعية عندما كان في مؤتمر مع الملك وأخيه دوق يورك، وأن (القتل) كان محاولة من الملك لتفادي الإحراج. وهذا لم يكن ليصدق على اعتبار أن الدوق كان كاثوليكياً.. وكان الملك بالفعل كاثوليكياً هو الآخر.. ولكن في السر، وكان باري غودفري بروتستنتياً ملتزماً وعرف أنه لم يبد ذات يوم يذكر أي شعور معاد للكاثوليكية.. ولم يكن ولو لساعة واحدة من حزب الملك. وأخيراً عاد الروائي جون ديكنز كار في قصة خيالية إعادة بناء الحالة أن أخوي غودفري تورطا في الجريمة طالما أنهما كانا أول من عرفا بها. ولكنهما قالا إن هناك من جاء وأخبرهما في الصباح أن أخاهما لم يظهر.. وإذا كانا فعلاً متورطين في عملية اختفائه، فلماذا تراهما سارعا رأساً إلى المنزل وأعلنا بأنهما سمعا أنه قد قتل؟ وبالفعل إذا نظرنا عن كثب إلى اختفاء غودفري ـ وحتى في الأقوال التي قدمناها أعلاه ـ تبرز أمامنا بعض الحقائق وبكل وضوح.. ودعونا نتخيل أن هذه الوقائع وضعت أمام شرلوك هولمز.

الشيء الأول الذي سيلاحظه شرلوك هولمز هو أن غودفري كان يعتقد أنه سيقتل وقبل وقت طويل من حدوث القتل فعلاً. وهذا يفترض أنه عرف هوية القاتل والقتلة. وهذا يعني أنه إذا كانت مؤامرة وراء موته، فإن غودفري كان نفسه متورطاً فيها بطريقة ما. فالمتآمرون كانوا من أصدقائه أو من معارفه على الأقل.. وكان لغودفري أسبابه الخاصة لعدم رغبته في خيانتهم.

وفي اليوم السابق لاختفائه اتصل مراسل بمنزل غودفري. كان يحمل إليه رسالة مربوطة بشريط. أخذ الخادم الرسالة مباشرة إلى غودفري.. وبعد أن قرأها الأخير أخبره خادمه أن المراسل ينتظر جوابه. كان غودفري مرتبكاً.. وقال لخادمه: «أرجوك. إذهب واخبره بأنني لا أعرف ماذا أصنع بها.»

وفي وقت متأخر من تلك الأمسية، وبعد اجتماع لمجلس الكنيسة، أدرك غودفري أن رجلاً يدعى براد باري عوقب خطأ بدفع جنيهين. وعندما عاد غودفري إلى منزله استدعى براد باري وأعاد إليه الجنيهين. وعندما علّق أحد الأصدقاء على ذلك، قال غودفري: «قررت أن أسوي كل أعمالي هذه الليلة.». وكل ذلك يؤكد على أن غودفري كان يشعر بلهاث الموت فوق رقبته.

والواقع هو أن غودفري ضُرب ـ وربما رفست اضلاعه عندما كان ممدداً أرضاً ـ ثم خُنق بقوة وعنف مما أدّى إلى كسر رقبته وبعدها غرز سيفه فيه ـ فهذا كله يعني أن هناك مجموعة من المتآمرين كانوا يكنون له العداء والكراهية.. وهذا يعني أيضاً أنهم ما فعلوا ذلك إلا لاعتقادهم بأن غودفري قد خانهم بطريقة ما.

فمن كان هؤلاء المتآمرون؟

والجواب الواضح الذي ينم عن نفسه هو أنهم كانوا على علاقة

ما مع تيتوس أواتس ومتآمريه البابويين. مقتل غودفري كان يقصد به إثارة شعور الكاثوليك ولتبرير ملاحقتهم.. وعلى اعتبار ما فعل هتلر مع اليهود في القرن العشرين.. وكان تيتوس بالفعل كما كان هيملر في الحالة الأخيرة.

ولهذا دعونا نفترض، وببساطة كنظرية يمكن تصديقها أن أواتس وعصابته من المتآمرين ضد الكاثوليك كانوا وراء الجريمة. ودعونا نفترض أيضاً أنهم احتاروا بدون مراجعة أحد القاضي غودفري لأنه كان معروفاً كرجل شريف ومحترماً ومقدراً من الجميع.. أليس من الممكن أن غودفري قتل فقط لأن موته سيثير موجة عارمة من الحقد والضغينة؟

وهناك اعتراض واضح على هذا الافتراض. فقد عرف غودفري مسبقاً أنه سيقتل. ولو توقع أنه سيقتل فقط لإثارة الشعور ضد الكاثوليك، فلماذا تراه لم يخبر الناس ويتأكد من أن وراء العملية كلها أواتس؟

واعتقد أنه حان الوقت للتعرف أكثر على شخصية أواتس وتاريخ المؤامرة البابوية.

ولد أواتس في العام ١٦٤٩ في أواكهام في روتلاند.. وكان طفلاً شقياً.. فاطلق عليه والده اسم «الطائش الأبله» وعرفه رفاقه في المدرسة بصاحب «اللسان القذر». كان قبيحاً واعتاد دائماً إيذاء الآخرين فأصبح مكروهاً من الجميع. إضافة إلى ذلك، كان شاذاً جنسياً وفي الوقت الذي كان فيه الشذوذ الجنسي جريمة كبيرة. وعندما كبر أواتس وأصبح فتى تأكد أنه لن يتمكن من فرض احترامه على الآخرين ما لم يقم بأعمال تسترعي انتباههم.. وإرضاءهم ما لم يعرض حياته للخطر.

وبعد أن أمضى سنة في مدرسة ميرشنت تايلور في لندن، طرد لأسباب غير معروفة. وعندما بلغ الثامنة عشرة أمضى فصلين دراسيين فقط في كلية كايوس في جامعة كامبريدج.. وطرد أيضاً ولكن ربما لتزايد سوء سلوكه وميله الدائم إلى المشاغبة.. وكان ذلك في العام ١٦٦٨. حاول أن يلحق نفسه بكلية سانت جون في السنة التالية ولكنه رفض بسبب عملية غش ارتكبها مع خياط فقير.

وبطريقة ما عمل على أن يرسم كاهناً بعد حصوله على موافقة الكاثوليك في نورويتش. وهناك أدّعى فيما بعد أنه سمع الكاثوليك يقفون ضد البروتستانت.

كانت إنكلترا قد تحولت إلى البروتستانتية منذ أن قام هنري الثامن بقطع كل علاقاته مع روما في العام ١٥٣٣. وقد أدّت محاولة «بلادي ماري» لاعادة الكاثوليكية من خلال إحراق المئات من «المهرطقين» أدّت إلى إعطاء الإنكليز سبباً رئيسياً ليكرهوا روما.. وساعد كتاب فوكس «كتاب الشهداء» ساعد على إبقاء هذه الذكرى حية في النفوس. وبالفعل، لم يكن الانكليز شعباً متديناً في الواقع. ويقول المؤرخ كورنر ريد إنهم قبلوا وفي مدة لا تزيد على الثلاثين سنة التغيير خمس مرات في ديانتهمَ ودون أن يبدوا أي اهتمام يذكر في كل مرة. ولهذا كانت ردّة فعلهم عنيفة ضد المتطرفين الدينيين كماري. ولم يكن شارل الأول كاثوليكياً آنذاك، ولكنه كان متعاطفاً معهم.. وكان اعتقاده بالله يقوم على قناعة تكونت لديه وهي أن الله عيّنه ليحكم إنكلترا.. وهذا ما لم يوافقه برلمانه عليه وكانت النتيجة أنه قتل فيما بعد.

وفي عهد شارل الثاني، لم تكن لدى الشعب البريطاني أي

كراهية خاصة للكاثوليك.. ولكنهم كانوا مصرّين على أن لا يفرض عليهم ذلك بالقوة. وكانت هناك شكوك حول أن شارل كان كاثوليكياً، بالسر، وأن ارتداد أخيه جيمس كان معلوماً قبل عشر سنوات من مقتل السير أدموند باري غودفري. وجهات نظره حول مزايا الملكية كانت قوية وغير واقعية بقدر ما كانت وجهات نظر أبيه ـ والتي شرحها عندما أصبح ملكاً.. ولم يدم ملكه أكثر من ثلاث سنوات. ولكن شارل كان أكثر مرونة وألين عريكة، ولهذا نجح في البقاء على عرش انكلترا ٢٥ سنة.

ومع ذلك كانت هناك محاولات للإطاحة به. ففي العام ١٦٦١ أغرق متعصب يدعى توماس فينر لندن في الفوضى لثلاثة أيام بينما قام أتباعه بمحاولات اعتداء كثيرة.. ولكنه قهر أخيراً على يد الجيش وتم إعدامه مع إثني عشر من معاونيه.

وفي السنة التالية، خطط رجل يدعى توماس تونغ أن يقتل الملك في كمين يعدّه له. وتم اكتشاف المخطط واعدم توماس. وفي العام ١٦٦٣ كانت مؤامرة يوركشاير بقيادة الكولونيل توماس بلاد (والذي اشتهر فيما بعد لمحاولته سرقة مجوهرات العرش) وضابط آخر يدعى أواتس (ولا علاقة مع تيتوس أواتس). واهتدى إليه عملاء الحكومة وتم إعدامه مع عشرين متآمراً أخرين. وفي العام ١٦٦٦، تآمر الكولونيل جون راتبون على قتل الملك.. فاشعل النار في لندن وحوّل انكلترا إلى جمهورية.. وهو أيضاً انتهى على حبل المشنقة.

في العام ١٦٧٠، دخل شارل في معاهدة سرية مع ملك الشمس، لويس الرابع عشر، ملك فرنسا. وبالمقابل تلقى ١٥٠ ألف جنيه من الملك لويس. وأول خطوة للإيفاء بما تعهد كانت السماح

للكاثوليك في الصلاة في منازل خاصة دون أن يتعرضوا لخطر إلقاء القبض عليهم. ولكن كان لا يزال هناك العديد من أتباع أوليفر كرومويل الذين اعتبروا هذا محاولة أخرى لفرض الكاثوليكية في بريطانيا بالقوة. وأثارت إتفاقية شارل مع لويس الرابع عشر معارضة قوية اضطرته إلى سحبها.

ولعل أبرز المناهضين للكاثوليكية في انكلترا يومها كان ايرل شافتسبوري الذي كانت له مواقف متقلبة في الحرب الأهلية وقاتل من أجل كروموبل. ولكنه عارض الأخير في البرلمان وكان واحداً من أولئك الذين لعبوا دوراً بارزاً في إعادة شارل إلى انكلترا بعد وفاة كروموبل. وقد غضب شافتسبوري واستاء جداً واعتبر معاهدة شارل مع لويس الرابع عشر إهانة ولهذا ساند عريضة وقعت ضد الكاثوليك.. والتي كانت تجبرهم على القدوم إلى العراء للتعريف مقدماً بديانتهم. (وهذا ما أجبر شقيق شارل على إقالة عدد من الضباط كان يحتجزهم.. ومنهم شافتسبوري الذي عين نفسه زعيماً للمعارضة وأصبح بالفعل أول زعيم حزب سياسي في التاريخ الأنكليزي. وكان الهدف السري لأغلبية المعارضة هو التخلص من الملك وإقامة الجمهورية.

وأصبح شافتسبوري صديقاً لجميع البروتستانت المتطرفين في البرلمان. وأقنع الكثيرين منهم بالانضمام إلى مجموعة كان يطلق عليها اسم «نادي العصبة الخضراء» والتي التقت في فليت ستريت لأول مرة وهناك كانت تعقد إجتماعاتها الدورية. كان يرأس المجموعة شخص يدعى السير روبرت بايتون، وفي تشرين أول/ أكتوبر من عام ١٦٧٧، تآمر بايتون وعصابته على مهاجمة برج لندن وقتل الملك ودوق يورك وتنصيب ريتشارد كروموبل، ابن أوليفر كروموبل، كحاكم على انكلترا. ولكن شبكة التجسس

الخاصة بالملك كانت أقوى منهم وكشفت سرهم.. وعندما عرفوا أن أمرهم افتضح أمام الملك، تخلوا عن عمليتهم بسرعة. ولما كان أكثرية أفراد العصابة من ذوي النفوذ.. فهم لم يستدعوا على الإطلاق للاستجواب والحديث عن حقيقة ما كانوا يدبرونه للإطاحة بالملك.

وخلال هذه السنوات أدخل تيتوس أواتس نفسه في مشاكل كثيرة فاصبح سكيراً ولصاً من الدرجة الأولى. وعندما أبعده أسقف كانتربري عن الكهنوتية قرر أن يتولى عمل أبيه، الكاهن أيضاً، في قريته.. ثم اتهم مدرساً محلياً بالإعتداء على طفل في باحة الكنيسة.. كما أتهم المدرس أيضاً بإلقاء خطب غير مسؤولة.. وعندما اتضحت حقيقة هاتين التهمتين، طرد أواتس من الكهنوتية نهائياً ولم يجد أمامه من مخرج سوى الفرار.

وذهب إلى البحر كعامل على أحد سفن البحرية الملكية التي لم تجد فيه الحماس الكافي للخدمة.. وتراكمت تصرفاته المشينة التي كادت أن توصله إلى الإعدام.. وطرد من البحرية.

وفي لندن إلتقى عام ١٦٧٧ مناهضاً أخر للكاثوليك يدعى الدكتور إسرائيل تونغ والذي كان فقد عمله في أكسفورد مع عودة الملك شارل. وكان تونغ، وبمساعدة المناهضين للكاثوليك قد أصبح كاهناً لمنطقة سانت ماري في مدينة لندن. ولكن كنيسته دمرت في الحريق الكبير، وفي بؤسه أصبح تونغ مقتنعاً بأن الحريق الكبير بدأه الكاثوليك كخطوة أولى نحو إعادة إرتداد انكلترا. وأصبح من أشد أعداء الكاثوليك ويبث سمومه في أذن كل من يريد أن يسمع. وكان أواتس ليس فقط على استعداد للإستماع بل للمساهمة بكل ما لديه من خبث ومكر وخداع.



تيتوس أواتس

وبكل بساطة كان أواتس يريد السلطة. وشعر أنّ العمر يسمح له بذلك وأن أية وسائل كانت مسموحة كي يقنع الشعب بأن يوليه ثقته.

وبدا أن ترحيب تونغ بقبول كل المتاعب ضد الكاثوليك الهمت أواتس مع المؤامرة البابوية. وهو أخبر تونغ أن لديه دليلاً بأن الكاثوليك في كل أنحاء انكلترا يعدّون للتمرد وقتل الملك ثم ذبح البروتستانت. وكان كل ذلك بإيحاء من البابا الذي أمر اليسوعيين بقتل الملك شارل واستبداله بأخيه جيمس. وفي ١٢ أغسطس/آب ١٦٧٨ ـ قبل شهرين من مقتل غودفري ـ اتصل متعصب آخر ضد الكاثوليك ويدعى كريستوفر كيريكبي، ويعمل تاجراً في لندن، اتصل بتونغ في منزله في باربيكان وأخبره بالسر المرعب.. وأراه تونغ حزمة ضخمة من الأوراق التي، كما ادعى، تبرهن على وجود الجريمة. وفي الحال، كما يقول تونغ، هبط لويس الرابع عشر في ايرلندا، وكان طبيب شارل في طريقه لتسميم الملك.

كان كيريكبي رجل حركة وعمل. وأعلن أنه سيتم إعلام الملك على الفور. وهكذا كتب رسالة وانتظر خارج قصر هوايتهول إلى أن جاء الملك مع مجموعة من مرافقيه، ثم اندفع نحوه ودس الرسالة في يده. فتح الملك الرسالة وقرأها.. وبدا أنه تأثر بها. وطلب إلى كيريكبي أن ينتظره في القصر وسأله فيما بعد أن يتحدث بالتفصيل عن المؤامرة.

وفيما بعد التقى كيريكبي وتونغ، وقام هذا الأخير بتسليمه نسخة من تفاصيل المؤامرة مكتوبة بخط أواتس. ووفقا لأقوال أواتس فإن الملك كان سيقتل من قبل رجلين كاثوليكيين يدعيان بيكرينغ وغروف.. وأنهما قاما بمحاولات عدة لقتله طوال ثمان سنوات ولكنهما لم يتمكنا من الاقتراب منه كفاية.. وأنهما الآن في طريقهما إلى محاولة جديدة بعد أن اتفقا مع أربعة ايرلنديين.

كان الملك يعرف تماماً كذب أقوال محدثيه وأنهما من

المتعصبين.. ولكن كل هذا لا يمنع من التوقف عند الموضوع والتحقيق فيه.. وقرر وضع التحقيق في يد أمين صندوقه ايرل دانبي.

وقال تونغ إن صديقاً له على اتصال بالقتلة.. وإنه سيقنعهم بأخذ المدرب إلى ويندسور، وأن رجال الملك سيكونون هناك لإلقاء القبض عليهم. ولكن عندماوصلت عربة المدرب كان فيها لويد وشرح أن حادثاً ما منع القتلة من ركوب العربة. وبعد أيام قليلة ومع أن محاولة أخرى فشلت لإلقاء القبض على القتلة ـ قال تونغ إن أحد خيولهم سقط وجرح كتفه. وفي هذا الوقت كان دانبي مقتنعاً بأن الأمر مجرد كذبة.. وتكونت لدى الملك نفسه قناعة بأن تونغ وكيركبي ليسا سوى منافقين.

أصبح أواتس الآن في حالة يأس.. وقام بتزوير خطابات على أنها كتبت إلى معترف جيمس، الأب اليسوعي بدينفيلد. ويقول تونغ إن الرسائل كانت مملوءة بالخيانة التي تبرهن على وجود المؤامرة. وهو أدرك أن شخصاً ما يحاول «تأخيره». وحمل الرسائل مباشرة، والذي حملها بدوره إلى الملك.

وبما أن أواتس كان على هذه الدرجة المتقدمة من اليأس والحيرة خاصة وأن المؤامرة البابوية بدت آيلة إلى السقوط. وإذا كان سيتجنب أن يصبح هو الهدف، فلا بد له من التفكير بشيء جديد.

وعند هذه الدرجة، ولما كانت المؤامرة في طريقها إلى الإنهيار بسبب عدم الدعم، فإن جيمس يكون قد جاء فعلاً لانقاذها. ومع أنه كان أقل ذكاء من أخيه إلا أنه فشل في أن يدرك أن أفضل

شيء يمكن أن يعمله هو تجاهلها. ولكنه ضغط على ضرورة تحقيق كامل.

وقرر المحقق دانبي أن الخطوة القادمة هي إحضار أواتس ليجيب عن كل التهم الموجهة إليه. وقال أحد قضاة لندن إنه لا دخل له في الموضوع.. ولكن القاضي غودفري وافق أن يستجوب أواتس. وهكذا، وفي آخر شهر أيلول/سبتمبر وصل تونغ وأواتس إلى منزل القاضي غودفري وعرضا عليه الأوراق.. وهناك جعل غودفري أواتس يقسم اليمين وقام الأول بالتوقيع.

وبالفعل فقد تمّ استخدام القاضي غودفري المحترم للتأكد على أكاذيب واختلاقات أواتس.

وتطورت الأحداث بشكل هادىء.. وفي ذلك اليوم تم استدعاء تونغ وكيريكبي إلى المجلس في هوايتهول لحضور إجتماع خاص. وجلس الملك إلى رأس الطاولة.. والرجال الذين أحاطوا به كانوا أمراء ودوقات وايرلات. تكلم وزير الخارجية السير جوزيف ويليمسول وأخبر المجلس أنهم موجودون الآن للنظر في معلومات تفيد أن هناك مؤامرة يسوعية ضد حياة جلالته. وأثار الخبر الدهشة والإستغراب. ثم تحدث الملك شارل وقال كيف أنه التقى أولاً تونغ وكيركبي.. وأخبرهم أيضاً عن الخطابات المزورة إلى بيدينفيلد.

بدا شارل منزعجاً كلياً من الموضوع ككل.. ولكن الحضور كانوا يستمعون للمرة الأولى لأخبار المؤامرة.. ولهذا أصاخوا السمع للملك. وتم الإستماع سراً إلى تونغ وكيركبي وحاولا أن تكون إجاباتهما مقنعة.

وأخيراً تمّ استدعاء تيتوس أواتس بنفسه. ولا يعرف أحد ماذا فكر المجلس عند رأي هذا البائس وقد ظهر متورد الوجه ومنتفخ

العينين.. ولكنهم دهشوا عندما سأل أواتس إذا ما كان يمكنه البدء بقسم اليمين.. وبعد ذلك بدأ يعرض تفاصيل المؤامرة البابوية، والتي كان المجلس قد بدأ لتوه يقرأ عنها. وعندما عرضت عليه الرسائل المزورة، ادعى أنه عرف فحواها الصعب وأنها لا بد أن تَكون كتبت من قبل عدد من المتآمرين اليسوعيين. وبرهن أواتس على أنه شاهد عيان مؤثر، ويتمتع بقوة الإقناع. وقبل أن ينتهي المساء كان المجلس قد أصدر مذكرات توقيف بحق عدد من المتآمرين بمن فيهم غروف وبيكرينغ وعدد من اليسوعيين. وعندما غادر أواتس القاعة، مشى مرفوع الرأس وأصبح يعتبر نفسه أن له مكانة في مجتمعه ولم يعد بالشخصية النكرة وتحول إلى رجل يمكنه الآن أن ينتقم من أعدائه. وفي تلك الليلة قام هو وأعداؤه بسحب عدد من اليسوعيين من فراشهم وساقوهم إلى سجن نيوغيت.

وكان الملك شارل هو الشخص الوحيد الذي لم يقتنع صراحة.وقد فعل كل ما بوسعه ليبرهن على أن أواتس كان كاذباً. وعندما قال الأخير إنه التقى النمساوي دون جون.. سأله الملك كيف يبدو هذا الأخير. وأجاب أواتس: رجل طويل القامة ورد الملك قائلاً: لا. إنه قصير القامة.. ولم يكترث أواتس وأجاب أنه قيل له أن الرجل كان يدعى دون جون.. وأن هذا كل ما عرفه عنه.

وفي الليلة الثانية ذهب أواتس ورجاله وفي حوزتهم عشرون أمر توقيف وسحبوا فريقاً من اليسوعيين إلى السجن.

وفي هذه الأثناء كان الوقت قد توفر للسير ادموند باري غودفري ليقرأ الصحف بروية واقتنع تماماً أن أواتس كذاب..ووجد القاضي نفسه في حالة من الشك والإرتباك. هو نفسه كان

بروتستانياً.. وإذا كشف المؤامرة البابوية فإن ذلك قد يسر جيمس وأتباعه الكاثوليك.. ولكن، في نفس الوقت، قد ينظر إليه أتباعه البروتستانت كخائن.

ولهذا، وقبل أسبوعين من مقتله، أصبح السير ادموند في غاية التردد والإرتباك.

وهكذا جاء اليوم الذي قام فيه رسول غريب بتسليم رسالة إلى غودفري. ولكنه عندما ترك منزله في اليوم الثاني، كان يدرك تماماً أن هذا اليوم هو آخر يوم في حياته.

وماذا حدث بالضبط؟ كيف خاف هذا القاضي النزيه والشريف على حياته؟ لماذا تراه اختار تغطية الناس الذين ظنهم يخططون لقتله؟

وبعد أكثر من ثلاثة قرون مضت على مقتل السير ادموند غودفري لا زالت هذه الأسئلة بدون أجوبة. ولكن في العام ١٩٧٨ كتب صحافي شاب يدعى ستيفان نايت كتاباً تحت عنوان «جاك المغتصب الحل النهائي»، وقرر أن يعود إلى القضية التي حيّرته منذ أن كان مراهقاً: «مقتل السير ادموند باري غودفري.». فكان طموحه المتواضع، وبكل بساطة، أن يقدم أدق المعلومات التاريخية المسجلة عن الحادث. ولكنه عندما درس الأوراق في مكتب التسجيلات العامة وفي المتحف البريطاني وفي مختلف المكتبات الجامعية، أدرك فجأة وبمنتهى الإستغراب أنه توصل أخيراً إلى حل اللغز.

الحقيقة الصارخة، والتي لم يكشف عنها قبلاً، هي أن السير ادموند باري غودفري كان واحداً من أولئك المتآمرين الجمهوريين

الذين نذروا أنفسهم لخلع الملك وتنصيب ريتشارد كرومويل مكانه. وبكلمات أخرى، فإن غودفري كان واحداً من «عصابة بايتون» وهي المجموعة المعروفة بمتآمري «الشريط الأخضر» الذين خططوا لقتل الملك والإستيلاء على برج لندن وتنصيب كرومويل كديكتاتور في العام ١٦٧٧. وهي المؤامرة التي لاحظنا أن يقظة جواسيس الملك عملت على تفشيلها.

واهتدى نايت إلى ما لا يثير الشك وهو أن ادموند غودفري كان، فعلاً عضواً في «عصابة بايتون».. وبالفعل قبض على نصف أعضاء العصابة في مكاتبهم العامة.. ولكن لم يكن أي شيء أيجابي ضد غودفري، وعلى أية حالة هو لم يكن جزءاً من الحكومة.

وجد نايت أول إشارة عن توريط غودفري في أوراق وزير الخارجية السرية السير جوزيف وليامسون.. وهي قائمة كانت تحتوي على اثني عشر عضواً من عصابة بايتون.. وجاء إسم غودفري الرابع في اللائحة.

الورقة الثبوتية الثانية كانت خطاباً مؤرخاً في العام ١٦٧٤ تصف لقاء لأعضاء البرلمان المعادين للكاثوليكية في حانة سوان في كينغ ستريت. ولكن حانة سوان في كينغ ستريت في هامر سميث تخص السير ادموند باري غودفري نفسه.

وعندما تم تطهير نصف عصابة بايتون في العام ١٦٧٧ لا بد أن غودفري عرف أن الحبل بدأ يشتد على عنقه. وكان الملك على حق ولتوه في أن يكرهه لسبب محاولته القبض على طبيبه بسبب مال هو مدين به له. وكان من الضروري الآن أن يتصرف بمنتهى الحيطة والحذر. وربما كان هذا هو السبب الذي دفعه إلى تأكيد

يمين تونغ وأواتس والتوقيع عليه. وهو حدث ظهر فيما بعد أنه كان نقطة التحول في نجاح المؤامرة البابوية. ولم يهتم بأن يكون ولاؤه للملك موضع ريبة.

وكل هذا يفسر لماذا كان غودفري قلقاً من أن يصدر الملك أمراً بالقبض عليه.. ولكن لماذا تراه يقلق بأن ينظر إليه رفاقه في المؤامرة كخائن؟

وعند هذه النقطة نأتي إلى واحدة من أغرب هذه التأرجحات في المؤامرة التي تتحدى حتى ما كان يمكن أن يستخلصه شرلوك هولمز ويهتدي إليه. وظهر أن ايرل شافتسبري، المناهض الكبير للكاثوليك، كان يستلم مالاً من ملك فرنسا لويس الرابع عشر، ولماذا كان الملك الفرنسي يريد تشجيع المعارضة ضد الكاثوليك في انكلترا؟ والواضح أن لويس كان يعد نفسه ليكون أكبر حاكم في أوروبا. وكانت انكلترا العدو التقليدي لفرنسا، وحتى مع وجود شارل على سدة العرش الأنكليزي فهو لم يكن متأكداً على الإطلاق من أن انكلترا لن تحاول وتفشل كل مخططاته وأفكاره. وبالفعل عندما أجبر وليام أوف أورانج جيمس الثاني على الفرار وأصبح ملكاً لانكلترا في العام ١٦٨٩ ـ فإن الذي حدث فعلاً هو التالي: انضمت انكلترا إلى السويد وإسبانيا وفشّلت مخطط لويس في إبقاء انكلترا ضعيفة قدر المستطاع وإن افضل الطرق لتنفيذ المخطط الفرنسي كان إثارة حرب أهلية بحيث تتكاثر المشاكل على الملك وينهزم أمامها. ولهذا أصبح لويس يصرف الأموال سراً إلى أعداء الملك.

وحدث الآن أن الرجل الذي حمل المال إلى شافتسبري المعارض ورجاله كان غريباً وكاثوليكياً حالماً يدعى أدوارد كولمان

وكان يعمل سكرتيراً لجيمس شقيق الملك وأصبح الآن سكرتيراً لزوجة جيمس دوقة يورك. ولسبب فائق الطبيعة لم يتمكن ستيفان نايت من كشف ذلك. أدوارد كولمان كان أيضاً صديقاً للسير أدموند باري غودفري. وليس هناك من سبب واضح لماذا وجب أن يكون الاثنان صديقين. ولكن عندئذٍ ورغم رغبته في أن يرى انكلترا وقد تحولت من جديد إلى جمهورية، بدا غودفري منطقياً وصديقاً ورجلاً لطيفاً وأنه من المعقول، ببساطة، أنه التقى كولمان أثناء عمله كقاضٍ وقامت بينهما علاقات صداقة متينة.

وكان هذا هو السبب الحقيقي بسقوط السير ادموند باري غودفري.

وهكذا ضمّن أواتس إسم كولمان في لائحة المتآمرين اليسوعيين. وعندما اكتشف غودفري اسمه في أوراق تيتوس أواتس، قام على الفور بإخطار كولمان. وكانت النتيجة أن قام هذا الأخير بإحراق أكثرية أوراقه الخاصة وهرب. وبعد ذلك بقليل وصل أواتس وعصابته وحطموا المنزل. ولسوء الحظ نسي كولمان صندوقاً خشبياً مملوءاً بالأوراق ومخبأ وراء واحدة من مدافن المنزل. وبين هذه الأوراق كانت رسائل يتحدث فيها كولمان ـ الكاثوليكي المرتد ـ بإسهاب حول أحلامه في أن يرى جيمس يتربع على عرش انكلترا وقد ارتدت إلى الكاثوليكية. لم يكن كولمان متآمراً في الوقت الحالي، ولكن ما إن أثار أواتس موجة العداء المستفحلة ضد الكاثوليك ورفعها إلى القمة وبطريقة تذكر حملات السيناتور جوزيف مكارثي ضد الشيوعيين، بدا من السهل النظر إلى هذه الأوراق كدليل على المؤامرة البابوية. قبض على كولمان وأخذ بأمر الملك في تشرين الثاني/نوفمبر ـ بعد موت غودفري ـ وحكم عليه

بالموت.. كما خسر أكثر من مئتي كاثوليكي بريء حياتهم بسبب شراسة وتعنت أواتس.

وعلى كل الإحتمالات، فإن أواتس كان عرف أن كولمان كان صديقاً لغودفري. وكان إسم كولمان قد أضيف إلى الأوراق في تاريخ متأخر.. وكأنه جاء ليشهد على ولاء غودفري. ومع أن كولمان واجه المتاعب لتغيير هويته وانتحل اسم «السير كلارك» عندما ذهب للقاء غودفري في منزل صديقه الكولونيل ولدن، فإن جواسيس أواتس عرفوا بدون شك ماذا حدث بالضبط.

وخلال هذين الأسبوعين الأولين من شهر تشرين الأول/أكتوبر أدرك غودفري أن ماضيه بدأ يثقل عليه. فقد عمل كل ما بوسعه ليكون مواطناً لائقاً وشريفاً وألا يسيء إلى أحد. ولكنه سمح لتعاطفه مع البروتستانتية أن تجرّه إلى التحالف مع شافتسبري ومجموعة «الشريط الأخضر». وعرف الآن أنه سيطلب إليه بأن يدفع الثمن.

وبعد ظهر ذلك اليوم، وقبل موته، عندما جاءه الرسول حاملاً رسالة، لا بد أنه كان يطلب منه أن يمثل أمام «أصدقائه الشرفاء» ليشرح بنفسه. وكان يأمل، وبدون أدنى شك، أن شروحاته ستسرهم ويتوقفون عن إثارة أدنى شك بولائه. والذي ربما لم يكن يعرفه هو أن الكثيرين من هؤلاء «الأصدقاء والشرفاء» كانوا يعملون لمصلحة أواتس ومؤامرته البابوية وهو بالتأكيد فشل في إدراك أن موته سيكون أفضل حافز للدعاية ضد الكاثوليكية التي كان أواتس يأمل بها.

ماذا كان في الرسالة التي جعلته يقول لخادمه: «من فضلك قل له أني لا أعرف ماذا سأفعل بها؟» وكما يشير إليه نايت، يمكن أن

يكون هناك جواب واحد بالتأكيد. لسبب ما طلبت إليه الرسالة أن يجلب كمية كبيرة من الذهب. ولماذا طلب إليه المتآمرون أن يجلب الذهب معه؟ والجواب كان بالطبع أنه عندما وجد مقتولاً فإن وجود الذهب في جيوبه سيدل على أنه لم يقتل من أجل السرقة.. وعندئذٍ تمتد أصبع الإتهام مباشرة إلى الكاثوليك.

وفي ذلك اليوم ذهب غودفري على موعده وكان حوالي منتصف النهار. ومع أن أخاه أُخبر لتوه بأنه قتل.. إنما الهدف كان من نشر الخبر هو إحداث فضيحة على أعلى المستويات.

ويعتقد ستيفان نايت أنه كان يعرف حتى هوية الرجل الذي قتله. واحد من عصابة العنف المناهضة للكاثوليك كان عملاقاً مجرماً يدعى فيليب هربرت. وهو الايرل السابع عشر لبمبروك. مات بسبب إدمانه على الكحول وهو في الثلاثين من العمر، ولكنه في ذلك الوقت أراد أن يبرهن على أن العنف من أولى صفات الإجرام والقوة عنده. وكانت شقيقة زوجته، دوقة بورتسماوث، إحدى عشيقات الملك المفضلات. أصبح عضواً في مجلس اللوردات في العام ١٦٧٥، وهو لم يكن قد بلغ الثامنة عشر من عمره، وعين في الحال لورد ويلشاير. ومع أنه كان تزوج من فترة وجيزة إلا أنه أهمل زوجته وكان يمضي أغلب وقته في حانات الليل. وأحاط نفسه بمجموعة كبيرة من الحيوانات الأليفة والمتوحشة إضافة إلى ستين مرافقاً كانوا أشرس من الحيوانات نفسها.

ودلل على هذا السلوك الغريب والأطوار المثيرة للتساؤل عندما دعا قاضياً ليشرب في حانته. كل شخص كان يخاف الجلوس إلى جانبه حتى جاء يوم وقرر السير فرنسيس فانسنت أن يجلس هو

نفسه في المكان الخالي دائماً إلى جانب فيليب هربرت. وعندمارفض السير فرنسيس أن يشرب نخباً رفعه هربرت، تناول هذا الأخير زجاجة مملؤة بالكحول وكسرها فوق رأسه. وعلى الفور حمل السير فرنسيس إلى عربته وجاء من يخبره أن هيربرت (ايرل اوف بمبروك) يلحق به شاهراً سيفه. تسمّر السير فرنسيس في أرضه وحاول بمبروك ضربه بعنف فانكسر سيفه . ورمى فانسنت سيفه بعيداً وهاجم لبمبروك بشراسة فرماه أرضاً مغمياً عليه. وهنا وجد فانسنت رجال بمبروك يلاحقونه ولكنه رمى واحداً منهم في نهر التيمس وطرد الآخرين بمعونة رجال الشرطة من ذوي القبعات الحمر الذين كانوا وصلوا إلى المكان لتوهم.

وذات مساء شاهد بمبروك كرسياً مجللاً بالقماش وسط بارك سان جيمس فصرخ وقد تعتعه السكر: «من هناك؟» ورد الرجل الموجود في الداخل بصوت غير مفهوم.. وعاد بمبروك يصرخ: «كن من تكون سأقتلك» ثم استلّ سيفه وغرزه في القماش، ولكنه أخطأ أنف الرجل الذي في الداخل. هذه بعض التصرفات الغريبة التي كانت تصدر عن بمبروك باستمرار.

وذات مرّة، كان بمبروك على عتبة أن يخسر مبارزة ولكن واحداً من أتباعه سدد ضربة إلى خصمه أفقدته ذراعه.. وعندما كان الأخير يتراجع، عاجله بمبروك بطعنة من سيفه بقرت بطنه.

ويروي ستيفان نايت عدداً من القصص الأخرى حيث كان «الأيرل المجنون» يقترف الجرائم ويمضي غير مبال. ويخلص نايت، إجمالاً، مؤكداً أن بمبروك هو الذي اختير لقتل السير أدموند باري غودفري.

وفي الفترة التي تلت موت غودفري كان تيتوس أواتس حراً

تماماً وطليق اليدين. حيث أمر كل الكاثوليك وغيرهم بأن يذهبوا مسافة عشرة أميال بعيداً عن لندن. وكان يتم القبض يومياً على عشرات الكاثوليك وتوجه إليهم التهم كيفما تسنى لأواتس وخطر في باله.. ويعدم الكثيرون منهم في نهاية المطاف.

ومن أساليب تيتوس أواتس النموذجية محاولته لإسقاط صاموئيل بيبيس، وزير البحرية والصديق المقرب جداً إلى جيمس، شقيق الملك. وبالفعل، فقد تم القبض على أحد معاوني الوزير، صاموئيل أتكنز، وقدّم إلى هيئة مجلس اللوردات. وادعى كابتن أتكنز (وهو من عصابة شافتسبري ولا قرابة بينه وبين المساعد صاموئيل أتكنز) ادعى أن الأخير أخبره أن الوزير بيبيس يكره السير ادموند باري غودفري وأنه يسعى أن يدمره كلياً. واستناداً إلى أقوال كابتن أتكنز، أن مساعد الوزير سأله عن بحار يدعى شايلد وطلب

أشهر قضية شهدتها أميركا في العام ١٩٠٤ كانت محاكمة نان باترسون لقتلها عشيقها قيصر يونغ في سيارة جميلة. فالرصاصة التي قتلت المقامر يونغ انطلقت عند الساعة الثامنة صباح الرابع من حزيران/يونيو عام ١٩٠٤.. ومات فيما كان في طريقه إلى المستشفى.. وادعت نان باترسون أنه انتحر.. ولكن الشرطة كذّبتها ــ فالمسدس كان في جيب يونغ ولا يعقل أنه وضعه هناك بعد أن أطلق النار على نفسه.

كان يونغ متزوجاً والتقى نان في قطار كان في طريقه إلى كاليفورنيا قبل عامين.. وكان لقاءً غرامياً. ولكن يونغ أراد أن ينهيه في العام ١٩٠٤.. ولهذه الغاية حجز لنفسه مكاناً للسفر إلى أوروبا مع زوجته على الباخرة «جيرمانيك». وأمضى يونغ ونان آخر أمسية لهما وهما يتخاصمان بعنف. ثم عادا والتقيا على طعام الفطور وبعد ذلك استدعيا سيارة.. ومباشرة بعد

إليه أن يرسل الأمير ليرى الوزير بيبيس. ويدعي كابتن أتكنز أنه شاهد فيما بعد شايلد وأن هذا أخبره أن بيبيس حاول اقناعه بالانضمام ألى «عملية قتل رجل».

ونفى صاموئيل أتكنز بكل نزاهة وصدق كل ما قاله كابتن.. وأعلن أنه لم يسبق له ورأى هذا الأخير في حياته. وعندما عاد كابتن يكرر إتهاماته، قال المساعد أتكنز: «يا الهي، إنك كاذب وإنسان بدون ضمير».. ثم القى صاموئيل أتكنز في السجن.. وفشلت كل المحاولات لاقناعه بخيانة رئيسه.. إذا كان فعلاً يريد أن يفلت من حبل المشنقة. ولحسن حظه أن أواتس كان منهمكاً في ملاحقة الكاثوليك، فنسيه.. وأخيراً تمّ إطلاق سراحه.

وتمّ توجيه تهمة قتل السير غودفري إلى ثلاثة كاثوليكيين هم: غرين وبري وهيل.. وكان الثلاثة طبعاً أبرياء ولكن أواتس حصل

هذا اللقاء قتل يونغ. وبمقتضى الحالات الراهنة لم تكن قصة نان أن يونغ انتحر لأنه كان منزعجاً لأنه سيتركها، لم تكن صحيحة وغير قابلة للتصديق طبعاً.. فالرصاصة، كما اتضح، دخلت في الزاوية غير الصحيحة. ففي محاكمتها الأولى، مرض أحد القضاة، وتحولت المحاكمة إلى نصف محكمة، وفي المحاكمة الثانية شنق أحد القضاة نفسه.. وانتهت المحاكمة الثالثة إلى طريق مسدود. واسقطت كل التهم الموجهة ضدها.

وبالمقابل، يبدو أن نان برئت، ليس بسبب براءتها ولكن بسبب أن أعضاء المحكمة وجدوا أنها جميلة جداً.. كي تشنق.

عملت نان في أكثر من مربع ليلي وكانت تتولى تقديم الاستعراضات الموسيقية.. لكنها بدأت تفقد فيما بعد رشاقتها. فانسحبت نهائياً من العمل.

على دليل باتهامهم وبنفس الطريقة التي حاول استخدامها ضد صاموئيل بيبيس. ولكن كاثوليكياً آخر، ويدعى مايلز برافس كان متحفظاً إلى أبعد حدود التحفظ ليعلن في أحد المقاهي أنه يعتقد أن بعض «المتآمرين البابويين» هم فعلاً «رجال شرفاء». وتم القاء القبض عليه فوراً وزج في مقتل القاضي غودفري.. واودع، صاموئيل اتكنز، في سجن نيوغيت.. وعندما أدرك أن هذه ستكون نهايته وسيشنق، أرسل خطاً إلى هيئة مجلس اللوردات واعداً بأنه سيقدم معلومات جديدة. وأمام الهيئة ادعى أتكنز أنه شاهد غرين وهيل يلاحقان باستمرار السير غودفري صباح اليوم الذي اختفى فيه. وكل القصة كانت كاذبة ولكنها جاءت تصب في خدمة ملاحقة الكاثوليك.. وتمّ إعدام الرجال الثلاثة، بعد «إدانتهم».

وقدر عدد الجرائم القضائية التي كانت نتيجة إفتراءات وكذب أواتس بأكثر من ٣٥ جريمة. ولكن في تموز/يوليو ١٦٧٩ إنكشفت إحدى أكاذيبه أثناء محاكمة طبيب الملكة، واكمان، وطلب القاضي إلى مساعديه أن يستقيلوا.. ونجح أواتس في تأليب الجمهور على القاضي.. وظهر أن شارل كان يقاتل بضراوة ليمنع أخاه من استبعاده عن العرش.. وأخيراً ربح شارل.. وانهار، خلال سنوات حكمه الأربع الأخيرة، تأثير شافتسبري.. وبالتالي بدأ نجم أواتس يخبو. وفي العام ١٦٨٢ تمّ تخفيض مخصصات أواتس ثم أوقفت فيما بعد ومنع من الحضور إلى القصر الملكي. وفي العام ١٦٨٤ اتهم لوصفه جيمس بالخائن وحكم عليه بغرامة مقدارها ألف جنيه بدل أضرار. وعندما تسلم جيمس العرش عام ١٦٨٥، تم أخيراً محاكمة أواتس واتهم بالتجديف وحكم عليه القاضي جيفريس بالسجن مدى الحياة. وامضى سنوات حكم جيمس في سجن نيوغيت. وهناك نجح في جعل خادمة تشرف على ترتيب

الأسرة في السجن تحمل منه. وعندما فر جيمس وخلفه ويليام أوف أورانج تم إطلاق سراحه وأعطي راتباً قليلاً. وفي العام ١٦٩٨ أعطته الحكومة مبلغ ٥٠٠ جنيه ليسدد ديونه.. ثم أصبح مبشراً معمدانياً في واينغ.. ولكنه طرد فيما بعد بسبب «سلوكه الفوضوي وخبثه». ومات في العام ١٧٠٥.

٢

ماذا حدث لجيمي هوفا؟

يمكن، وصف اختفاء رئيس اتحاد نقابات التجار الأميركيين جيمي هوفا على أنه واحد من أكبر الألغاز في تاريخ الولايات المتحدة.. ويمكن أيضاً أن يكون قليل من الشك عما حدث له ولماذا حدث؟ ولكن كوثيقة في التاريخ الإجرامي ـ أو الإجتماعي ـ لايمكن الشك بأن هذه الوثيقة يمكن أن تصنف على أنها من أكثر القصص إثارة في تاريخ القرن العشرين.

وكانت هذه القصة قد بدأت قبل فترة طويلة وبالذات في أواخر الحرب الأهلية الأميركية في العام ١٨٦٥.

وككل الحروب، كانت هذه الحرب بمثابة تحسن هائل للصناعة، ومباشرة بعد تلك الحرب بدأت الثورة الصناعية الأميركية، وتمّ انتخاب أوليس غرانت، جنرال الحرب، رئيساً للجمهورية. واعتقد غرانت أن الإزدهار الوطني يقوم على الأعمال الكبيرة والعريضة. وكانت النتيجة أن تحققت ثروات ضخمة في البلاد بين ليلة وضحاها وحققها رجال لم يكونوا أكثر من سماسرة وقطاع طرق. ويقول الكومودور كورنيليوس فاندربيل، يقول



جيمي هوفا

لمنتقديه: «ماذا يهمني في القانون؟ ألم أحصل على السلطة؟» وكان وول ستريت يشهد كل يوم عمليات سرقة وتزوير تكلف القائمين بها السجن مدى الحياة لو أنها كانت لتتم في عصرنا. فهناك قاطع طرق أو قرصان شاب يدعى جيم فيسك تحالف مع رجل غريب يدعى جي غود ليستوليا على مبلغ ١٩ مليون دولار من رئيس

فيسك، دانييل دريو، وقاما بشراء مطبعة وطبعوا شهادات أسهم عائدة إلى سكك الحديد ورفعت قيمة الأسهم المتداولة إلى أكثر من ٦٠ مليون دولار. ونجح ابن طبيب مغمور، يدعى جون د. روكفلر في بدء تأسيس شركة صغيرة تدعى ستاندرد رويل في ولاية أوهايو والتي بدأت تدريجياً في احتكار صناعة تكرير البترول في طول الولايات المتحدة وعرضها. كان روكفلر أستاذ مدرسة ويتمتع بصفات حميدة وأخلاق راقية، ولكن أكثرية تابعيه والمقربين منه كانوا من محبي تدخين السيجار الفخم والراكضين وراء العشيقات المكلفات جداً. وفي العام ١٨٧٢ قتل جيم فيسك على يد نيد ستوكس، آخر عشيق لصاحبته جوزي مانسفيلد. وتأقلم بوس ويليامز تويد مع واقع الأيام عندما أصبح رئيساً لشركة تماني في نيويورك التي تحولت إلى وكر للسرقات والتزوير.. وتم اكتشاف اوتويد فيما بعد وأقفلت سلطة المدينة الشركة واودع السجن.. ولكن العشرات من أمثاله ازدهروا وحققوا ثروات طائلة تحت حماية الرئيس غرانت.

والناس الوحيدون الذين فشلوا في جني أي كسب يومها كانوا العمال. فمبادىء الرأسمالية الجيّدة كانت تعني بأن تدفع لهم رواتب دنيا وعشر سنتات فقط كحد أعلى لكل ساعة عمل وأن يطردوا من العمل إذا ما حاولوا طلب زيادة. وعندما كان في الرابعة عشر من عمره، كان جاك لندن يعمل مدة ٣٦ ساعة بدون توقف ويتقاضى فقط أربع دولارات. وفيما بعد انتقل للعمل في تعبئة فحم الوقود في محطة للسكك الحديدية، وقرر أن يكسب المزيد من المال ويسعى إلى ترقية في العمل. ولكنه وجد من المستحيل التصديق بأن ينتظر من العنصر البشري العمل بجهد بالغ لكسب مبلغ ٣٠ دولاراً في الشهر وفي دورتين لعمل ليلاً ونهاراً. وذات

يوم اكتشف أنه كان يقوم بعمل رجلين وكلاهما يتقاضى مبلغ ٤٠ دولاراً شهرياً، وعلى الفور تخلص المراقب من أحدهما عندما علم أن لندن سيعمل بقوة واستولى على الخمسين دولاراً. وأقدم واحد من اللذين أخذ لندن عمله على الانتحار لأن عائلته بدأت تجوع.

وادّى مثل هذه الأشياء إلى نوع من الفوضى والتململ.. وتزايد ذلك مع فترة الركود العصيبة التي أودت بالملايين إلى حافة الجوع. وقام زعماء عماليون كأوجين دبس بتنظيم العمال في اتحادات ودفعوهم إلى الإضراب والتظاهر. وفي «السنوات الرهيبة» ١٨٩٤، تظاهر أكثر من ثلاثة أرباع مليون عامل وأتبعوا التظاهر بالإضراب. وكان أرباب العمل يردون باستئجار من يحطم ويفشل الإضرابات.. والكثيرون منهم كانوا من بين المشاغبين ورجال الأمن المتقاعدين أو الفارين من الخدمة. كما قام بعض أرباب العمل بتشكيل تحالف مع ألمافيا وتعرض زعماء الإضراب للضرب المبرح وقتل الكثيرون منهم.

كان هذا هو الوضع عندما ولد جيمس ريدل هوفا في عائلة عاملة أصلها من هولندا واستقرت في بنسلفانيا.. وكانت ولادة هوفا في شباط/فبراير ١٩١٩. وكانت العائلة تعيش مستقرة ميسورة، إلى أن توفي الأب، وكان يعمل مراقباً في منجم، في العام ١٩٢٠. وبعد ذلك، عملت الزوجة في مصبغة كعاملة تنظيف لتطعم عائلتها.

ترك جيمي المدرسة عام ١٩٢٧ وذهب ليعمل، وهو في سن الرابعة عشرة بأجر قدره ١٢ دولاراً في الأسبوع وبمعدل ٦٠ ساعة أسبوعياً. وفي العام ١٩٢٩ وجد عملاً في شركة توزيع تابعة لسكك الحديد كانت تقوم بنقل الأطعمة إلى مدينة ديترويت،

حيث انتقلت إليها عائلته. الأجر كان ممتازاً ـ ٣٢ سنتاً في الساعة ـ إلى أن وجد هوفا خدعة في الأمر. فقد كان المتعهد يدفع لهم فقط مقابل الوقت الذي كانوا يمضونه في تفريغ صناديق القاطرة.. ويجلسون بدون عمل بقية النهار.. الأمر الذي جعل الوظيفة غير محتملة نظراً لتصرفات المتعهد وعجرفته.

ومن هنا قام جيمي بتنظيم إضراب في النهار وبالذات عندما طلب إليهم إفراغ شحنة من الفريز كانت قد وصلت لتوها. وفي أقل من ساعة أدرك صاحب الشحنة ـ وكانت لحساب سلسلة غروجرز للبقالات ـ أن الخسائر ستكون بآلاف الدولارات.. وعلى الفور وقع إتفاقاً يعطي العمال أجراً إضافياً مقداره ١٣٥ سنتاً في الساعة إضافة إلى تأمين نصف يوم عمل كل يوم، وأخيراً.. الاعتراف باتحادهم.

وخلال سنة كان جيمي هوفا يعمل دواماً كاملاً لحساب شركة براذرز الدولية.. وفي الوقت نفسه كان اتحاد العمال ينمو وتتسع دائرته. وعندما قام بعض أرباب العمل باستئجار بعض زعران المافيا لتحدي رجال الاتحاد، قام هوفا بتنظيم رجاله لمقاتلة الزعران بالعصي.

ولكن جيمي هوفا كان قد خطا الخطوة الأولى على الطريق التي يمكن تؤدي إلى تدميره.. فقد عمل على التقرب من عصابة «باربل ديترويت»، وهي مافيا يهودية، واستأجر عدداً من أفرادها ليقاتلوا إلى جانبه. كانت الطريقة التي اتبعها ناجحة، ولكنه اكتشف فيما بعد أن هناك تكاليف مرتفعة جداً وغير منظورة.

وخلال سنة كاملة كان هوفا يُضرب باستمرار وتعرض للإصابة بجراح في رأسه أكثر من ست مرات. وفي إحدى المرات رُفس



السيناتور روبرت كينيدي

بقوة ووقع أرضاً شبه مغميٍّ عليه.. ولكن جاءه من يهمس في أذنه ويقول: «هذا مجرد نموذج. ولكنك ستموت في المرة القادمة.»

ولكن هذا الرجل القصير القامة والممتلىء الجسم رفض التحدي. وكان العمال يزدادون قوة وصلابة وإصراراً على التحدي كلما تعرضوا للضرب والملاحقة من الذين يعملون على تدمير

اتحادهم. وعندما بلغ هوفا سن الرابعة والعشرين كان أصبح رئيساً لأكبر اتحاد عمالي في أميركا. وفي عام ١٩٣٧ كان قد نظم «اتحاد ديترويت» ليقود أكبر إضراب شهدته المدينة ويطالب برفع الأجور وتأمين شروط عمل أفضل.. وبعد ثلاثة أيام كانت شركات النقل تستجيب للمطالب وتتخلى عن سوء معاملتها لآلاف العمال.

ولكن مرة ثانية أجبر هوفا على التفاوض.. فقبل أن يبدأ الإضراب تقرّب من مافيا ديترويت العاملة تحت الأرض وأقنع أفرادها بطريقة ما بعدم التدخل.

وفي العام ١٩٤١ دلل هوفا مرة ثانية على مهاراته التنظيمية وذلك عندما تخلص من الشيوعيين في فرع الاتحاد في مينابوليس.. وكان هؤلاء أكثر يسارية من هوفا نفسه ويفكرون بضم أنفسهم إلى منظمة منافسة هي «مؤتمر المنظمات الصناعية». وتخلص هوفا منهم باسلوبه القوي الذي يقوم على العنف والضرب أحياناً..حتى أنه استعمل، إضافة إلى العصي، الاطارات والسلاسل الحديدية. ثم حمل هوفا المعركة إلى داخل مؤتمر المنظمات الصناعية نفسه في ديترويت. وخلال معركة هوفا مع المنظمة المنافسة كان سكان ديترويت قد اعتادوا رؤية الاتحاديين يتقاتلون في الشوارع كالمجرمين الساعين إلى الحصول على مزيد من الأراضي. وخلال هذه الحرب ما بين الاتحادات والقائمة ضد منظمة الصناعيين الغنية والقوية، قرر هوفا أنه بحاجة إلى حلفاء. ومرة جديدة كانت المافيا هي التي ساعدته على محاربة مؤتمر المنظمات الصناعية. وبعد معارك ضارية سقط فيها مئات القتلى قرر مؤتمر المنظمات الصناعية أن يترك ديترويت لهوفا واتحاده..

وكان هوفا الآن رجلاً متزوجاً سعيداً وأباً لطفلين.. كما تبنى ولداً يدعى شوكي أوبريان، إبن سيلفيا بيغافو، وهي امرأة كان ذات مرة أراد أن يتزوجها. وأمضى شوكي فترات زمنية طويلة مع آل هوفا.

وكان من أفراد عائلة هوفا شخص آخر يدعى طوني جياكالوني، من زعران ديترويت المعروفين وصديقاً لسيلفيا بيغافو. وكان هوفا يثق فيه جداً.

وكان لا بد أن يتورط هوفا في ممارساته الذاتية غير الشرعية.. وما أن قام اتحاده (تيمستر) بتشكيل نوع من الاحتكار، أصبح بامكانه أن يجبر البقالين الذين لا يستعملون شاحنات الاتحاد أن يدفعوا مبالغ باهظة لحمايتهم. وفي العام ١٩٤٦ انقلبت هذه الأنشطة ضده فسيق إلى المحاكمة.. وأفرج عنه لقاء كفالة مالية.

وفي تلك الأثناء كان قد أصبح رئيساً لفرع ديترويت المحلي رقم ٢٩٩ ورئيساً في الوقت نفسه لمجلس منطقة ديترويت المشترك. ولما كان رئيس مجلس سائقي الولايات المركزي قادراً على مد نفوذه إلى الجنوب وأجبر شركات الشحن على استخدام رجال الاتحاد.. استغل هوفا الفرصة وبدأ يتقرب شيئاً فشيئاً من امبراطوريته.

وعندما تنحى رئيس الاتحاد دان توبن وحل محله داف بك، بدأ هذا الأخير يعامل هوفا كيده اليمنى.. وبدا هوفا الآن أنه أصبح قريباً جداً من القمة.

وهنا قرر أن ينتقل إلى الشرق، وإلى نيويورك بالذات. وعندما رفضه الاتحاد هناك، قام باستئجار زعران لاقامة اتحادات محلية هناك والتي قامت فقط على الورق ولكنها ساعدت هوفا في الواقع على الإستيلاء على(تيمستر نيويورك).

واحد من تيمستر الشرق الجديد كان عضواً في عصابة فيتو جينوفيزي ويدعى طوني بروفنزانو ولكنه يعرف باسم طوني برو. وقد أصبح فيما بعد المتهم الأول في قضية اختفاء هوفا.

كان هوفا يلعب لعبة خطيرة جداً ـ ولا فائدة فيها لاعضائه.. وبالفعل فهو كان يعمل على ادخال الاتحاد في دائرة المافيا، وتسليمه إلى اللصوص والفوضويين. وكانت المعركة بين العمل الأميركي ورأس المال الأميركي قد تحولت إلى معركة بين القانون واللاقانون. وعندما قرر طوني برو رفع راتبه من ٢٠ ألف دولار إلى تسعين ألف دولار وأدخل أكبر عدد ممكن من أفراد عائلته إلى الاتحاد بعد أن خصصت لهم رواتب كبيرة، عندها تحولت الأجور المدفوعة من الشاحنات إلى الاتحاد وتحولت إلى جيوب الزعران.. وتذكر الناس عهد تويد. ولكنه كان عهداً أعنف عشر مرات من عهد الآخر.

ولكن النظام والقانون كانا بالمرصاد وأظهرا قوة كبيرة في وجه موجات العنف الجديدة.. ففي عام ١٩٥١، قام السناتور أستس كيفوفر بتأسيس لجنة خاصة للتحقيق في الجريمة المنظمة. وكانت أنظار كيفوفر موجهة نحو ديترويت حيث كان أحد أفراد «تميستر» متورطاً في عمليات واسعة من فرض الخوة والنهب. وفي العام ١٩٥٣ سمعت اللجنة أن هوفا سمح لأعضاء اتحاد ديترويت بتدمير سجلاتهم المالية في نهاية كل سنة وفقط من أجل إيجاد مساحة«للتخزين».. كما كان يدعي. ومن هنا بدأت اللجنة تركز اهتمامها على هوفا. وفي العام ١٩٥٦ بدأ شاب طموح يدعى رّوبرت كنيدي التحقيق في عمليات اتحاد تيمستر غير النظامية. واكتشف أن لصاً يدعى جوني ديو كان يدير بعض فروع الاتحاد



الرئيس جون كينيدي

في نيويورك.. وعلى أثر ذلك اكتشف كنيدي أن ديف بك، رئيس «تميستر» قد إبتز أكثر من ٣٥٠ ألف دولار من الاتحاد. وجاء المحققون ليتحدثوا إلى جيمي هوفا.. ولكن كنيدي كان قد أمر بمداهمة مكتب الأخير طالباً رؤية الملفات.. طرده هوفا.. ولكن كنيدي عاد بأمر قضائي وأجبر على تسليم الملفات إلى كنيدي. ولكن عندما بدأ يتضح وكأن هوفا ورجاله في «تميستر» هم

يواجهون الآن المتاعب، توقفت التحقيقات والمداهمات. ويقول واحد من أفراد اللجنة للصحافيين إن الأوامر جاءت من أعلى.. ولم يكن باستطاعته تسمية تلك الجهة. ويبدو من المحتمل أن هذا المستوى الرفيع من التدخل كان يعود إلى واقع أن «تيمستر» قرروا دعم جمهوريي ميتشيغان في انتخابات ١٩٥٤.

ومن ذلك الحين وصاعداً اعتبر بوبي كنيدي جيم هوفا خصمه الرئيس واعتبر الثاني الأول كواحد من ألد أعدائه.

الجولة الأولى كانت لهوفا. فقد أخبر محام يدعى جون شيستري ـ وكان يعمل في مصلحة الدخل الداخلي ـ أخبر كنيدي أن هوفا حاول أن يرشيه. ولو أن التهمة ثبتت ضد هوفا لكان قضى في السجن ١٣ سنة. كانت هيئة المحكمة تتألف من ثمانية قضاة سود وأربعة قضاة بيض.. وتم أثناءها عرض قصاصات من صحيفة يديرها السود تمتدح هوفا كصديق للطبقات العاملة.. وقبل بدء المحاكمة جاء إلى قصر العدل ملاكم الوزن الثقيل جو لويس ولفّ يده حول خصر جيم هوفا. وغضب كنيدي عندما لفظت المحكمة قرارها بأن هوفا ليس مذنباً.. ونقل عن كنيدي نفسه أنه «سيقفز من فوق مبنى الكابيتول إذا لم تتم إدانة هوفا.» وسخر هوفا من كنيدي وأرسل له مظلة مع ورقة كتب فيها: «أقفز في المرة الثانية» وعاد هوفا وظهر أمام المحكمة ولكن ليدافع عن نفسه إزاء إتهامات بسيطة.

في العام ١٩٥٧ تنحى داف بك كرئيس ل «تيمستر» وانتخب جيم هوفا خلفاً له.

واستمر كنيدي في محاولة إحكام الطوق من حول هوفا..

وكان الأخير متنبهاً لذلك. كان يعلم تماماً أنه قوي جداً.. وأن أعضاء اتحاده، وبدون استثناء، يحبونه جداً، وطالما أن قاعدة كهذه تثبّت أقدامه وتزيد في قوته وسلطته، فلم يكن هناك ما يقلقه أو يتخوف منه. ولكنه برهن فعلاً أنه كان على خطأ عندما اتهمته محكمة ناشفيل الكبرى في ولاية تنيسي بسرقة أكثر من مليون دولار من إحدى الشركات.. وانتهت المحاكمة إلى طريق مسدود في العام ١٩٦٢، ولكن عندما سرت شائعات بأن هوفا رشى القضاة. أمر رئيس المحكمة بفتح تحقيق في الأمر. وفي هذه الأثناء كان جون شقيق روبرت، قد أصبح رئيساً للولايات المتحدة.

وفي العام التالي أدانته محكمة ناشفيل الكبرى بالتآمر على القضاة وبتقديمه قروضاً غير شرعية إلى عدد من معارفه المقربين بلغت ٢٠ ألف دولار لكل واحد منهم.

عندما اغتيل جون كنيدي في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٦٣، أمل هوفا بأنه بدأ يرى النور في آخر النفق. ولكن محاكمته في كانون الثاني/يناير عام ١٩٦٤، أظهرت أنه كان مخطئاً.. فقد جاء إلى المحكمة شخص يدعى أدوارد غري بارتن وقرر أن يشهد ضد رجل شعر بأنه استولى كثيراً على السلطة.. وقال كيف أرسله هوفا ليرشي القضاة بمبالغ تتراوح ما بين ١٥ إلى ٢٠ ألف دولار لكل منهم. وكشف أيضاً في مناقشة خاصة مع القضاة والمحامين، أن هوفا ناقش إمكانية اغتيال روبرت كنيدي.

حاول الدفاع تكذيب بارتن مستعيناً بماضيه الإجرامي، ولكن القضاة لم يقتنعوا بذلك ووجدوا هوفا مذنباً في أمرين أهمهما محاولة إرشاء القضاة وحكم عليه بالسجن ثمان سنوات ودفع غرامة مالية مقدارها عشرة آلاف دولار. أمضى هوفا عدة سنوات

وهو يحاول استئناف الحكم ولكنه فشل وأدخل إلى السجن لويسبرك الفيدرالي في ٧ آذار/مارس ١٩٦٧ ليبدأ في تنفيذ عقوبته.

والآن كان هوفا قد ارتكب أكبر غلطة في حياته. وهو أنه قد قرر أن يدير «تميستر» من السجن.. واستخدم شوكي أوبريان لهذه الغاية وجعل منه رجل اتصالاته. وكانت المشكلة في إيجاد رجل «يحفظ له كرسيه ساخناً» ولا يحاول استغلال مكانته. والرجل الذي اختاره لهذه المهمة كان صديقه القديم المخلص فرانك فيتز سايمون الذي عرفه منذ ثلاثين سنة وأظهر له خلال هذه الفترة الإخلاص والولاء التامين. وعيّن هوفا صديقه سايمون كنائب عام للرئيس، وهو المنصب الذي كان أوجده خصيصاً لهذه المناسبة.

وتم أيضاً سجن طوني بروفنزانو لمدة أربع سنوات مع هوفا لاتهامه بعمليات اختلاس متعددة. ورغم سجنه كان طوني لا يزال رئيساً لفرع«تيمستر» المحلي في نيوجرسي. كان هوفا وطوني صديقين حميمين لفترة طويلة وحلفين أيضاً.. ولكن الآن، ولسبب ما، فترت العلاقات وانتهت الصداقة وخلفتها الكراهية والتوتر في علاقتهما. وقيل أثناءها أن هوفا طلب إلى طوني أن يستقيل من منصبه في اتحاد «تيمستر» لتجنب إحراجات ممكنة في المستقبل القريب ولكن طوني برو رفض طلب هوفا بحدة.

وحتى في السجن لم يتمكن هوفا من المساعدة في استعمال مزاياه التنظيمية. وللمرة الأولى في حياته بدأ يقرأ. وشكل لجنة من المتظلمين تحمل مطالب السجناء وشكاويهم إلى الحاكم. كما أنه وجد وظائف لأشخاص من تميستر كانوا قد نفذوا عقوباتهم. ولعل الشيء الجيد الذي أسف له هو مساعدته على نقل طوني برو إلى

المستشفى عندما كان هذا الأخير يتشكى من ألم حاد في معدته كاد أن يودي بحياته.. وأدت إحتجاجات هوفا إلى إقناع السلطات بخطورة مرض طوني وإخراجه من المستشفى.

وبدا المجرم طوني أقل تسامحاً من هوفا. فقد حدث ذات مرة

يوم ١٧ حزيران/يونيو ١٩٣٤، لاحظ المنتظرون أمام مرحاض في برايتون انبعاث رائحة كريهة جداً أزكمت أنوفهم وتسببت لهم بغثيان شديد، وعثرت الشرطة على رزمة فحملتها إلى مقرّها وفتحتها هناك لتجد جذع امرأة ملفوفاً بورق بني. وكتب على الجثة ورقة تحمل كلمة واحدة غطت بقع الدم نصفها وكان النصف الثاني واضحاً.. وقرأت الشرطة نصف الكلمة: «فورد». وعلى الفور تمّ البحث في المراحيض كافة للعثور على بقايا الجثة.. وكانت النتيجة أنه تمّ العثور على ساقين في حقيبة في كينغ كروس.

واتضح أن الجذع والحقيبة كانا وضعا يوم ٦ حزيران بين السادسة والسابعة مساءً.. وأن المسؤول عن وضعها لابد أنه وجد ذلك الوقت ملائماً لأن حراس المراحيض قد يكونون مشغولين جداً لتذكر الزبائن وأن كل ما يمكن أن يقال هو أن رجلاً ما قام بوضع الجذع ودون أن يتنبه إليه أحد.

وأكد السير سبيلسبوري أن الساقين والجذع تخصّ الجثة عينها، وهي امرأة في العشرين من العمر وحامل منذ خمسة أشهر. وتمّ العثور على صانع الصندوق في لايتون ولكنه لم يعد يذكر من اشتراه ولأي غرض أراد استعماله. ولكن أحد موظفي المتجر قال إنه يذكر أنه هو الذي كتب كلمة «فورد».

ولكن العثور على صندوق آخر في برايتون نفسها جعل الشرطة تعتقد أنها اهتدت إلى القاتل الحقيقي. ففي ١٤ حزيران/يونيو

واشتد الخلاف بين الاثنين داخل السجن واستطاع السجناء من الفصل بينهما فيما كان طوني يصرخ: «سيأتي دورك.» ومنذ ذلك الحين لم يعد أحدهما يكلم الآخر.

وعندما وقف بعض أصدقاء هوفا القدامى إلى جانب طوني، بدأ

١٩٣٤ كانت الشرطة ألقت القبض على لص ضعيف يدعى طوني مانسيني واستجوبته حول جريمة صندوق برايتون. ثم أخلت سبيله. وعلى الفور هرب إلى لندن. وقلقت مواطنته وهي تشم الرائحة الكريهة المنبعثة من الصندوق الذي كان تركه في الغرفة في كمب ستريت في برايتون ففتحته وشاهدت فيه جثة المرأة المتحللة. وتمّ إلقاء القبض من جديد على مانسيني وأعيد إلى برايتون لاستجوابه.

واتضح أن الجثة تعود إلى امرأة في الثانية والأربعين من العمر تدعى فيوليت كاي كانت تعمل في أحد المسارح ثم تحولت إلى الدعارة. وكان مانسيني قد عاش مع فيوليت فترة وكانت تتولى دعمه مادياً.. ولكنها كانت امرأة غيورة فاختلفت معه ذات يوم في المقهى الذي كان يعمل فيه بسبب مغازلته لإحدى العاملات هناك.

قتلت فيوليت من جراء ضربة قوية فوق رأسها، وأجبر السير سبيلسبوري على القول بأن الضربة قد تكون نتيجة سقوط المرأة فوق درج سلم المنزل، وبالذات إذا كانت مخمورة في ذلك الوقت. وادّعى مانسيني أنه عاد إلى المنزل من عمله ووجدها ممددة لا حراك فيها.. وهنا فقد أعصابه لأنه كان يعلم أن سجلّه حافل عند الشرطة.

تمت تبرئة مانسيني على الفور. ولكنه في العام ١٩٧٦، وبعد ٤٢ سنة، اعترف لصحيفة لندنية أسبوعية أنه هو الذي قتل، فعلاً، فيوليت كاي أثناء نقاش حاد وقع بينهما.

الأول يدرك أنه معرّض للخطر من الآن فصاعداً وعليه أن يحتاط ويكون يقظاً إلى أبعد حدود الحيطة واليقظة.

ولكن الخيانة الأعظم كانت في الطريق. فقد وجد «الرئيس الموقت« للاتحاد، فرانك فيتز سايمون أنه يتمتع بالسلطة: طائرة خاصة، راتب ضخم، يخت وحساب مصارف مفتوح. وأدرك هوفا إلى أي مدى بدأ التعفن ينخر في العلاقات مع «الرئيس» وذلك عندما أرسل له توصية ـ وعلى الأصح أمراً ـ بخصوص أمين الصندوق الجديد للاتحاد.. ولكن فيتز سايمون تجاهل طلب هوفا وعين في المنصب واحداً من أتباعه.

وفي العام ١٩٧١ رفضت هيئة العفو طلب إخلاء سبيل تقدم به هوفا مع العلم أن زوجته جوزفين كانت قد تعرضت لأزمة قلبية.

وكان رد هوفا أنه قرر عدم ترشيح نفسه مرة ثانية لرئاسة الاتحاد فرفض حضور المؤتمر السنوي واستقال من جميع مناصبه في «تيمستر». ولكن الاتحاد، وفي أول جلسة عقدها، قرر منحه معاش تقاعد قدره ١,٧ مليون جنيه واختار فرانك فيتز سايمون رئيساً جديداً له. وشغل لصوص آخرون، بمن فيهم شقيق طوني برو، مناصب كثيرة في الاتحاد ومع رجالتهم.

عند هذا الحد، كان هوفا قد كسب حليفاً فجائياً ـ هو الرئيس رتشارد نيكسون. ففي الماضي كان هوفا و«تميستر» من مؤيدي نيكسون المخلصين. وكمكافأة لهم، واستعداداً لخوض معركة رئاسة ثانية، وافق هوفمان على إعفاء هوفا ـ شرط أن يمتنع عن أي نشاط في الاتحاد حتى العام ١٩٨٠.

ونفى هوفا فيما بعد أن يكون وقّع على عريضة نصّت على وقف نشاطه في الاتحاد، وأن ما وقّع عليه فعلاً كان الامتناع عن

حمل الاسلحة وتعاطي المخدرات والافراط في شرب الكحول.

وعندما وصل هوفا إلى منزله في ميتشيغان يوم الميلاد ١٩٧١، واكتشف ما حصل، غضب وثار جداً. أول شيء كان يجب عمله هو الإنتهاء من تهمة رشو القضاة، والشيء الثاني كان ضرورة إستئناف نشاطاته داخل الاتحاد.. وناضل هوفا خلال السنوات الثلاث اللاحقة ليشق طريقه إلى السلطة من جديد. وفي وقت مبكر من العام ١٩٧٥ حصل ما اعتبره الأسوأ من كل ما مر به: فقد انضم «ابنه بالتبني» شوكي أوبريان إلى رئيس الاتحاد فيتز سايمون وكوّنا تحالفاً قوياً ضده.. فجرت مشادة بين شوكي وهوفا حول ديون القمار التي كان هوفا يسددها عنه.

وعلى صعيد آخر أظهر طوني برو أنه غير ميال على الأطلاق إلى التسامح وأنه مصمم على الإنتقام .. ورفض كل محاولات هوفا لإحلال السلام فيما بينهما. وكتب إليه ذات يوم يقول: «ساقتلع ابنتك وأرميها أمام عينيك». وأدرك هوفا أنه قادر تماماً على فعل ذلك. ولكنه كان لا يزال يرفض عندماعرض عليه مؤيدوه ـ وكانوا لا زالوا كثيرين وخاصة بين أفراد تميستر ـ بأن يعيّن حارساً شخصياً يتولى مرافقته دائماً. وقال إن ذلك سيخفض من اهتمام الناس به. ولكنه في أي حال شعر أن لا أحد يريد أن يقتله.

ويبدو أن ما حدث في ٣٠ تموز/يوليو ١٩٧٥، دلّ على أنه كان مخططاً، فبعد ظهر ذات يوم عيّن موعداً للقاء شخصين عند الساعة الثانية ودون أن يخبر زوجته إلى أين هو ذاهب، وغادر منزله في بيغ سكوير ليك، التي تبعد أربعين ميلاً عن ديترويت، وانطلق في سيارته البونتياك. وعند الساعة الثانية والنصف اتصل بزوجته إذا ما كان أحد اتصل به. وكان هذا آخر ما سمعته منه زوجته.

وعندما وجدت الشرطة سيارته في موقف السيارات التابع لمطعم الثعلب الأحمر في بلوفيلد بالقرب من ديترويت، ظنوا أنهم سيحصلون على جثته في صندوق السيارة. ولكن الصندوق كان خالياً. كان طوني برو يلعب الورق في نيوجرسي عند اختفاء جيمي هوفا. وقال دون أن يرمش له جفن عندما بلغه الخبر. «كان جيمي ولازال صديقاً لي.»

وكان طوني جياكولاني المتهم الآخر.. وهو تماماً كطوني برو لديه دلائل إثبات على أنه لم يكن موجوداً في مكان حدوث الجريمة. وكان موجوداً آنذاك يمارس الرياضة في أحد النوادي. وأدلى شوكي أوبريان أنه كان في النادي نفسه. في نفسه الوقت وعندما سأله جيمي، ابن هوفا، أن يخضع نفسه لجهاز كشف الكذب، رفض فوراً. ووجد كلاب الشم آثار هوفا في سيارة أوبريان ولكن ذلك لم يكن ليفيد التحقيق بشيء.

وبعد عدة أشهر من اختفاء هوفا، ذكر شهود عيان ثلاثة أشخاص من المشاغبين الأعضاء في اتحاد طوني برو وادّعوا أنهم شاهدوهم في السيارة مع هوفا بعد ظهر اليوم الذي اختفى فيه. وعندما سئل الثلاثة عن صحة ادعاء الشهود امتنعوا عن الإجابة. ولكن مخبراً كان في مهمة في السجن ويجلس مع مجموعة من السجناء قال للمحكمة إن واحداً من أعضاء إتحاد طوني برو ويدعى طوماس أندريتا جاء إليه في السجن فور اختفاء هوفا قائلاً إن الأخوين بروغليو قتلا هوفا ووضعا جثته في برميل زيت ودفناه في الغابة.

أما فانست بير سانتي، رئيس فريق عمل الجريمة المنظمة في ميتشيغان فقال، ومن وجهة نظره طبعاً، إن اختفاء جيمي هوفا يعود

إلى حادث ما. وعلى كل فإن هوفا كان أمامه طريق طويل ليستعيد مكانته في الاتحاد ولا مصلحة لأحد في قتله.. وقال أيضاً إن هوفا مات ربما بسبب سكتة قلبية بعد ظهر ذلك اليوم بسبب مشادة عنيفة مع الرجال الذين كان يلتقيهم.

وروى مخبر آخر قصة أخرى عندما قال إن هوفا كان متورطاً مع المافيا في مؤامرة لاغتيال فيدل كاسترو، وأنه عندما تخاصم مع شركائه، قرروا قتله ليمنعوه من فضح أمرهم.

وورد كثير من المعلومات في حديث هوفا إلى ابنه جيمس الذي كان يزوره في السجن.. وقال له إنه عندما يعود ثانية إلى الاتحاد سيصلح كل الأضرار التي ألحقها به وسيطرد كل اللصوص والقتلة. وكان واضحاً أن هوفا قادر على فعل ذلك. ولكن يبدو، وهذا محتمل، أن المافيا هي التي فعلت ذلك.. وفوتت على هوفا تنفيذ قرار اتخذه قبل أربعين سنة.

٣

من قتل جورجينا مور

في كتاب اسمه «جريمة ارتكبها أشخاص مجهولون» من تأليف هـ.ل. آدم (١٩٣١) والمتخصص في الكتابة عن الجريمة، هناك فصل تحت عنوان: «من قتل جورجينا مور؟». والقصة التي يرويها آدم هي كالتالي:

بعد الغداء يوم ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٨٦١، عادت فتاة تدعى جورجينا آن مور، سبع سنوات ونصف السنة، عادت إلى مدرستها في بيمبليكو وانقطعت أخبارها. كان يفترض فيها أن تعود إلى منزلها في الرابعة بعد الظهر.. وعندما لم تعد حتى الساعة الرابعة والنصف، ذهبت أمها السيدة ماري مور تبحث عنها. ولكنها لم تجدها.. وهنا سارعت بإرسال رسالة إلى زوجها ستيفان إلى حيث كان يعمل في موقع للبناء وأخبرته تفاصيل ما حدث. وأمضى ستيفان وعدد من أصدقائه طوال مساء ذلك اليوم وجزءاً من الليل يبحثون عن جورجينا، ولكنهم لم يعثروا على أي أثر لها.

وفي صباح اليوم التالي قال أحد الأطفال لماري مور إنه رأى جورجينا تتحدث إلى امرأة طويلة القامة ترتدي معطفاً خفيفاً بعد

غداء يوم أمس. وبدا للسيدة مور أن الأوصاف التي ذكرها الطفل تنطوي على صاحبة البيت السابق، السيدة ايستر باي، والتي كانت ترتدي دائماً مثل هذا النوع من المعاطف.

وبالفعل لم يكن هناك سبب يدعو ماري مور لتحب ايستر باي.. إذ أن زوجها ويليام كان قد أنذر عائلة مور عندما اكتشف أن ستيفان مور على علاقة مع زوجته، ايستر. وانتقل آل مور إلى منزل آخر لا يبعد كثيراً عن المنزل الأول وأقاموا في شارع وينشستر. واستمر ستيفان في علاقته مع ايستر، يتسلل إلى سريرها في ساعات الصباح المبكرة بعد ذهاب زوجها إلى العمل، إذ هكذا كانت تقضي طبيعة عمله. وفي ذلك الصيف وجد ويليام باي أن العلاقة بين الاثنين لا زالت مستمرة، ففقد صوابه وأقدم على ضرب زوجته ضرباً مبرحاً.. وبعد تلك الحادثة قرر ستيفان قطع علاقته بها.. وأنه يفعل ذلك، كما أخبرها، لمصلحتها.. وبالفعل، فقد تحولت انتباهاته الغرامية إلى مكان آخر.

وهذا ما دعا السيدة مور إلى أن تذهب إلى ٥١ شارع وستمورلند لتعرف إذا ما كانت ايستر باي رأت ابنتها فعلاً. وكانت ايستر تبادل ماري الكراهية نفسها، فقالت ببرود إنها لم تر ابنتها وأقفلت الباب فوراً في وجهها. وبعد أسبوعين من اختفاء الفتاة، اتصل ضابط الشرطة المكلف بالتحقيق في القضية، هنري مارشال، اتصل يوم ٥ كانون الثاني/يناير ١٨٨٢ بايستر باي. ونفت هذه الأخيرة مرة ثانية أن تكون رأت الطفلة قبل اختفائها. وعندما سألته لماذا جاء يراها، أجابها: «لأن هناك شائعات بأنك أخذت الطفلة بعيداً..» وأصرت ايستر على رفضها وقالت إنها كانت وقت وقوع الحادث عند شقيقة زوجها كاري باتلر.

وفي ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٨٨٢ كان زورق صيد كبير يعبر نهر ميدواي عند يالدنغ في مقاطعة كنت.. وفجأة شعر بحاره الفريد بينبورن أن شيئاً ثقيلاً يشد صنارته في قاع النهر.. رفع الصنارة بقوة واكتشف أنها كانت عالقة بجسد طفل.. طفا إلى السطح.

رفع البحار الجثة فوجدها مربوطة بسلك وساقاها مثبتة تحت الذقن.. وألقيت في النهر مشدودة إلى قرميدة لتمنعها من الطفو.. ولاحظ البحار أن الجثة كانت بدأت تتحلل.

تمّ إعلام الضابط المحقق مارشال الذي سارع إلى يالدنغ. وأيقن أنه وجد فعلاً جثة جورجيا مور.. وخاصة بعد أن كان عرف أن قبعة من القش كانت وجدت معلقة بخشبة تطفو على سطح الماء قبل أسبوعين.. وأنها كانت قبعة جورجينا. وبدا المحقق قلقاً عندما عرف أن اسم البحار الذي وجدها يدعى جيمس هامفري وأن ايستر باي، قبل زواجها، مولودة هامفري.. وكان جيمس هامفري عمها فعلاً. وبالفعل كانت ايستر مع عائلة جيمس هامفري في قرية نيفلستيد عندما تم العثور على الجثة.

وبدا للمحقق أن الأمر قد يكون، وإلى حدٍ بعيد، مجرد صدفة.. ولكن ليس إلى هذه الدرجة.

وفي صباح اليوم التالي وصل ستيفان مور إلى يالدنغ وتعرف إلى جثة إبنته. وعاد المحقق واستدعى ايستر باي من جديد، التي أبدت إمتعاضاً وسألت المحقق:

ـ كيف عرفت أنني هنا.

ـ ألم تسمعي أمس أن جثة طفلة وجدت في نهر ميدواي، خلف منزلك؟

ـ لا.

ـ يجب أن أقبض عليك بتهمة سرقة الطفلة. وستوجه إليك تهمة المسؤولية عن موتها.

ـ يجب أن تبرهن ذلك.

قامت الشرطة بتفتيش المنزل وعثرت في حقيبة يد صغيرة على رسالة من ايستر إلى ستيفان مور.. تدعوه فيها «عزيزي» وتطلب إليه أن يكتب إليها وتقول أيضاً: «إذا عرفت أو سمعت بشيء، أخبرني في الحال.. مسكين أنت يا عزيزي الصغير. آمل أنك ستجدها.»

نقلت ايستر باي إلى مقر الشرطة المحلية وهناك أوكلت حمايتها إلى أحد الجنود.. وقالت له: «أستغرب جداً إذا لم يكن ستيفان مور لايعرف شيئاً. إنه فنان جداً.. فتشوا عليه.. أنا أعرف أن علاقاته سيئة مع زوجته.. وأنه الآن تخلص من جورجينا.. وإذا لم تفعلوا ذلك الآن.. فهو سيهرب كما ويستحيل عليكم القبض عليه فيما بعد.»

وأعربت عن المخاوف نفسها أمام الضابط المحقق عندما عاد لاسنجوابها. كان ستيفان مور يقف عند مدخل المركز، ورفض المحقق مارشال أن يسمح لايستر بالتحدث إليه. ولكنها قالت: «لا تدهش إذا ما تملّص من الإجابة. وإلا خسرت.. ووجدت أن المذنب الأكبر في القضية قد فر وتبخر.»

وفي وقت لاحق، وعندما كانت في القطار بدأت تميل إلى عكس هذا التصريح، وقالت إنها تعتقد أن جورجينا قتلت بمعرفة ستيفان مور. وقالت: «كان يخدم النساء بشكل سيىء، وبعضهن

كن أسوأ مني.. وخدمني أنا بشكل سيىء جداً جداً. لماذا لا تكتشفونهن.. وعندئذٍ يمكنكم أن تهدوا إلى الأثر الصحيح»

وبالفعل كان ستيفان مور فتى جميلاً، ذا شاربين أسودين.. ويشبهونه بكازانوفا. تزوج قبل ثمان سنوات، وبعد رزق منها بولد.. ثم انتقلا إلى باث، حيث ولدت جورجينا.. وهناك بدأ ستيفان مور علاقات عاطفية جديدة مع سيدة تدعى إيما أروين وهي أرملة تشرف على إدارة بقالة صغيرة وادّعى ستيفان أمامها أنه غير متزوج.. وأنجبت منه طفلاً لم يعمر سوى ثلاثة أيام. ويبدو أن زوجته عرفت بالأمر وعادت إلى منزل أهلها وأخذت الطفلين معها. انتقل مور إلى لندن واستمر في علاقته الغرامية مع إيما أيروين، ولكن عندما التقى شقيقتها أليس داي قرر أن يضيفها إلى لائحة عشيقاته.. ووقعت في حبائله كشقيقتها.. وليس بوقت طويل بعد ذلك، عادت ماري مور والطفلان والتحقوا به في لندن وأقاموا في ٥١ شارع وستمورلند. وفي العام ١٨٧٩ أعلنت أليس داي أنها حامل. ونفى ستيفان مور أي علاقة له بذلك وأبعدها عنه على أمل ألا يراها بعد ذلك إطلاقاً. وعندما عرفت إيما أيروين بما حدث، قطعت كل علاقة لها مع ستيفان مور.

وفي تلك الأثناء كان مور قد بدأ يفكر بعشيقة أكبر وأهم هي ايستر باي. وكان أصحاب المنزل قد انتقلوا منه وعاد إليه ويليام باي مع امرأته ايستر. وكانت هذه الأخيرة امرأة طويلة، شعرها طويل وأسود وفي سن الخامسة والثلاثين.

وبعد أن ضرب ويليام زوجته وقطع مور العلاقة معها.. قرر هذا الأخير إقامة علاقات غرامية مع فتاة تدعى كارول وفتاة أخرى تدعى ميد منت تعيشان بالقرب من ريجنت بارك.

وبعد ثلاثة أيام من اختفاء جورجينا اتصلت ايستر بشركة البناء حيث كان يعمل ستيفان. وهو كان الآن قد حلق شاربيه الأمر الذي جعل ايستر تتأثر جداً بمظهره الجديد.. وأخبرته أنها جاءت تتحدث إليه حول موضوع ضياع الطفلة.

وقبل أيام قليلة من اكتشاف جثة جورجينا التقيا مرة ثانية في سليوان سكوير ثم تمشيا عبر هايد بارك وتوقفا عند أحد البارات. ثم عاد إلى مسكنها ـ وهي كانت الآن قد تركت زوجها ـ وبدا أن نوعاً من المصالحة قد قام بينهما. وأخبرته بأنها تنوي زيارة أهلها في يالدنغ في اليوم التالي. ويمكننا أن نفترض بأن الإثنين عادا عاشقين مرة ثانية ومن واقع أن مور قد التقاها مرة ثانية في محطة شيرنغ كروس وهبطا إلى شارع ستراند وهناك شربا كأس نبيذ معاً ثم اشترى لها بعض الأزهار الجميلة وأخذها إلى محطة القطارات.

وفي المساء الذي اقتيدت فيه ايستر إلى لندن، استطاعت مواجهة ستيفان من قفص الإتهام في مقر شرطة وستمنستر.. ودون أن تلتقي عيونهما، قال مور: «كنت دائماً اعتبرك بريئة في هذه القضية.. ولكن الآن وبعد أن تم اكتشاف الجثة بقرب منزلك تغيّرت فكرتي. واعتقد أنه يجب اتهامك وتوريطك بالجريمة». وأجابته ايستر: «كيف يمكنك أن تقول هكذا؟»

وبعد هذا الحوار المقتضب اتهمت ايستر بجريمة قتل جورجينا مور.

كانت ايستر محقة في شيء واحد. وعندما أربكت قصة ستيفان مور الحياة العاطفية فهي جعلتها ملكاً للجمهور، ووجد مور نفسه قد خسر كل شعبيته. وأثناء جنازة جورجينا في الرابع من شباط/فبراير، تعرّض لتحرشات الناس الأمر الذي جعل الشرطة

تضرب من حوله طوقاً أمنياً لحراسته من غضب المشاركين في المأتم ومهاجمته.

بدأت محاكمة ايستر باي في قصر لويس في ٢٥ نيسان/أبريل ١٨٨٢ وامتدت لفترة ثلاثة أيام. كان القاضي بارون بالوك وكان المدعي العام هنري بولاند وتولى الدفاع عن ايستر باي إدوارد كلارك.

بدأ المدعي العام بولاند مداخلته فوصف كيف تعارف آل مور وآل باي عندما عاشوا معاً في منزل واحد ومن هنا هامت ايستر بجورجينا وكيف أنزلق ستيفان مور وايستر في علاقات عاطفية جارفة.. وقال أيضاً كيف أن مور ترك زوجته مباشرة بعد أن أنهى علاقاته مع ايستر وانتقل مع الآنسة ميد منت إلى مكان قرب ريجنت بارك، وعاش معها هناك حوالي الستة أشهر. وهو بالفعل كان لا يزال مع الآنسة ميد منت عندما اختفت جورجينا. كان يحب ابنته جداً إلا أنه أصرّ على أن تذهب وتقضي عطلة الميلاد معه عند الآنسة ميد منت. ولكن قبل أسبوع من العثور على جثة ابنته، كان مور انتقل من منزل الآنسة ميد منت وعاد إلى زوجته.

وكان يُنظر إلى ستيفان مور الآن على أنه شقي وابن حرام.. ولدى العديد من النساء ما يدعوها للإنتقام منه.

وتابع المدعي العام بولاند فقال أنه في يوم اختفاء جورجينا لم تشاهد ايستر باي في لندن بعد الساعة الثانية عشر والدقيقة الخامسة عشرة وانها لم تعد الى منزلها عند الحادية عشرة في تلك الليلة. وما حدث في ذلك الوقت، وفقاً لأقوال المدعي العام بولاند، هو ان ايستر قامت بخطف جورجينا وهي في طريقها إلى المدرسة، وأخذتها إلى يالدنغ، وخنقتها هناك، ثم ربطتها بسلك

ورمتها في النهر. وسمع رجل في منزل قريب بكاء في تلك الليلة.

ولو كان قول المدعي العام صحيحاً فهذا معناه أن ايستر حملت القرميد والسلك في حقيبة عندما ذهبت للقاء جورجينا.. وهذا يعني أنها ارتكبت جريمتها وخططت لها بهدوء وبرودة أعصاب.

كان لا يزال هناك بصيص من الفائدة عندما ظهر ستيفان مور في المحكمة.. واعترف بأنه كان على علاقة لا أخلاقية مع ايستر باي وأن هذه العلاقة استمرت حتى بعد أن قام زوجها بطردهما خارج المنزل. وعن ايستر قال: «كانت لطيفة جداً مع ابنتي، وبدت الأخيرة متعلقة بها جداً.»

وذهب مور إلى أبعد من ذلك فقال إنه ترك زوجته في تشرين الأول/اكتوبر وذهب ليعيش مع الآنسة ميد منت في ريجنت بارك. وتحدث عن اختفاء ابنته وكيف أنه التقى بالتالي ايستر ولكنه دون أن يذكر أنه كان في غرفتها.

واعترف مور أنه أثناء علاقته مع ايستر كان يزور أهلها من حين إلى آخر في يالدنغ.. وأدت اعترافاته إلى تدعيم فكرة الذين ظنوا أن رجلاً ذكياً كستيفان مور ربما كانت لديه أسباب ليتخلص من ابنته.. وثبت أن مور كان في العمل عند اختفاء جورجينا.

وظهر من خلال اعترافاته أن مور كان لا أخلاقياً جداً وأكثر مما يمكن أن يتصوره. وتأكد للمدعي العام أن لديه الآن دليلاً قاطعاً على أن مور كان متزوجاً من امرأتين في آن واحد.

واعترف مور أنه عندما كان يعمل نجاراً في منزل في كينسنغتون التقى خادمة شابة تدعى الآنسة كارول وبدأ معها علاقة عاطفية.

وعندما سئل عن الآنسة ميد منت، قال إنها الآن عادت إلى زوجها.

وسئل أخيراً إذا كان عرف أين كانت عشيقاته السابقات في اليوم الذي اختفت فيه ابنته، فقال إن ليس لديه فكرة أين كانت السيدة أيروين أو أليس داي في ذلك الوقت ولكنه كان أكيداً أن الآنستين كارول وميد منت كانا على مقربة من بيمليكو، حيث اختفت ابنته.

وتأكد لدى المدعي العام أن واحدة من عشيقات ستيفان مور هي التي قتلت ابنته جورجينا مور.. والسبب البارز هو الانتقام.. وأشارت كل الدلائل إلى ايستر باي على أنها القاتلة.

وبدأ المدعي العام يجمع الأدلة.. فاستمع إلى السيدة مور، وكانت في حالة انهيار، فقالت أن ايستر باي كانت لطيفة جداً مع جورجينا واعتادت أن تأخذها في نزهات وتشتري لها الحلوى والالعاب. وأضافت أن جورجينا كانت فتاة خجولة جداً. كانت التهمة واضحة.. وإن جورجينا ما كانت لتذهب مع غريب.. ولكنها ذهبت مع ايستر باي.

وشهد فتى صغير، سبع سنوات، إنه شاهد جورجينا مع ايستر باي بعد الغداء، أي يوم اختفائها. وأخذ الولد ليتعرف إلى المرأة التي قال إنه شاهد جورجينا معها.. وعلى الفور تقدم ولمس ايستر باي.

وشهد شرطي، يدعى هيل، كيف أنه بعد الساعة الثانية من يوم اختفاء جورجينا شاهد امرأة وفتاة تسيران نحو جسر أبوري. وقال إن المرأة كانت ترتدي معطفاً خفيفاً وقبعة سوداء. وهو أيضاً تعرف إلى ايستر باي أثناء عملية استعراض للمتهمات.

لم يكن بالإمكان بلوغ يالدنغ مباشرة من شيرينغ كروس وكان على المسافرين أن يغيروا القطار في بادوك وود.. وهناك قال شخص يدعى شارل بارتون كيف أنه ذات يوم اقتربت منه امرأة وطفلة الساعة ٤,١٢ بعد الظهر (والقطار من لندن وصل إلى بادوك وود في نفس الوقت). ولم يكن قادراً على القول ما إذا كان الطفل انثى أم ذكراً، لأنه كان ضعيف النظر. أرادت المرأة أن تعرف كم يكلف الانتقال بالعربة إلى يالدنغ وعندما قال لها إن التعرفة هي أربع شلنات، امتعضت وأجابت: «هذا كثير». ولكنه قال لها إن بامكانها أن تدفع فقط ثلاث بنسات وتسافر في القطار.. وأن هناك واحداً سيمر بعد دقائق قليلة.. واستغرب الرجل عندما أجابته: «لا. لاأريد أن أسافر في القطار.»

الشاهد الثاني كان فتى في سن التاسعة عشرة والذي كان عرف ايستر باي قبل فترة يوم كانت عازبة وتدعى ايستر هامفري.. وقال إنه قبل أسبوع من عيد الميلاد كان يقف أمام كنت أرس حوالي الرابعة والربع بعد الظهر عندما شاهد امرأة وفتاة صغيرة تمرّان أمامه وأن المرأة كانت ترتدي معطفاً خفيفاً وتحمل على ما يذكر، حقيبة، أو رزمة.

كانت الطفلة تسير خلف المرأة مرهقة.. وقالت لها الأخيرة: «هيا.. أسرعي يا عزيزتي.». وعندما تخطّته عرف أنها ايستر هامفري. والغريب أنه لم يستطع أن يتعرف عليها عندما عرضت عليه.. إنما هي عرفته.. وكانت هذه أول نقطة تسجل لصالح ايستر.

وادعى ثلاثة شهود آخرون أنهم رأوا امرأة وطفلة بعد ظهر ذلك اليوم نفسه. واحد منهم كان امرأة صاحب بار في برنشلي في

جنوب بادوك وود. وقالت المرأة كيف انها بعد ظهر السبت في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر، بين الرابعة والخامسة، رأت امرأة غريبة تدخل البار وتطلب كأس ويسكي مزدوج وتحمل رزمة تحت إبطها. وقالت انها لم تر طفلة معها.. وسئلت اذا ما كانت تعرفت إلى ايستر في قفص المحكمة، فأجابت.. لا. ولكن عاملاً يدعى ستيفان بارتون قال إنه كان في البار عندما دخلت المرأة إلى البار.. وعندما غادرته.. وعندما نظر من النافذة لاحظ أن طفلة كانت برفقتها. وأضاف إن المرأة كانت تضع غطاء اسود فوق رأسها.. وقد يكون ذلك هو سبب عدم تعرف صاحبة المنزل إليها.

وقال توماس جود، صاحب حانة نيويورك إن، القريبة من يالدنغ، إنه ليلة السبت في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر وحوالي الساعة السادسة والنصف دخلت امرأة وطفلة إلى الغرفة الأمامية في الحانة، وبدت له الطفلة خائفة ومتعبة جداً.. اشترت المرأة علبتين من البسكويت وأعطت الطفلة واحدة منها. وعندما عرضت عليه صورة لجورجينا مور، قال إنه يعتقد أنهاالطفلة نفسها التي شاهدها مع المرأة. بقيا في الحانة حوالي نصف ساعة ثم انصرفا.. وسمع المرأة تقول للطفلة: «هيا يا عزيزتي. كلي البسكويت.»

وذكر شاهد عيان يدعى جورج برادلي، وهو عامل عاش بالقرب من رالوي أن يالدنغ ليس بعيداً عن المكان الذي وجدت فيه جثة جورجينا، ذكر أنه سمع بكاءً في تلك الليلة مصدره جهة النهر. ولكنه لم يتأكد من الوقت.. إنما يعتقد أنها كانت حوالي التاسعة وربما أكثر على ما يعتقد. ذهب حتى الباب ونظر في الظلمة ولكنه لم يتمكن من رؤية أي شيء.

ومثل أمام المحكمة عدد آخر من الشهود وأفادوا أنهم شاهدوا

ايستر باي في صباح اليوم التالي مع أمها في محطة القطارات في يالدنغ (وفيما بعد أفاد والد ايستر أن ابنته لم تكن في المنزل منذ آب الماضي وأن زوجته لا يمكن أن تكون ذهبت إلى المحطة في ٢١ كانون الأول/ديسمبر لأنها كانت تعاني من حالة عصبية بالغة جعلتها تلازم المنزل وتلف رأسها بعصبة بيضاء لمدة أسبوع).

وبعد ذلك استدعى المدعي العام عدة شاهدات ليتحدثن عن مزايا وطبائع ايستر باي. واحدة منهن. وكانت جارة للمتهمة، قالت كيف ان ايستر اخبرتها ان ستيفان مور كان رجلاً سيئاً جداً وكيف أنها ستؤدبه كما يجب أو «تقتله». وقالت كاري روتر إنه ليس صحيحاً أنها هي وايستر باي كانا يتسوقان في فولهام رود بعد ظهر ذلك اليوم.. وحتى أنها لم تر ايستر يوم ٢٠ كانون الأول/ديسمبر.. وأن ايستر لم تخبرها إلا يوم ٢٣ بأنها كانت مع السيدة هاريس في مكان ما. وبما أنها لا تريد أن تسبب لهذه الأخيرة المتاعب، ولهذا تريدها أن تدعي بانهما كانتا معاً بعد ظهر ذلك اليوم.. ويبدو من ذلك أن ايستر كانت تحاول إيجاد بديل لها لتغطية الجريمة.

وفي اليوم التالي قال الرجل الذي تولى فحص محتويات أمعاء جورجينا إن ما وجده يشبه الشمع المذاب بالبسكويت وأنه كانت تنبعث منها رائحة كرائحة الأناناس مما يدل على أن الطفلة تناولت شيئاً من الحلوى المزوجة بهذه الفاكهة ليس قبل وقت طويل من موتها.

وحالاً بعد ذلك أكد شاهد أن ويليام باي، زوج ايستر باي ـ وهو متهم واضح آخر ـ كان يعمل طوال النهار الذي اختفت فيه جورجينا مور.

كل هذا دعّم الخلاصة التي انتهى إليها الإدعاء وهي أن ايستر باي اعترضت طريق جورجينا وهي في طريقها إلى المدرسة في ذلك النهار وأخبرتها قصة ما ـ وعلى الأرجح أنها حصلت على إذن من أمها لتأخذها معها إلى يالدنغ. والقطار الذي ترك شيرنغ كروس عند الساعة الثانية والدقيقة الثانية والخمسين وصل إلى بادوك وود عند الساعة الرابعة والدقيقة الثانية عشرة. وقطار آخر ترك بادوك وود إلى ميد ستون عند الساعة الرابعة والدقيقة التاسعة والعشرين ووصل إلى يالدنغ بعد دقائق قليلة. ولسبب ما قررت المرأة أن تأخذ الطفلة في طريق دائري بدل أن تأخذها في القطار. ألا يفترض ذلك الاعتقاد بأنها كانت قلقة من أن يراها أحد ما تخرج من القطار في يالدنغ ومعها الطفلة؟ وبدلاً من ذلك أجبرت الفتاة المسكينة على أن تمشي مسافة أميال ولمدة أكثر من ساعتين. وفي يالدنغ ـ ودائماً وفقاً لأقوال الإدعاء ـ أخذت جورجينا إلى حافة النهر، وهناك خنقتها ورمتها فيه. وكان طافحاً بسبب مياه السيول.. وربطتها بالسلك الذي ربما كانت تحمله في الرزمة التي لم تفارقها أبداً.. كما شدّتها إلى قرميد كانت حملته معها من لندن كي لا تطفو جثة الطفلة على سطح مياه النهر.. وبعد أن انتهت، عادت إلى منزل أهلها وقضت الليل هناك ثم عادت صباح اليوم التالي إلى لندن. وعندما سألها المحقق مارشال أين كانت بعد ظهر يوم اختفاء جورجينا قالت إنها كانت تتسوق مع كاري روتر. وأخبرت صديقاً آخر أنها كانت تريد أن «تؤدب» أو «تقتل» ستيفان مور. وماذا يمكن أن يكون أوضح من أنها قتلت جورجينا مور للإنتقام؟

وتولى الدفاع عنها إدوارد كلارك (السير إدوارد فيما بعد)..

وشهد والدها وقال إن ابنته لم تعد إلى المنزل أبداً يوم ٢٠ كانون الأول/ديسمبر.. وتلاه في الشهادة والدة ايستر، السيدة هامفري، التي قالت إنها لم تشاهد ابنتها منذ شهر آب/أغسطس الماضي.. وأنها تعرضت لأزمة صحية منذ ١٥ كانون الأول/ديسمبر وهي بالتالي ليست المرأة التي شوهدت مع ايستر في محطة قطارات يالدنغ صباح الحادي والعشرين من كانون الأول/ديسمبر. وأكد شهود آخرون أن السيدة هامفري كانت مريضة فعلاً طوال أسبوع الميلاد.

وقال إدوارد كلارك في دفاعه إنه متأكد من أن ليس هناك امرأة تصل بها البربرية لاستدراج طفل في البلد وترتكب جريمة قتل مرعبة ثم تقذف بها إلى قاع النهر.. وادعى أن عملاً كهذا يتطلب «قوة بشرية فائقة» لقذف جثة إلى عمق ثمانية أقدام.

والبديل، كما اقترح، هو أن جورجينا قتلت في لندن، وليس بوقت طويل بعد آخر مرة شاهدتها فيها أمها.. وأن جثتها أخذت إلى يالدنغ وقذفت في النهر، فهذه محاولة لاتهام ايستر. ويعتقد كلارك أن السلك الذي ربطت به الجثة ما هو إلا عمل قام به رجل. وعلاوة على ذلك، وكائناً من كان الذي قام بالعمل هذا فهو ترك ثمانية أقدام بين الجثة والقرميدة. وإذا كان ذلك الشخص يقصد أن يبقى الجسد في قاع النهر، فإنه هو ـ أو هي ـ كان عليه أن يربط القرميدة بالجسد. وترك ثمانية أقدام هذا يعني أن الجسد سيطفو بدون شك على سطح الماء ويتم العثور عليه. وبالتالي اتهام ايستر.

وإذا كانت ايستر حقيقة اختطفت الطفلة وأخذتها من بادوك وود إلى يالدنغ سيراً على الأقدام، فبالتأكيد أنها كانت لتتجنب

الظهور في البارات التي شاهدها فيها شهود عدة؟ وبالفعل فإن أكثرية الشهود الذين ادعوا أنهم شاهدوها في ذلك اليوم، فشلوا في التعرف إليها فيما بعد.

وأضاف المحامي إدوارد كلارك وبالتأكيد فإن واقع وجود وجبة لم تهضم في أمعاء الطفلة يفترض أن الجريمة لم ترتكب في يالدنغ. فإن كل ما أكلته الطفلة بين بادوك وود ويالدنغ ـ وفقاً لأقوال صاحب نيو إن ـ هو بسكويتة واحدة.

وقال علاوة على ذلك أن ليس من امرأة تقدم على قتل طفل إلى جانب نهر كان فائضاً ـ وفقاً لأقوال شاهد كان يعمل في البار ـ ثم تقوم برمي الفتاة والقرميدة على مسافة ثمانية أقدام في النهر.

وحتى لو أن ايستر أخذت الطفلة وسارت بها على طول الطريق إلى يالدنغ لتقتلها، فإن آخر عمل تقوم به تلك الليلة كان أن تبقى مع أهلها في يالدنغ وتعود من المحطة المحلية في الصباح التالي حيث كانت مدركة تماماً أنه سيتم التعرف إليها؟

وعندما جلس كلارك كان هناك تصفيق اضطر القضاة إلى منعه بالقوة. ولم يكن هناك شك أن كلارك حوّل القضية ضد ايستر لتأخذ طابع الغموض والإبهام وأن عدداً من الناس في المحكمة وافقوه على رأيه.

وكل ما بقي الآن للسيد بولاند هو أن يقدم تقريره النهائي للإدعاء. فكرر بكل بساطة قاعدته الأساسية ـ وهي أن ايستر لم تشاهد في لندن منذ بعد ظهر اختفاء جورجينا مور وحتى بعد ظهر اليوم التالي.. وبمعنى أدق أنها كانت غائبة لمدة ٢٤ ساعة.

وأقرّ المحامي أنه كان صحيحاً أن الدليل ضد ايستر كان عرضياً بكامله. ولكن هل هو مقنع بالتأكيد؟

وكانت الخلاصة التي انتهى إليها القاضي بارون بولوك دقيقة ومتوازنة. وكان على المحكمة أن تقرر ما يمكن تأن تقبله وما يمكن أن ترفضه. وإذا كان هناك أي شك فإنه سيكون في مصلحة السجين. ومن جهة ثانية، أضاف القاضي «أن امرأة وطفلة شوهدتا في عدة مراحل تسافران من لندن إلى يالدنغ عبر بادوك وود» واعتبر أن الدليل الذي قدمه صاحب نيو ان كان مقنعاً بشكل خاص.

واستبعد القاضي فكرة أن يكون ستيفان مور ساهم بقتل ابنته.. وواقع أنه كان رجلاً فاسداً وبدون اخلاق لا يدل على أنه أقدم على قتل ابنته. ولم يقترح أحد أن ستيفان هو القاتل.. وأثار بولوك هذه الإمكانية فقط ليهزأ من ستيفان مور ويسميه بالمنحرف واللاأخلاقي.

وعند الخامسة والنصف بعد ظهر ٢٨ نيسان/أبريل ١٨٨٢، إنسحبت المحكمة للتداول وعادت بعد عشرين دقيقة. واحضر السجين من زنزانته ولم يظهر عليه أي توتر عندما كانت تتلى أسماء القضاة.. ثم أعلن الرئيس أن المحكمة لم تجد السجين مذنباً. وهذه المرة لم يوقف القاضي التصفيق الحاد الذي دوي في أرجاء القاعة.. وانحنت ايستر أمام القضاة وشكرتهم. إلتفّ أقاربها من حولها يقبلونها ويعانقونها وخرجت من قاعة المحكمة...

ويوجز الكاتب آدم رأيه في المحاكمة فيقول إن المحامي كلارك قدم دفاعاً رائعاً وكان مسروراً جداً وهو يرى زبونه يبرأ ويطلق سراحه.

ويذهب آدم إلى أبعد من ذلك ويسأل «إذا ما كان يوجد في

نظام التحقيق البريطاني دليل على فشله أكثر وأقوى من الدليل الذي برز في قضية ايستر باي. وقال إنه لم يحدث أن بذلت جهود ضعيفة بهذا القدر لتحديد هوية سجين متهم.»

فالشاهد الذي ادعى أنه رآها في بادوك وود كان سائق عربة ويدعى شارل بارتون، اعترف بأن نظره ضعيف. ولكنه ادعى أيضاً أن ايستر قالت إنها لا تعرف كم كانت المسافة ما بين بادوك وود ويالدنغ. وكان هذا قولاً غريباً. وكمولودة في المنطقة فلا بد أن ايستر تعرف بالضبط كم هي المسافة الحقيقية بين بادوك وود ويالدنغ.

وتحدث آدم عن عدد الناس الذين ادعوا أنهم رأوا ايستر على ذلك الطريق بين بادوك وود ويالدنغ وأشار إلى حالة شهيدة أخرى من خطأ التعرف، وهي تدور حول أدولف بك، وهو رجل كان سجن خطأ بسبب حالات غش بعد شهود تعرفوا إليه على أنه هو الغشاش نفسه.. ولكن اتضح فيما بعد أن الجاني كان شخصاً آخر.

ويقول آدم إنه من الممكن تقريباً وحتى من المحتمل أن هؤلاء شاهدوا امرأة ولكنهم لم يروا ايستر باي. كما أن شهادة العامل الذي قال إنه سمع بكاء، هي ليست بذي أهمية. كما أن الدليل الذي قدمته المرأتان اللتان افتكرتا أنهما شاهدا ايستر في محطة يالدنغ للقطارات في صباح اليوم التالي لم تثبت ولم يوافق عليها أهل ايستر.

ويسأل آدم لماذا حاولت ايستر أن تأخذ بديلاً عنها يوم اختفاء جورجينا مور؟ والجواب على ذلك السؤال هو أنها في ذلك اليوم كانت على موعد سري مع رجل آخر، وأنها اخترعت قصة ما

لتغطي هربها، في حال عرف زوجها بالخبر.

ودائماً بالاستناد إلى آدم فإن القبعة التي وجدت فوق غصن الشجرة كان لها معنى كبير جداً. فهي ربما وقعت هناك عند إلقاء الجسد في النهر ـ والذي يشير إلى أن الماء كانت عالية في النهر تلك الليلة.

وكان هذا أمراً بعيد المنال بالنسبة لأمرأة كي تقف فوق الضفة وتخنق الطفلة.

وكما فعل إدوارد كلارك، فقد أشار آدم إلى أن السلك من فوق الجثة كان ثخيناً ومشدوداً بقوة.. وأنه لا يمكن أن يشد هكذا إلا بيد رجل قوي وكائناً من كان الذي رمى الجثة في النهر، فإن هدفه كان واحداً.. ألا وهو اتهام اليستر.

وخلص آدم إلى القول: «أما فيما يعود حقيقة إلى من اقترف الجريمة، فإن القارىء يجب أن يبر نفسه. ويبدو أنه لم يكن هناك من سر لكلٍ من القاضي أو المجلس في القضية. وكما تم وصفه سابقاً، فإن الطفلة كانت خجولة ولا تذهب مع أي شخص غريب عنها. السبب كان الانتقام. ولم تكن ايستر، لأنها كانت متعلقة جداً بالطفلة، وتحدثت أكثر من مرة وقالت إنها تريد أن تتبناها.. ولم تتخاصم مع آل مور، «وإذا كانت الشرطة قد موهت بفكرة أن ايستر مذنبة وغرقت في عملية إثبات ذلك فإنها ربما كانت ألقت القبض على الجاني الحقيقي. ولكنها جاءت متأخرة.»

وما يرمي إليه آدم في ذلك هو أمر واضح تماماً ـ فالمتهم الأساسي كان ويليام زوج ايستر الذي كان لديه سبب الإنتقام من ستيفان مور. الطفلة عرفته كما عرفت زوجته ولا بد أنها ذهبت معه.

ويعيد الكاتب جون غودوين في كتابه «قتلة مجهولون» ـ١٩٦٠ ـ صدى فكرة آدم. ويقول في فصل خصصه لقضية ايستر باي أن هناك شخصاً واحداً على الأقل لديه سبب لقتل جورجينا مور. «الشخص بالطبع هو السيد باي.»

ولسوء الحظ تضمنت حكاية جون غودوين أخطاء وحتى بعض التخيلات غير الصحيحة. ويصبح المحقق هنري مارشال التحري ـ المفتش مون . ووصفت ايستر على أنها أجمل فتاة في المنطقة، ولكن مجرد نظرة خاطفة على صورتها كشفت على أنها لم تكن على شيء من كل هذا. وحكايته عن المحكمة جاءت موجزة، ولكنها غير دقيقة. ولكنه ـ مثل آدام ـ والذي كانت قصته قد استعملت ـ وافق غودوين على أن الحكم الصادر بعدم اعتبار ايستر مذنبة، هوـ النتيجة المنطقية للخط الفاشل المنفرد الذي اتخذه الإدعاء. وكانت الشرطة قد استعملت كل أساليبها وطاقاتها لتبرهن على أن ايستر هي التي أخذت جورجينا إلى النهر في يالدنغ يوم العشرين من كانون الأول/ديسمبر.

وهذا تأكيد محاط بالحذر. وبالتأكيد فإن النقطة الأساسية في دليل الإدعاء كانت محاولة البرهان على أن ايستر شوهدت مرة ثانية وثالثة بعد الفترة التي أخذت فيها جورجينا لحوالي ساعة قبل أن تصل يالدنغ؟ ويبدو من الصعب منطقياً التحول على أن الشرطة قد دمرت قضيتهابالتركيز على هذا الدليل. وما هو الطريق الآخر الذي فتح أمامهم؟

ولأكثر من قرن كانت هاتان القصتان ـ قصة آدم وجون غودوين ـ الوصف الوحيد المتوفر للقضية. وفي العام ١٩٨٧،

ناقش هذا الموضوع برنار تايلور في فصل كامل من كتابه «الجريمة الكاملة»، وقد ساهم فيه كل من برنار نفسه وستيفان نايت. وفي ما يلي، وللمرة الأولى، استعراض دقيق للدليل.

إن ما يوضحه تايلور هو أن الحديث عن ظلم ايستر باي ليس سوى وضع عاطفي لا معنى له. ولا يمكن أن يكون هناك أي شك محتمل بأن ايستر باي قتلت جورجينا مور.

وهذا موضوع ذو منطق بسيط. فجثة جورجينا وجدت ضمن ياردات قليلة من منزل أهل ايستر باي. وهذا يعني أن إما ايستر قتلتها أو أن شخصاً ظهر ليشير بالإتهام إلى ايستر باي. فمن يمكن أن يكون ذلك الشخص؟ ليس ستيفان مور ـ ولم يكن لديه أي سبب ليقتل ابنته، وفي أي حال كان لديه بديل للتمويه. وكذلك لا يمكن أن يكون واحدة من عشيقات مور السابقات ـ هذا ما لم تكن هناك واحدة منهن أرادت الإنتقام من ستيفان مور وايستر باي معاً وتلحق بهما الأذى.

واستناداً إلى أقوال آدم وغودوين فإن القاتل كان ويليام باي، زوج أيستر باي. ومايحرص آدم وغودوين على عدم الإشارة إليه هو أن قضية الإدعاء انتهت مع عدد من الشهود شهدوا في الواقع أن ويليام باي كان في العمل طوال اليوم الذي اختفت فيه جورجينا، وهو كان رجل عمل كستيفان مور. وإذا كان غائباً يوم اختفاء جورجينا، كان يمكن أن يكون المتهم الأول. ولكن كان لويليام بديل لا يهتز.

ولهذا فمن المستحيل أن يكون ويليام باي هو الذي قتل جورجينا. وفي جميع الأحوال فقد وافق الشهود على أن من رأوه مع الطفلة كانت امرأة تسافر معها إلى يالدنغ وليس رجلاً.

كانت مقارنة آدم مع حالة أدولف بك مفشلة. فبك الذي أوقف في العام ١٨٩٦ عندما ظنت إحدى ضحاياه أنها تعرفت إليه في فيكتوريا ستريت، كان بالفعل يحمل شبهاً واضحاً شديداً للغشاش الحقيقي ويلهلم مايراي جون سميث. ولكن لم يكن هناك أي شبه يذكر لدى ايستر باي مع زوجها ويليام باي. أو هل أن آدم يقترح أن هناك امرأة أخرى تشبه ايستر اختطفت الطفلة وأخذتها إلى يالدنغ؟

ويبقى سؤال رئيسي ـ السبب، فهناك إدعاء واحد من المدعي العام يعتبر صحيحاً ـ وهو أنه يمكن ألا يكون الإنتقام وراء قتل الطفلة. لماذا تريد ايستر أن تنتقم لنفسها من ويليام مور؟ فهو لم يخنها هي بل خان زوجته.. وايستر خانت زوجها. عندما اكتشف زوجها الخيانة، طرد على الفور عائلة مور من منزله. وحتى مع ذلك، فقد استمر يتسلل إلى منزل ايستر عندما يذهب زوجها إلى العمل. وأخيراً وبعد أن اكتشف ويليام باي كل ذلك وأقدم على ضرب زوجته، قرر ستيفان مور أن الوقت حان للإنفصال.. وربما اعتبرت ايستر قراره عملاً جباناً، ولكن لم يكن لديها لاعتبار هذا القرار خيانة. ومور لم يتركها من أجل امرأة أخرى كما عرفت هي على الأقل.

إذن لماذا فعلت ايستر ذلك؟ وحتى المحقق برنار تايلور فشل أن يعرف السبب الذي برز أمامه. وبعد ثلاثة أيام من اختفاء جورجينا، اتصلت ايستر بعشيقها السابق في مكان عمله وسألته عن مظهره الآن وقد حلق شاربيه. كما تحدثا عن الطفلة الضائعة.. وبعد ذلك شاهدها بصحبة المحقق مارشال في منزلها. وفي ٢٧ كانون الثاني/ يناير التقيا في المساء بناء على طلبها، فسارا في هايد بارك وتوقفا

في إحدى الحانات وشربا كأساً ثم عادا إلى المنزل في شارع لاور سلوان حيث اتخذت لها مسكناً هناك، وكانت آنداك قد تركت زوجها. وفي اليوم الثاني التقيا في شيرنغ كروس وسارا في شارع ستراند وشربا كأس نبيذ وبعد ذلك اشترى لها أزهاراً وشربا الشاي معاً قبل أن تتركه وتركب القطار عائدة إلى يالدنغ. وفي عطلة الأسبوع تلك كتبت له خطابين كلاهما يبدآن بكلمة «عزيزي» وتقترح أن يعودا حبيبين كما كانا قبلاً.

النتيجة أو الخلاصة واضحة. جورجينا كانت تحب ايستر وكذلك كانت الأخيرة. مور عرف ذلك. وهكذا فإن موت جورجينا أوجد هوة بينهما. وقتل ايستر لجورجينا كان محاولة محسوبة لاعادة عشيقها، وإذا أمكن الدخول في علاقات جديدة تكون طويلة الأمد وقد نجحت في محاولتها إلى حد بعيد.

وهكذا فقد كان هناك معنى للإتجاه الذي سلكه ستيفان مور وكان فيه مسؤولاً عن موت ابنته بقدر ما كانت المرأة التي خنقتها.

٤

لغز مايبريك

في ٨ آب/أغسطس ١٨٨٩، حكم على فلورنس مايبريك بالموت لإقدامها على قتل زوجها جيمس مايبريك بعد تسميمه بمادة الأرسنيك. ولكن العقوبة خففت بالتالي وأمضت فلورنس ١٥ سنة في السجن.

وفي كتاب بعنوان: «ألغاز كبرى لم تُحل» نشر في الثلاثينات.. هناك فصل كتبه ج.س. فلتشر وعنوانه: «محاكمة سم مايبريك». فماذا جاءت تفعل قضية مايبريك في كتاب الألغاز التي تكشف أسرارها» ولندع المستر فلتشر يروي لنا القصة بنفسه.

في أغسطس/آب عام ١٨٨٩ كنت في جولة في شمال بريطانيا، وتحولت ذات مساء إلى سوق قرية صغيرة جداً لأجد مجموعة من الناس وقد تجمعوا أمام مبنى صحيفة محلية.. وفي النافذة كان فتى يقوم بتثبيت شريحة عريضة من الورق وكتب عليها بحروف نافرة. قرأت ما كتب وتمعنت فيه: «لقد وجدت السيدة مايبريك مذنبة وحكم عليها بالموت.»

فمن كانت تلك المرأة التي أثارت اهتمام هذه القرية الصغيرة البعيدة مئات الأميال.. وتقف أمام المحكمة بتهمة القتل.

ولدت فلورنس أليزابيت شاندلر من أب أميركي كان صاحب مصرف. تزوجت في العام ١٨٨١ وهي في سن الثامنة عشر من تاجر قطن في ليفربول يدعى جيمس مايبريك، وكان هو الآخر في سن الحادية والأربعين. وأقامت مع جيم في الغبورت.. وهناك رزقا بطفلين.

وكون الزواج لم يكن زواجاً سعيداً فربما يعود ذلك إلى واقع أنه تم مبكراً وتجمعت مشاكل كثيرة ومنها أن السيدة مايبريك كانت اتخذت لنفسها عشيقاً في السنة التاسعة من زواجها، الفرد بريرلي والذي أمضت معه في شهر آذار/مارس ثلاث ليال في أحد فنادق لندن.

وعند عودتها من لندن، ذهبت في اليوم التالي مع زوجها إلى ميدان سباق الخيل القومي. وهناك كان بريرلي أيضاً.. وحدث خلاف بين الزوجين.. وعندما عادا إلى المنزل ضربها زوجها بعنف وترك أثر القساوة واضحاً فوق عينها.

وفي الحال بدأت تستعد لتركه. تدخّل الأصدقاء وحلّ السلام بينهما من جديد، وفيما بعد ادعت أن مايبريك عاد ليتهمها بالخيانة. ومباشرة بعد ذلك - في نيسان/أبريل ١٨٨٩ - أصيب مايبريك بمرض شديد.

والآن دعونا نفكر أي نوع من الرجال كان مايبريك. ويبدو أن لدى زوجته الآن سبباً لبعض الوقت، وربما طوال فترة زواجهما تقريباً، للتشكي من علاقاته مع النساء.. ويبدو أيضاً أن خياناته جعلتها تتحول نحو بريرلي.

ولكن ـ ومن واقع ما سيتبع ـ فإن هذا لم يكن أمراً هاماً كالذي كان معروفاً لدى دائرة معارف مايبريك وأصحابه. فمايبريك كان مدمن مخدرات. وكان من عاداته أن يتناول بنفسه جرعات من بعض المخدرات كالستريكنين والأرسنيك.

أصدقاؤه المقربون عرفوا ذلك وكذلك معارفه وزملاؤه في العمل. ولعل الدليل اتضح أكثر أثناء المحاكمة التي دعي إليها. وأنا نفسي زرت ليفربول بعد المحاكمة وعملت بعض التحقيقات ثم تعرفت إلى كيميائي أخبرني «أن مايبريك كان يدخل ويخرج إلى الدكان طوال اليوم» يبحث عن جرعة من مخدراته المفضلة.. والتي كانت أغلبيتها من الأرسنيك.

بدأت أعراض مرض مايبريك تأخذ مظهر الخطورة يوم ٢٧ نيسان/أبريل.. ونسب هو ذلك إلى جرعة قوية تناولها من الستريكنين. تفاقم المرض وجلس من حوله الممرضات والأطباء.. والسيدة مايبريك (ولكن لفترة قصيرة).

وتوفي مايبريك يوم ١١ أيار/مايو. وبعد يومين قام ثلاثة أطباء بتشريح جثته وقرروا أن الوفاة ناتجة عن التهاب في المعدة سببه سم زعاف دس فيها. وفي اليوم التالي تم القبض على السيدة مايبريك وفي اليوم نفسه بدأ الطبيب الشرعي التحقيق في القضية.. ولكنه تأجل فجأة.

واستؤنفت المحاكمة في ٢٨ أيار/مايو فتأجلت مرة ثانية لتستأنف في ٦ حزيران/يونيو عندما أعلن عن وجود الأرسنيك في جثة مايبريك. وأصدرت المحكمة حكمها ضد السيدة مايبريك - وكانت قد مثلت أمام المحكمة مرتين ـ وللمرة الأولى في غرفة نومها عند استجوابها حول السم.



السيدة جيمس مايبريك

وفي ١٤ حزيران/يونيو استدعيت إلى المحكمة وفي ٣١ تموز/يوليو وقفت في قفص الاتهام في محكمة ليفربول الإتهامية أمام القاضي جايمس ستيفان واتهمت رسمياً بقتل زوجها. وكان ممثل العرش في الإدعاء السيد أديسون وتولى الدفاع عن السيدة مايبريك السير شارل راسل.

وماذا كان الدليل ضدها؟ فقبل أن تشتد حالة مرض زوجها، اتصلت السيدة مايبريك بدكان كيميائي في الغبورت وتشكت من وجود ذباب يزعجها واشترت دزينة من الورق الخاص بالتقاط الذباب. وبعد يومين أو ثلاثة اتصلت بدكان كيميائي آخر في الجوار واشترت دزينتين من الورق نفسه الذي يتضمن عادة مادة الأرسنيك السامة.

وفي ٢٤ نيسان/أبريل شاهدها إثنان من الخدم تغطس هذه الأوراق في طشت ماء في غرفتها. وشرحها الوحيد لهذه العملية كان أنها تريد الحصول على محلول من الارسنيك لتستعمله في التجميل. وفي وقت سابق كانت، كما ادعت، قد حصلت على وصفة من طبيب أميركي على أن هذا المحلول ينظف الوجه، ولكنها أضاعت الوصفة وهي تعرف أنها تضمنت الأرسنيك وأنها سمعت من صديق أن هذا المحلول يمكن الحصول عليه من الورق اللاصق الخاص بقتل الذباب، ولهذا اشترت ما يكفيها منه.

كانت كمية أكيدة من الأدلة ضدها ومنها المناسبات التي تسنّت للسيدة مايبريك لوضع الأرسنيك في أدوية زوجها وطعامه.. وخاصة في زجاجة من العصير. وفي ٨ أيار بدأ بعض أفراد العائلة يشكون بأن شيئاً ما خطأ يحصل في المنزل. وتم استدعاء شقيق السيد مايبريك من لندن.. وهذا الأخير، يدعى مايكل ويعرف باسم ستيفان وكان من كبار الموسيقيين في العالم في ذلك الوقت.

ومنذ وصوله، أعرفت هي أم لم تعرف، شك في السيدة مايبريك.. ولم يضع الوقت سدى، فاتصل على الفور بالأطباء وأطلعهم على شكوكه.

دليل الإدعاء انتشر خلال أربعة أيام وكان مفاده البرهان على أن السيد مايبريك مات مسموماً بالأرسنيك الذي دسّته له زوجته.

وبذل وكيل الدفاع السير شارل راسل كل ما في وسعه لدحض الدليل وإبطاله وليبرهن للمحكمة «أن ما تدعيه لا يستند إلى الصحة وأنه يشك في أن مايبريك مات مسموماً بالأرسنيك.»

ويبدو أنه ما بعد سماع السير راسل والدليل الطبي الذي طلب بتقديمه، ولو أن الدفاع توقف عند ذلك، فإن المحكمة، ومهما كان قرار القاضي، كانت على استعداد لاصدار حكم بالبراءة. ولكن راسل سمح لموكلته بالإدلاء بتصريح.

وتكلمت السيدة مايبريك بالطبع من قفص الإتهام، وفي تلك الأيام لم يكن مسموحاً للسجناء بتقديم دليل.. ولكنها مع ذلك تحدثت قليلاً شارحة ومحتجة.

وعندما انتهت طلب السير شارل استدعاء اثنين من الشهود.. ولكن القاضي ستيفان رفض الطلب وتمسك به. وبعد الإستماع إلى كلمتي الدفاع والإدعاء الختاميتين اختلت المحكمة بكامل أعضائها لمدة نصف ساعة وأصدرت حكمها بإدانة السيدة مايبريك، ورغم احتجاجها القوي، وحكمت عليها بالموت.

وعلى الفور ثار الجمهور ضد الحكم. وتجمع جمهور غفير خارج قاعة المحكمة وراحوا يهتفون ضد القاضي ستيفان ويوجه له اللّوم والسباب لدى مروره في طريقه إلى عربته. وأعربت الصحف عن دهشتها إزاء نتيجة المحاكمة. وانهالت الإسترحامات على وزارة العدل من جميع أنحاء البلاد.

وعقدت إجتماعات ولقاءات إحتجاج في لندن وليفربول

وانضم إليها عدد من البرلمانيين والشخصيات البارزة على المستويات الإجتماعية كافةً..وكلها كانت تصب لصالح السيدة مايبريك... حتى إن الملكة نفسها روجعت في الأمر.

ومن المحتمل، وحول ما حدث عشية تنفيذ الحكم، ان تكون النقمة الشعبية أثّرت على المحكمة وتم تخفيف الحكم إلى ١٥ سنة سجن قضتها السيدة مايبريك في سجن ووكنغ وهو آخر سجن تركته انكلترا إلى أميركا في العام ١٩٠٤.

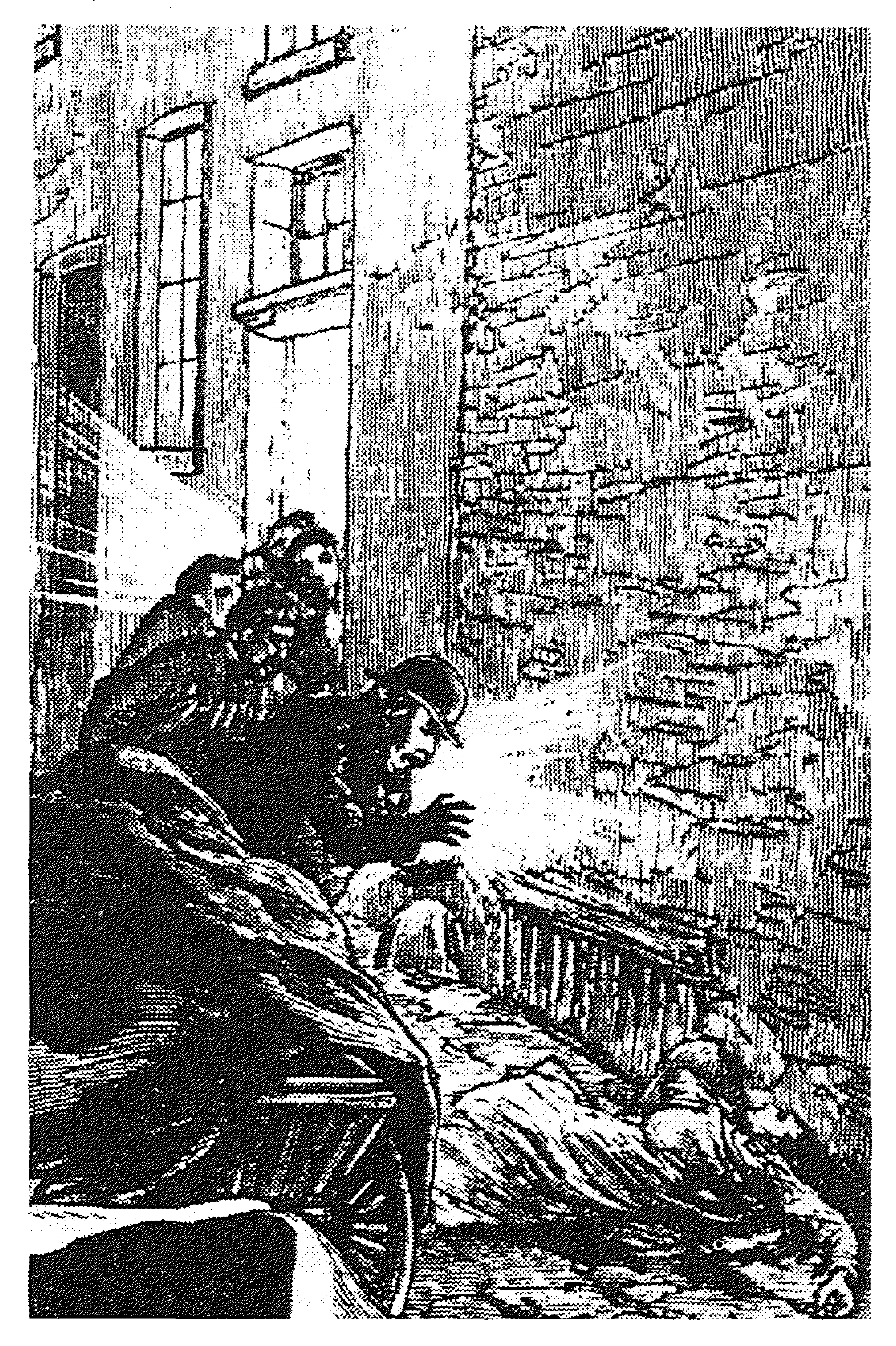
وسوف أغامر الآن في إعطاء أسبابي وافترض ان ذلك كان من أسوأ ما شاهدته المحاكم البريطانية في ذلك الحين.

دعونا نبدأ بالرجل الذي ترأس المحاكمة، السير فيتز جيمس ستيفان. وهو كان من أشهر الشخصيات في زمانه ـ كاتباً معروفاً ومرجعاً في القانون الجنائي يخافه كل من مثل أمامه. ولكن هل تراه كان بكامل قواه في الوقت الذي تولى فيه محاكمة مايبريك الشهيرة.

فقبل أربع سنوات، وعندما كان يترأس محكمة دربي عام ١٨٨٥ تعرض لحادث شلل واضطر إلى الإنسحاب من جميع أعماله لفترة زمنية، وبعد سنتين ها هو يحكم على السيدة مايبريك بالموت. فهل تراه كان على قدر المسؤولية عندما تولى محاكمتها.

ناقشت قضية مايبريك مع صديقي ايرفنغ، الذي كان خبيراً جنائياً وممثلاً معروفاً، ولأكثر من مرّة.. ونشر حول الموضوع تقريراً مفصلاً قال فيه:

«إنه أمر مقلق ومؤلم. ومقلق جداً بالفعل. وفي وقتها يبدو ان القاضي كان مثقلاً جداً بوزن القضية ومتاعبها وصعوباتها. وكل هذه الأمور كانت في محلها. فهناك أخطاء في التواريخ والوقائع



اكتشاف جثمان اليزابيت سترايد

وفي مراجعات الدليل الذي يجب أن يترك أثره في حكم يطمدره قاضٍ له خبرة القاضي السير جيمس ستيفان..

ومن الواضح أن السير جيمس لم يكن بكامل قواه العقلية وفي

وضع يمكنه من ترؤس المحاكمة التي تبحث في موت أو حياة امرأة تقف في قفص الإتهام أمامه.

ولكن هناك أكثر من ذلك.. وهو ان مما لاشك فيه أن القاضي جيمسُ ستيفان أوجد جواً من الاضرار ضد السيدة مايبريك.. فعندما تحدث إلى هيئة المحكمة(وحديثه نشر في الصحف المحلية) ركّز بطريقة غير عادلة على علاقات السيدة مايبريك بعشيقها بريرلي.

ويقول القاضي ستيفان: «حاولت بصعوبة أن أضع ذلك في إطار غير هذا.. وهو انه إذا حاولت امرأة ان تخون زوجها مع رجل آخر، فهذا يؤدي إلى تدعيم كل الأسباب التي دفعتها إلى ذلك وبالتالي إلى إنقاذ سمعتها.. وأنا لن أذهب إلى أبعد من ذلك واسأل فقط: «هناك سبب قوي ربما وهو لماذا أرادت أو كانت ترغب بالتخلص من زوجها؟»

هل هناك أيّ سؤال أو تعجب عند ملايين الناس، عندما وصلت محاكمة السيدة مايبريك إلى نهايتها، أن يقولوا إن هذه الأخيرة عوقبت فقط على خيانتها الموقتة، أي الليالي الثلاث التي قضتها مع بريرلي في الفندق، وليس لإرتكابها جريمة؟ وهل هناك سؤال أو تعجب عندما سأل كاتب المحكمة السيدة مايبريك إذا كان لديها شيىء تقول له وهو لماذا كان يجب ألا يحكم عليها بالإعدام، فأجابت: «انا مذنبة بالنسبة لعلاقتي مع بريرلي، ولكني لم أرتكب جريمة قتل زوجي.»

ولكن كان هناك جو آخر من الإساءة وإلحاق الضرر بهذه المرأة البائسة. ففي نهاية اليوم الأول من المحاكمة تعرضت لغضب الجماهير وقذفت بشتى أنواع الإهانة عندما كانت تغادر قاعة

المحكمة. وهي نفسها شعرت بأنه قد يكون المستحيل أن تحصل على محاكمة عادلة من قبل محكمة ليفربول.. ولهذا تم التشاور بين الكثير من كبار المسؤولين في وزارتي العدل والداخلية.. وتم الإتفاق في النهاية أن تتم المحاكمة في ليفربول نفسها ويتولاها قضاة من مدينة لانكستر.

ونعود إلى الدليل الطبي الذي قرأه الجمهور بالكامل ونقول أنه كان بالفعل متناقضاً. وخبير وزارة الداخلية في تلك الأيام كان الدكتور ستينفنسون وهو قال «إن ليس لديه شك بأن السيد مايبريك لم يمت مسموماً بالارسنيك.»

ولكن الدكتور تيرلي، وهو آخر مرجع في التشريح رفض فوراً الاعتقاد القائل بأن الموت حدث بسبب التسمم بالأرسنيك».

وعندما انتهت المحاكمة، كتب السير أوبرسون هربرت رسالة إلى صحيفة«التايمز» يسأل بإصرار إذا ما كان من الضروري التحقيق في الأشياء التي أدت إلى حصول تلبكات في معدة مايبريك التي استخدمت لعدة أيام كمقبرة لمجموعة من المخدرات، ووجد في النهاية أنهما تضمنت الستريكنين والارسنيك وغيرها من الأدوية التي أعطيت له أثناء فترة مرضه.

وفي رسالة إلى الصحيفة نفسها ربما أصاب اللّورد فليتشر مورتون الحقيقة عندما قال إن موت السيد مايبريك «يعود إلى أسباب طبيعية عملت وتفاعلت في جهاز تناول الكثير من المخدرات والسموم أبرزهاالارسنيك أدت كلها إلى التلبك المميت الذي أصاب الأمعاء».

وتم تلخيص حالة مايبريك في طلب استرحام رائع أعدته مجموعة لومبيز وقدمته إلى المستر أكويث، وزير الداخلية آنذاك،

وبعد ثلاث سنوات من ذهاب السيدة مايبريك إلى ووكنغ وإقامتها هناك.. وانا أوجزه أيضاً في النقاط التالية:

١ ـ لم يكن هناك دليل على أن السيد مايبريك مات بأسباب غير طبيعية.

٢ ـ لم تكن هناك أدلّة على أنه مات مسموماً بالأرسنيك.

٣ ـ لم يكن هناك ما يدل على أن زوجته حاولت تسميمه بدسّ الأرسنيك في طعامه أو شرابه.

٤ ـ الحكم جاء مغايراً تماماً للأدلة.

٥ ـ لم تدع المحكمة السجينة تستفيد من الشك الذي أبداه الخبراء الطبيون وعدم موافقتهم على ما تم تقديمه من أدلة.

«ولكن البلبلة التي أثيرت واستمرت حول موضوع السيدة مايبريك وكانت لصالحها لم تترك أي تأثير على وزارة الداخلية.»

كما قام اللورد راسل آنذاك بعمل كل ما في وسعه لإطلاق سراح موكلته.. ولكن الوقت مر سنة بعد سنة ولم يتم عمل أي شيء.

ويقال إن اللورد كان واثقاً تماماً من براءة موكلته.

وكانت محاكمة السيدة مايبريك أسوأ ما شهدته المحاكم في تاريخ القانون الجنائي الإنكليزي، والشيء الجيد والوحيد الذي خرج منها هو أنها ساعدت إلى درجة ما، في إنشاء محكمة الإستئناف الجنائية في البلاد.

بعد سنة من المحاكمة، وفي العام ١٨٩٠، اكتشفت والدة السيدة مايبريك ـ البارونة فان روكي ـ جزءاً من دليل يفيد بأن ابنتها فلورنس بريئة.. إذ وجدت في توراتها ورقة مكتوبة بخط

الدكتور باي من نيويورك يصف فيها كيفية استعمال محلول الأرسنيك لتجميل الوجه بواسطة إسفنجة وبمعدل مرتين في اليوم الواحد. وجاء وجود الأرسنيك في الوصفة الطبية تلك يؤكد ما ادعته فلورنس.

خرجت فلورنس من السجن في العام ١٩٠٤ وعادت إلى أميركا تحت إسم مستعار هو روز أنغراهام، وكتبت قصتها تحت عنوان: «قصة السيدة مايبريك الذاتية: سنواتي الثمانية عشر الضائعة». كما أصبحت لفترة ما محاضرة مرموقة ولم تتوقف عن تأكيد براءتها. وفي العام ١٩١٨ انتقلت إلى بلدة تدعى غيلوردز فيل، في ولاية كونتيكت حيث اشترت هكتاراً من الأراضي الزراعية بستين دولاراً فقط، وبنت منزلاً صغيراً بمبلغ ألف ومئتي دولار.. وهناك عاشت بقية حياتها تعاني من الفقر مع العلم أن الكثيرين من أصدقائها الذين آمنوا ببراءتها كانوا يرسلون لها مبالغ من المال بين الحين والآخر.

عادت مرتين إلى انكلترا: في العام ١٩١١ و١٩٢٧، ففي العام ١٩١١ صدمت عندما عرفت بموت إبنها جيمس الذي قضى متناولاً جرعة كبيرة من السيانيد. وعندما عادت مرة ثانية إلى إنكلترا في العام ١٩٢٧ حضرت سباق الخيل الوطني الكبير وأجرت مقابلة مع صحيفة «صاندي نيوز» قالت فيها: «يبدو مرعباً أن يفكر الأطفال الذين خاطرت بالمجيء بهم إلى العالم أن أمهم مذنبة وهي التي جعلتهم يعيشون بدون أب». وهي أيضاً إمّا نسيت موت جيمس أو أنه كان له أولاد غيره... ولكن يبدو أن هناك احتمالاً قوياً بأنها كانت حاملاً عند دخولها السجن عام ١٨٨٩ ـ وربما من بريرلي ـ وهناك دليل آخر على أنها رزقت بطفل غير

شرعي عندما كانت في سن السادسة عشرة. وقالت إنها كانت على عتبة الموت وذهبت لترى محامييها.

وبالفعل عاشت حتى تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤١، وتوفيت أخيراً عن عمر يناهز التاسعة والسبعين.

وكانت هذه، كما يظهر، نهاية قضية مايبريك.. ولكن لا زالت هناك ملاحظة غريبة لا بد من إضافتها إلى القضية إياها..

ذات يوم من ربيع عام ١٩٩١ اتصل مايك باريت بصديق له يدعى طوني ديفرو الذي كان لا يزال يعاني من كسر في وركه. وكان مايك يقوم بعملية تسوق لصديق يساعده من حين إلى آخر.

وقام طوني ديفرو بتسليم صديقه رزمة من الورق البني وقال له: «خذها. أريدك أن تمتلكها. وافعل منها شيئاً ما.»

حمل مايك الرزمة إلى منزله واكتشف أنهاتتضمن ما يشبه مخطوطة فيكتورية مجلدة بقماش.. ولكن الصفحات الثمانية والأربعين الأولى انتزعت منها بواسطة سكين. وتضمنت الصفحات الباقية ما بدا أنه مذكرات يومية كتبت على عجل وبخط غير مقروء.. وكانت الكتابة تبدأ من نصف الصفحة وبالعبارة التالية: «ما لديهم في المخزن ـ يجب أن يوقفوا هذه اللحظة.» وكان نصف الجملة الأول هو على ما يبدو: «لو أنهم عرفوا..» وتكمل: «ولكن هل أنا راغبة في ذلك؟ جوابي هو: لا. سيتألمون كما أتألم. سأرى ذلك وأسعى إليه. تلقيت رسالة من مايكل وربما سأزوره.. ويجب أن أصل إلى قرار ما يتعلق بالأطفال. إني أتوق إلى راحة الضمير ولكني اعتقد بصراحة أن ذلك لن يتم إلا عندما أنتقم من الرأس الكبير.»

ويقرأ مايك باريت: «إبنة كلبة مجنونة. أعرف بالتأكيد أنها

رتبت موعداً معه في هوايت شابل. وليكن فقراري قد اتخذ. تناولت مرطباً في مركز البريد.. وهناك قررت أن وجهتي ستكون لندن. ولم لا؟ أليس ذلك مكاناً مثالياً؟ وبالفعل فأنا لم أزر العاصمة باستمرار. وبالفعل ألم يكن هذا سبباً مشروعاً لأفعل هكذا؟ إن جميع الذين يبيعون بضائعهم القذرة يجب أن يدفعوا.. وأنا لا شك عندي في ذلك».. وانتقل مايك إلى نهاية المذكرات ليكتشف أنها موقعة من قبل «جاك الغاصب» ومؤرخة في الثالث من أيار/مايو ١٨٨٩».

ففي ذلك اليوم مرض مايبريك فجأة وللمرة الثانية بعد أن أخذ حماماً تركياً. كان يعاني من آلام مبرحة في الساقين وأعطاه الطبيب جرعة من المورفين.. وتوفي بعد ثمانية أيام، عند الساعة الثامنة والنصف مساءً.

وبعد دراسة معمّقة للمذكرات اقتنع مايك باريت أنها كتبت ـ أو أن الكاتب أراده أن يصدقه أنها كتبت ـ بقلم جيمس مايبريك.. والإنتقام من الرأس الأكبر الذي كان يتحدث عنه مايبريك كان جاك الغاصب، قاتل العاهرات.

اتصل مايك على الفور بدار نشر في لندن، فنصحوه بالبحث عن ناشر أدبي متخصص في هذا النوع من المذكرات.. فذهب والتقى دورين مونتغمري من دار ريبورت المحدودة في لندن. اتصل مايك بدورين في مكتبها ثم ذهب إليها ومعه المذكرات. واتصلت الأخيرة بأحد كتّابها، شيرلي هاريسون التي كانت مهتمة بقضية مايبريك وطلبت إليها أن تأتي على الفور.

وكانت نتيجة اللقاء هي أن شيرلي هاريسون قررت أن تضع كتاباً تحاول أن تبين فيه أن جيمس مايبريك كان جاك الغاصب.

ولسوء الحظ ذكر مايك باريت، وربما دون قصد، أمام أحد الصحافيين وهو في القطار، ذكر أنه عثر على المذكرات. وفي شهر نيسان/أبريل ١٩٩٣، نشرت صحيفة «ليفربول بوست» القصة حول المذكرات والإعتقاد بأن جيمس مايبريك هو نفسه جاك الغاصب.. الأمر الذي أغضب الناشر روبرت سميث الذي كان يأمل أن تبقى المذكرات سرية حتى نشرها.. وأن الكشف عنها بهذه الطريقة سيخفف جداً من وقعها.

وما ظهر أن المذكرات أرادت تبيانه هو أن مايبريك كان دائماً في حالة غيرة قاتلة فيما يتعلق بفلورانس.. فبعد سنتين من زواجهما (١٨٨١) اكتشفت أن لزوجها عشيقة وخمسة أطفال، إثنان منهما ولدا خلال فترة زواجها من جيمس. وبعد المشادة العنيفة التي تبعت ذلك الإستكشاف، قررت فلورنس أن تنتقل إلى غرفتها الخاصة ورفضت أن تقدم لزوجها أياً من حقوقه الزوجية.

وارتفعت حدة الغيرة عند جيمس عندما سمع فلورنس تقول لأخيه الأصغر أدوين في حفل عشاء: «لو كنت ألتقيتك قبلاً لكانت الأشياء اتخذت منحى آخر.» وبدا أن هناك احتمالاً قوياً بأن فلورنس وأدوين أصبحا الآن عاشقين. وكان لفلورنس علاقة أيضاً مع محام لندني يدعى ويليامز.. ولكنها، أخيرا، التقت تاجر قطن في مطلع العام ١٨٨٨، يدعى الفرد بريرلي وبدأت علاقات غرامية جديدة معه. وهناك شكوك قوية فيما إذا كان بريرلي هو «الرأس الأكبر» الذي تشير إليه المذكرات.. إذ إن مايبريك يلوم في أحد الفصول شخصاً يدعى طوماس لاوري ويتهمه بأنه هو الذي جعل منه مجرماً.

ويتضح من المذكرات أن كاتبها يمتاز باسلوب السادية.. فقتل

النساء وبقر بطونهن واستخراج أمعائهن عملية تحتاج إلى قوة وحشية من قبل منفذها.

وعندما تسربت إشاعات المذكرات إلى الصحف، فإن وجهة نظر العامة كانت ـ كما أستبقه الناشر ـ تشاؤمية بشكل مميز. وأعلن في أيلول/سبتمبر ١٩٩٣ أن خبير الخطوط النيويوركي، كنيث رندل، قام بفحص الحبر المستعمل في كتابة المذكرات وأعلن أنها تعود إلى العام ١٩٢١، وأنها بالتالي مزورة.. وبنتيجة ذلك قرر الناشر الأميركي للمذكرات بسحبها من السوق وإتلافها.. وبالتالي أحدثت ملاحظات كنيث مشكلة واضحة.. فإذا كانت المذكرات قد كتبت في وقت مبكر من العام ١٩٢١ ـ أو ربما في العام ١٩٠٩ ـ فمن تراه كتبها وأين كانت موضوعة منذ ذلك الحين؟ وإذا كان بعض المزورين قرر أن يكتب المذكرات قبل أكثر من نصف قرن من اكتشافها ويتأكد من أنه تم العثور عليها؟ وإلى جانب ذلك أجمع خبراء الطباعة الذين شاهدوا المذكرات على أنها عملية تزوير حديثة ـ وكتبت بعد العام ١٩٨٦. وعلى أي حال، فإن تعليقات كنيث بدت وكأنها تؤكد على أن المذكرات كانت حقيقية ـ أو أنها لم تكن كذلك على اعتبار أن حبرها يعود إلى عشرين عاماً وأنها لم تكتب بمزور غير معروف في الجزء الأول من القرن العشرين.

جاءت ردود فعل النقاد سلبية عندما نشرت شيرلي هاريسون «مذكرات جاك الغاصب» في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٩٣. وجرت شائعات أن المذكرات مزورة وليس فيها ما يبرر صحتها إطلاقاً. وبالفعل، وفي مؤتمر عقده الأخصائيون بقضايا الإغتصاب والتزوير ـ حضروا كلهم باستثناء واضع هذا الكتاب ـ قبل أشهر

قليلة من نشر المذكرات، توصلوا إلى قناعة أنها مزورة.. وأعلن أحدهم: «أنه ما إن تنشر المذكرات إياها، فإن أحداً ما سيعلن: أنها زورتها.. وسأقول لكم كيف.»

وبالفعل لم يظهر أي دليل قوي لينكر عدم صحة المذكرات في السنتين التاليتين بعد نشرها.

ومن جهة ثانية، برزت معلومات مهمة جديدة. فقد أصرّ بول فلدمان منتج فيديو «يوميات جاك الغاصب» على تعقب مصادر اليوميات وتسلسلها حتى طبعها في كتاب. كان يميل في البداية إلى الإعتقاد بانها أخذت من(باتل كريز هاوس) منزل جيمس وفلورانس مايبريك التي تحولت منذ ذلك الحين إلى شقق مفروشة وخضعت إلى عمليات ترميم واسعة. واعتقد فلدمان أن عاملاً عثر عليها تحت البلاط في غرفة ما. ثم عرف أن آن زوجة مايك باريت، تعمل حالياً في مكتب كان في السابق موقع شركة مايبريك. وبدأ تركيزه ينصبّ على احتمال أن مايبريك قد ترك المذكرات في مكان ما في المكتب ويحتمل أن تكون آن باريت قد عثرت عليها.

ولكنه عندما عرف أن اسم آن باريت قبل الزواج كان غراهام، قرر أن يتعمق في البحث واعتبر أن آفاقاً جديدة فتحت أمامه. فعندما تركت فلورنس السجن وسافرت إلى أميركا، اتخذت لنفسها إسماً جديداً هو السيدة أنغراهام. ويقول الكاتب الجنائي نايجل مورلاند إن فلورانس استخدمت اسم غراهام. فهل يعقل أن تكون آن باريت ـ غراهام سابقاً ـ سليلة مباشرة من جيمس مايبريك؟

وبينما كان مستمراً في تحقيقاته، تلقّى بول فلدمان وات مكالمة

من آن باريت والتي كانت أختها قد اتصلت بها لتخبرها أن بول فلدمان يريد أن يستجوبها. وعرضت آن باريت أن تروي قصتها الحقيقية وتقول كيف وصلت المذكرات إلى زوجها.. وإن هذا الأخير كان يقول الحقيقة بالفعل.. فهو قد تسلّم المذكرات من طوني ديفرو.. وادّعت آن أنها هي شخصياً أعطتها إلى هذا الأخير.

لماذا؟ فالمذكرات كانت في حوزة عائلتها لعدة سنوات.. وهي رأتها للمرة الأولى في العام ١٩٨٦.. وكانت موضوعة في صندوق

تضمن كتاب ـ أليوت أودونيل: «ألغاز التيمس الكبرى» (الصادر عام ١٩٢٩) فصلاً تحت عنوان: «هل كان هو جاك الغاصب؟». ويبدأ الفصل هكذا: «في أيار/مايو ١٨٨٧ بدأت مجموعة من الجرائم الغريبة لا يمكن أن تكون حدثت جرائم أخرى بفظاعتها وبشاعتها.»

ويضيف الكاتب كيف أن رجلين انتشلا صندوقاً خشبياً من نهر رينهام ووجدا فيه جثة امرأة في الثامنة والعشرين بدون رأس ولا ذراعين ولا ساقين.

وفي الثامن من حزيران/يونيو عثر على رزمة في نهر التيمس بالقرب من تامبل شيرز واتضح أنها تعود إلى الجثة التي وجدت سابقاً وتتضمن بعض الأعضاء.. ووجدت البقايا المفقودة في قنال ريجنت، في بلدة شالك فارم واتضح فعلاً أنها تعود إلى الجثة إياها. وخلال الكشف الذي أجراه الطبيب الشرعي تبين أن بتر الأعضاء تمّ على يد شخص خبير بعلم التشريح.

وفي ١١ أيلول/سبتمبر ١٨٨٨ ـ عام الجرائم التي ارتكبها جاك الغاصب ـ تمّ العثور على ذراع يسرى في التيمس بالقرب

قديم يخص والدها. وفي الوقت الذي كان يستعد فيه هذا الأخير للزواج مرة ثانية، أعطاها المذكرات.. فلم تكترث بها ورمتها في مكان ما وراء الخزانة.

وكان زوجها قد بدأ يشرب بكثرة وكانا دائماً في نقاش حول الموضوع. ولكن مايك أراد أن يصبح كاتباً، وأجرى بالفعل دورة تدريبية. وفكرت آن أن المذكرات يمكن أن تؤمن له نقطة بداية للكتابة وتكون كتابه الأول. وقلقت من أن يربك مايك وضعها العائلي فاستعانت بطوني ديفرو وطلبت إليه إذا كان يستطيع

من بيمليكو، وبعد أسبوعين عثر على ذراع يسرى أخرى في أقبية مأوى للعميان في لامبث.

الثاني وجدته سكوتلانديار والجريدة نفسها ـ والتي كانت يومها قيد الإنشاء ـــ فقد ذهب أحد العمال يبحث عن معداته في القبو وهناك وجد رزمة سوداء.. فساعده على إخراجها إلى النور المدير المساعد في الورشة واكتشفا أنها جثة رجل ولكن بدون رأس ولا ذراع.. ولفت الجثة في فستان حرير نسائي أسود. وتمكن كلب أتت به الشرطة إلى القبو من اكتشاف ساق وقدم تعود إلى صاحب الجثة.

وانتشرت الأنباء في الصحف تقول يومها إن هذا العمل البربري لا بد أن يكون من صنع جاك الغاصب.

وأدى ذلك إلى قيام وكالة أنباء محلية بالكشف عن مجموعة من الرسائل كانت تلقتها من غاصبين كثيرين.. وواحدة منها موقعة باسم «جاك الغاصب».. ولكن هذا الأخير أنكر في رسالة إلى الوكالة نفسها، أن لا دخل له بالضحية التي وجدت قرب التيمس.. ولكنه وجد بارتكاب جريمة ثلاثية.. والتي لم تقع أبداً.

إيصال المذكرات إلى مايك.. وهكذا أصبح زوجها يمتلك المذكرات.

وهذا دليل على افتراض أن لفلورنس مايبريك طفلاً غير شرعي في ليفربول عندما كانت في السادسة عشر من العمر. ويعتقد بول فلدمان أن الطفل المذكور أعطي إسم غراهام.. وأصبح فيما بعد يدعى ويليام غراهام والد بيلي غراهام وأن المذكرات أعطيت له في العام ١٩٤١ من قبل محامي فلورانس مايبريك بعد وفاة الأخيرة.

إذا كانت قصة آن باريت حقيقية ـ ومن الصعب إيجاد أي سبب للإعتقاد بأنها اخترعتها ـ فإن المذكرات كانت معروفة من فلورانس وأنها كانت في حوزتها بعد أن تركت السجن.

وفي الفصل الأخير من المذكرات، كتب مسجلها: «عزيزتي باتي تعرف كل شيء. ولا أعرف إذا كانت لديها القوة في أن تقتلني. وأصلي إلى الله كي تجدها...

والمفيد في هذا الفصل هو أنه يشير إلى فلورانس باسم الدلع ويدعوها «عزيزتي».. مع العلم أنه يشار إليها في كل المذكرات ب«الرأس الأكبر».

وفي ٢٩ آذار/مارس، يوم السباق الوطني الكبير، التقت فلورانس عشيقها السابق بريرلي وذهبت معه متأبطة ذراعه لمشاهدة الحفل الملكي. غضب مايبريك.. فقبل أسبوع كانت تخونه مع بريرلي.. وهي أدركت أن زوجها يشك بما حدث. وعندما وصلا إلى المنزل ضربها بعنف على عينها. وفوراً قررت أن تتركه. وفي اليوم التالي ذهبت لمراجعة طبيب العائلة، أرثر هوبر، وأخبرته أنها سترى محامياً ليحاول فصلها عن زوجها. وذهب هوبر إلى باتل كريز هاوس في وقت متأخر من اليوم نفسه وبذل كل ما في وسعه

للإصلاح بينهما. وكتب فيما بعد أنه أفلح في نشر سلام كامل بينهما. فهل يشرح هذا لماذا كان كاتب المذكرات يشير إليها بقوله: «عزيزتي باتي» بدلاً من «الرأس الأكبر»؟

وعلى كل حال، كان لدى فلورانس سبب آخر عندما رغبت أن يعم السلام الكامل بينها وبين زوجها. فقد كانت شائعات أنها كانت حاملاً عندما ذهبت إلى السجن ولهذا السبب تمّ تخفيف حكم الإعدام بحقها وإنزاله إلى المؤبد.. وبعد أشهر قليلة عرضت صحيفة محلية صورة لها وهي تحمل طفلاً في مستوصف السجن.

وإذا كانت فلورانس حملت من الفرد بريرلي، فكان لديها إذا سبب وجيه للرغبة في المصالحة مع زوجها.. إذ عليها أن تجعله يصدق أنه هو والد الطفل الذي سيولد بعد أقل من تسعة أشهر.

وإذا كان هذا صحيحاً فإنه لا يتفق مرة وإلى الأبد مع الشك بأن فلورنس قتلت زوجها. إن امرأة خاضت المتاعب وهي تحاول إقناع زوجها بأنه هو والد طفلها غير الشرعي لا تخطط لقتله في أسابيع قليلة.

وإذا كانت مذكرات مايبريك صحيحة، فإنها تؤكد الدليل الإيجابي جداً فيما بعد على أن فلورانس مايبريك كانت بريئة من عملية تسميم زوجها.

٥

أضواء جديدة على ليزي بوردن

قضية ليزي بوردن هي بدون شك أشهر جريمة أميركية لم يتم اكتشافها.

وبالإجمال، فإن واقع هذه القضية هي كالتالي: ففي ٤ آب/ أغسطس ١٨٩٢، وكان يوماً حاراً جداً، في فول ريفر، في ماسوتسش، جلست ليزي بوردن، ٣٢ سنة، تتشكى للخادمة وتقول لها: «أحدهم قتل أبي أندريو بوردن، سبعون سنة، صاحب بنك.» وكان وجد مقتولاً في منزله، وحطم القاتل رأسه ووجهه بضربات فراعة. وكشف التحقيق في ما بعد أن زوجته آبي - خالة ليزي - وجدت هي الأخرى مقتولة في غرفة النوم الإضافية - وعرف لاحقاً ان السيدة بوردن توفيت قبل تسعين دقيقة من وفاة زوجها الذي قتل حوالي الساعة الحادية عشرة.

وادعت ليزي انها كانت خارج المنزل تبحث عن طعم لصنارة صيد - وأنها كانت تنوي في صباح اليوم التالي الذهاب الى شاطىء بلدة ماريون حيث كانت شقيقتها تقيم مع بعض

الأصدقاء. والشخص الوحيد المقيم في البيت كان عمها ويدعى جون مورس.

وبعد ثلاثة أيام من الجريمة أحرقت ليزي أحد فساتينها مدعية أنه «كان مغطى تماماً ببقع الدهان».. ولكن احتمال أنها أحرقت فستاناً ملطخاً بالدم جعلها المتهمة الأولى في القضية.

وبعدالتحقيق الذي إعترفت فيه ليزي بأنها لم تنادِ السيدة بوردون بأمها، تمّ القبض عليها ووجهت إليها تهمة القتل.

بدأت محاكمتهابعد عشرة أشهر من حدوث الجريمة،في أول حزيران/ يونيو ١٨٩٣ في نيو برفورد في ولاية ماسوستش. ولكنه كان واضحاً من البداية أن الدليل كان عرضياً تماماً وأنه لم يكن هناك ما يربط ليزي بالقتلة. وتمت تبرئتها بعد ١٣ يوماً.

ومنذ ذلك الحين،تم وضع كتب كثيرة عن هذه القضية..وكلها تقريباً كانت تشير الى أن ليزي مذنبة..والكتاب الأول المعادي لهذا الرأي كان لأدوارد دراوين تحت عنوان: «ليزي بوردون: الحكاية التي لم ترو» وطبع في العام ١٩٦٦. وقال دراوين إن القاتل هي الخادمة بريجيت سوليفان .

وبعد ست سنوات، تحدثت فيكتوريا لينكولن، المولودة في فول ريفر، عن نظرية جديدة ضمنتها في كتابها «لعنة خاصة». واستناداً إلى أقوال فيكتوريا لينكولن فإن ليزي بوردون قتلت خالتها ـ زوجة أبيها ـ لأنها كانت غاضبة بسبب معاملة خاصة بقضية عقارية، وكان ذلك قبل خمس سنوات من وقوع الجريمة. فقد اشترى أندريو بوردن منزلاً يخص شقيق زوجته وأختهما وأعطى نصفه إلى آبي. وشعرت ليزي أن الإحسان يجب ان يبدأ في المنزل، وتوقفت عن مناداة أبي بأمها.. ودائماً وفق أقوال فيكتوريا فإن أندريو كان

على استعداد ليعمل الشيء نفسه مرة ثانية في يوم مقتله. وسأل العم جون مورسي شقيق زوجة بوردن الأولى سارة ـ إذا كان بإمكانه استئجار مزرعة تخص اندريو بوردن. ومرة ثانية قرر الأخير تحويل المزرعة باسم زوجته. وتعتقد فيكتوريا أن ليزي قتلت زوجة أبيها لمنع تنفيذ العملية وربما أنها قتلت أباها لأنها أدركت لأنه سيرتعب ـ وهذا مؤكد ـ إذا عرف أنها القاتلة.

وفي العام ١٩٩٢ استعرض ديفيد كنت في كتابه: «أربعون محاولة ودليل جديد في حياة وأسطورة ليزي بوردن»،استعرض كل الأدلة بما فيها عملية كبرى لم تنشر قبلاً، وبرهن على أنه أكانت ليزي مذنبة أم لم تكن. لا يجب أن تتهم على الإطلاق بالجريمة وتساق الى المحكمة.

وأقر كتاب كنت أنه في الواقع لم يكن هناك دليل قاطع ضد ليزي وأن القضية ما كان يجب أن تبلغ المحكمة. ولكنه ينهي بقوله. «ما هي حقيقة ما حصل عند الرقم ٩٢ في الشارع الثاني؟ إين اللغز الأبدي. إن القضية ستبقى ناقصة إلى الأبد. وربما كانت ليزي الشخص الوحيد الذي يعرف الحقيقة. «وربما لا».

توفي ديفيد كنت بعد وقت قصير من انجاز كتابه، وهذا ما سمح له بالتعليق على كتاب صدر في العام ١٩٩١ تحت عنوان: «ليزي بوردن: الأسطورة، الحقيقة، الفصل الأخير» بقلم أرنولد براون.. وفيه يتعهد بتسمية القاتل الحقيقي.

وأرنولد براون هو أيضاً من مواليد فول ريفر عام ١٩٢٥. وقال إنه ينظر إلي ليزي على أنها مذنبة، ولكن بعد تقاعده في فلوريدا، التقى رجلاً يدعى لويس بيترسون، ومن فول ريفر أيضاً، وعندما كانا يناقشان لغز تيد كنيدي وشابا كيديك أتيا على ذكر إسم

ليزي بوردن، وعلّق باترسون على ذلك بقوله: «هذا ليس لغزاً.. فوالد زوجتي عرف القاتل.»

وسألته بذكاء:

ـ أتعني ليزي؟

ـ لا. أعني الفتى الذي قتلهما.

وحينئذٍ شرح باترسون أنه عندما كان والد زوجته هنري هاوثرن في الحادية والثمانين عام ١٩٧٦، كتب حقيقة ما حدث. وسمح باترسون لأرنولد براون ليقرأ قصة هذه القضية.

كان والد هنري هاوثرن عاملاً فقيراً يعمل لدى مزارع يدعى ويليام بوردن، ابن ديكون شارل بوردن.

كان ويليام بوردن يملك مزرعة مساحتها مئتا هكتار وكان دخله يأتي في مجمله من عصير الفاكهة وخاصة عصير التفاح. وضع أيضاً نوعاً من العصير يمكن إضافته إلى عصير التفاح ليجمده.. وبالتالي يجعله يعطي بعد فترة شراباً لذيذاً.. يعرف باسم «براندي التفاح».. الذي كان ويليام يستهلك شخصياً أكبر جزء منه.. ويمضي أكثرية وقته مخموراً.

كان بوردن رجلاً غريباً وعنيفاً إلى حد الوحشية أحياناً.. وطفلاً في أحيان أخرى.. وكان هنري هاوثرن يكبره بست سنوات عندما التقاه، ووجده مخيفاً.. في البداية كان بوردن القصاب المحلي الذي يستأجرونه لقتل الخيول وغيرها من الحيوانات وكان يقضي على الحيوان بضربة فأس واحدة. وكان بوردن ـ يحب فأسه.. وهو نادراً ما كان يغادر مزرعته دون أن يحمل ذلك «السلاح» في كيس خاص. وأول مرة التقاه هاوثرن، طارده بوردن شاهراً فراعته جعلت الفتى الرهيب يرتعب لعدة ساعات بعد ذلك. ولكن عندما

تخلص الفتى من خوفه، أصبح الإثنان صديقين. ويقول هاوثرن إنه كان في سن الثامنة عندما أدرك أن ويليام بوردن كان عقلياً في نفس السن. وكان لبيل لعبة، سنة يمتلكها وسنة لا، ولكن فراعته لم تكن لتفارقه أبداً، ومنذ ذلك الحين. وكان هنري يلعب لعبة الفرسان مع ألعابه.. وهي كانت سائدة آنذاك في أوساط كل الأطفال. وأخبر بيل بوردن هنري أن فراعته كانت صديقه الوحيد حتى انتقلت عائلة هنري إلى هناك.

وذات يوم جعل بيل بوردن الطفل يخمر عندما سقاه مادة مسكرة.. في البداية شعر الطفل بالمرارة ولكنه اعتاد ذلك فيما بعد.. وأصيب بمرض شديد لاحقاً.

ويقول هاوثرن أن بوردن أخبره أن «ديكون» لم يكن والده الحقيقي ـ فهو تبنى بيل في سن مبكرة جداً. وكان ديكون وبيل كلاهما عرف هوية الأب الحقيقي وليس أي واحد آخر على الإطلاق. وكان بوردن كرر في أكثر من مناسبة أن والده الحقيقي مات.

وذات يوم، عندما سكر بوردن من العصير لخاص وتناول الطفل جرعات منه، بدأ الأول يتحدث إلى فراعته فقال: «أنت عرفت أبي وتلك السمينة التي تزوجها في حين كان يجب أن يتزوج أمي. بالطبع عرفتهما وكنت هناك عندما ماتا.»

عندما كبر هنري هاوثرن أصبح رجل مبيعات ناضجاً وخلف وراءه حياة الفقر. تزوج فتاة تدعى ماري إيغان، أمها ألين إيغان، وهي كانت مرّت أمام منزل بوردن صباح يوم الجريمة. حماته، كما بدا، كانت مهتمة إلى حد بعيد بقصصه عن ويليام بوردن وتطرح عليه أسئلة بشكل مستمر ـ ومنها مثلاً في أي نوع من الحقائب

اعتاد أن يحمل فراعته. وكانت مهتمة أيضاً في واحدة من قصص نسيبها حول حيلة انطلت عليه من حيل بوردن.. فبعد أن قاما بتنظيف برميل العصير بواسطة خليط خاص أعدّه بوردن، أعطاه هذا الأخير مادة بدت وكأنها جذع من الشحم وقال له أن يتأكد من كشط هذا الشحم على أي جزء من الجسد لامس منظف البرميل. وفعل هاوثرن ذلك لتنشر رائحة كريهة جعلت الكل يبتعدون عنه. ووصف الرائحة على أنها خليط من لحم الحصان المغلي والتفاح المتعفن والبيض النتن.. ولم يتخلص من الرائحة الكريهة إلا بعد ثلاثة أيام.

وذات يوم سألته حماته إذا كان بوردن يملك معطفاً طويلاً ومن المادة نفسها المصنوعة منها الحقيبة التي يضع فيها فراعته. وسألها هاوثرن دهشاً كيف عرفت ذلك. وبالفعل كان برودن يرتدي دائماً معطفاً طويلاً ـ صنعته له زوجته ـ وذلك منذ أن لطخت قطعة من لحم الحصان بدلته.. وبعدها حرص على ألا يتكرر ذلك مرة ثانية وأصبح فناناً في تقطيع لحوم الخيول التي كان يبيعها في جزارته أو يدعى لقتلها مع غيرها من الحيوانات في البلدة وضواحيها.

وأخبرته حماته إيلين إيغان لماذا كانت فضولية إلى هذا الحد. فصباح يوم مقتل بوردن مرّت أمام منزله حوالي الساعة العاشرة وشاهدت الخادمة بريجيت في الخارج تنظف النوافذ ـ كما يفعل أناس عديدون. ولكن عندما مرّت خلف المنزل شاهدت رجلاً في طريقه الى البوابة. كان الرجل أنيقاً ولكن رائحة مرْعبة تنبعث منه على بعد عدة أمتار..والذي أثار استغرابها أكثر أن ذلك الرجل كان يرتدي معطفاً في يوم حار جداً كذلك اليوم..وكان قماش المعطف

من النوع نفسه الذي تصنع منه الحقائب.. وكان يحمل حقيبة مصنوعة من قماش المعطف نفسه الذي يرتديه.

شاهدها الرجل وتردد وكأنه يهم بالتراجع. نظر في عينهالحظة ثم تقدم نحوها.ركضت، وبعد لحظات اندفعت إلى الباب الخلفي وقد أصيبت بالغثيان (لم يكن السبب فقط رائحة الرجل، ولكنها تعاني مما تدعوه رشح الصيف.)

وأخيراً قررت إيلين إيغان أن تروي قصتها للشرطة. ولكن الشرطي كان مشغولاً ولم يصدق أقوالها، فطلب اليها أن تذهب من حيث أتت ولا تضيّع وقتها. وفي ذلك الحين قررت الشرطة أن ليزلي برودن كانت مذنبة. وعندما اخبرته حماته قصتها، أدرك هنري هاوثرن ـ وكأنه أصيب بصدمة، بأن بيل بوردن كان يقول الحقيقة عندما قال لفراعته: «طبعا لقد عرفتِهم. وكنت هناك عندما ماتوا.»

هذه، إذن، هي القصة التي رواها أرنولد براون. لقد أمضى سنتين يحاول البحث عنها. والدة ويليام بوردن كانت تدعى فيبير هذاروي، وكان عمره ٤٥ سنة عندما مات ـ ربما انتحر كما يبدو ـ في العام ١٩٠١. وهذا يعني أنه ولد في العام ١٨٥٦. ونجح براون بالإحتفاظ بشهادة الميلاد لعدد من أطفال ديكون بوردن، ولدان وثلاث بنات.. ولكنه لم يجد بينهم من يدعى ويليام بوردن. وبدا وكأن ديكون بوردن وزوجته قد سجلا ميلاد الأولاد باستثناء ويليام. وعرف براون أن هناك قانوناً قديما في ماسوشتس ينص على أن شهادات الميلاد للأطفال غير الشرعيين ليست متوفرة في السجلات العامة. واعتقد أن ذلك يفسر فشله في الإهتداء إلى شهادة ويليام بوردن.



ليزي بوردن

وعندما مات ويليام بوردن في نيسان/أبريل ١٩٠١، نشرت صحيفة تاونتن اليومية خبر وفاته وذكرت أنه كان «مختلاً فعلاً» وأنه أمضى فترة في المصح المحلي قبل سنوات قليلة. وعلى الفور ركّز براون تحقيقاته على مستشفى تاونتن الحكومي وتلقى جوابين كلاهما يذكّر أن إدارة المستشفى لم تجد ملف الشخص المستفسر عنه، مع أن لدى الإدارة بطاقة لويليام بوردن وفيها اسماء شقيقاته. وفيما بعد أرسل أحد الرسميين. خطاباً إلى براون يدّعي فيه: «ليس لدينا بطاقة قبول بإسم الشخص الذي ذكرت. ولو كان هنا،لكنا عرفنا ذلك.»

وبدأ براون يشعر أنه، ولسبب ما، قد تم وضع حصار رسمي على سجلات ويليام بوردن كافة.

وعندما درس كل ما ذكر عن موت بوردن في الصحف المحلية،بدأ يشك بأنه ربما لم تكن الوفاة ناتجة عن انتحار. وكان بوردن شرب، كما يبدو، كثيراً قبل أن يتسلق شجرة في الظلام قبل الفجر ولفّ غصناً حول عنقه.. وهو ربما سقط أو قفز..

وتحطمت رقبته في الحال. وهناك واقع آخر وهو أن بوردن كان يرتدي أفضل مالديه من ثياب.. وبدأ براون يميل كلياً إلى الإعتقاد بأن الوقائع توحي أنه قتل ولم ينتحر وأنه ربما تمّ التخلص منه من قبل بعض نفس السلطات التي كانت قلقة جداً من الإحتفاظ بتفاصيل من حياته.. كسر.

وكان اعتقاد براون ـ والذي عمل أقصى ما يمكنه لتبريره بأي دليل آخر ـ كان كالتالي:

فهو يعتقد أن ليسلي وشقيقتها كانتا مدركتين تماماً أن لهما أخ شقيق. وأشار في تحقيقه إلى تبادل خاص. وسألها المدعي العام، نولتون: «كم طفلاً كان لأبيك؟ وأجابته ليزلي: اثنان فقط.

ـ أنت وأختك فقط؟

ـ نعم، سيدي.

ـ ولا أحد آخر؟

ـ واحد مات.

فهل كان نولتون يريدها أن تعلم أنه يعلم عن وجود ويليام، الإبن غير الشرعي؟ وإذا لم يكن كذلك، فلماذا تراه يصر على موضوع غير مهم كهذا؟

ويعتقد براون أن ويليام بوردن ـ والذي كان آنذاك في حوالي الثلاثين ـ جاء ليرى والده الحقيقي صباح ذلك اليوم وربما لمناقشة أو تسوية أمور مالية نقدية.. واعتقد براون أن الفتى دخل المنزل قبل منتصف ليل اليوم السابق ونام حتى في غرفة نوم إيما الفارغة. ويقترح أن ويليام بوردن كان ينتظر في غرفة الضيوف عندما جاءت السيدة لتغير الشراشف. ومن المحتمل أن حواراً دار بينهما



فلورانس برافو

بعد أن انكشف أمره.وعلى كلٍ يعتقد براون أن وليام بوردن، المريض نفسياً، قتلها بفراعته، وتركها ممددة في الوضع الذي وجدت فيه.

تركت ليزي غرفة نومها حوالي الساعة التاسعة في ذلك الصباح وقبل أن يغادر المنزل بقليل ويذهب إلى المدينة. وعندما ذهب أشغلت ليزي نفسها ببعض الأعمال المنزلية ومنها ترتيب الأسرّة وكي الملابس. عاد والدها الى المنزل عند الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين. كان تعباً ـ على اعتبار أنه كان وزوجته يعانيان من طارىء صحي في اليوم السابق ـ فجلس على الكنبة واستعد

للنوم. وهنا تقول ليزي إنها خرجت لتشتري طعماً لصنارتها. وفي رواية أخرى لقصتها تقول انها ذهبت لتقطف بعض ثمرات الإجاص.. وإن وجودها خارج المنزل استمر لربع ساعة أو أكثر بقليل.. وفي هذه الأثناء ينزل ويليام بوردن من الدور العلوي وقتل أباه كان هذا القتل ضرورياً ـ ومنذ ان عرف بوردن ان ولده غير الشرعي كان في المنزل،أو أنه سيأتي ليلقاه في ذاك الصباح.

بعد أن قتل ويليام بوردن أباه سار في ممر خلف المنزل. وينشر إدوارد بيرسون في كتابه«محاكمة ليزي بوردن»،صورة لمنزل بوردن ظهر فيها أنه كان هناك ممر ضيق بين الباحة الخلفية أو الممر والسور، وربما بطول ثلاثة أقدام فقط. وهكذا فإن إيلين إيغان والتي كانت تمشي عند الجانب الآخر من السياج كانت على بعد قدم واحد من الرجل الذي كان يرتدي المعطف الغريب.

ولكن لماذا امتنعت ليزي بوردن عن أن تذكر إسم شقيقها كمتهم؟ هناك احتمال واحد بالطبع وهو أنه لم تكن لديها فكرة أنه كان في مكان ما قرب المنزل أثناء وقوع الجريمة. ونظرية براون هي أنه كان مرتبطاً بالوصية. ونحن نعرف أن أندريو بوردن قد عمل وصية ترك فيها لليزي وأختها مبلغ ٢٥ ألف دولار لكل منهما ـ وهو مبلغ صغير الى حد ما إذا ما قورن بضخامة ثروته التي لا تقل أبداً عن المليون دولار. وهذا ما كان ذكر دائماً كسبب لقيام ليزي بقتل أبيها وأمها. ويعتقد براون أن ليزي فور تأكدها من أن أباها وأمها قد ماتا وشكّت في أن القاتل هو شقيقها، أدركت أن لديها الآن سبباً ممتازاً كي تلتزم الصمت. فإذاً هي وشت بويليام بوردن، سيعرف الجميع أنه كان شقيقها وأن أندريو بوردن كان أباه.. وبالتالي سيؤول إليه ثلث الثروة.. وحتى وإن اتهم بالجريمة،

فإن الثلث الذي سيرثه سيتحول إلى امرأته.. ولكن إذا التزمت ليزي الصمت فانها ستقتسم الأملاك هي وأختها، وهذا ما حصل بالفعل.

في العام ١٩٣٠ كاد ممثل أميركي يدعى فيليب بال دريو أن يعدم خطأً بسبب جريمة لم يقترفها.

فعند الساعة السادسة والنصف مساء السبت الواقع في ٢٢ حزيران/يونيو ١٩٢٩ أعادت السيدة آني أوليفر إلى دكان بيع التبغ حيث كانت تركت زوجها الفريد اوليفر، يقوم بخدمة أحد الزبائن.. فوجدته يموت خلف المقصف .. وعندما سألته ماذا حدث؟ فقال: «لا أعرف ياعزيزتي». ومات بعد ٢٤ ساعة.

ولم تكن هناك أية أدلة، وبعد شهرين تمكنت تحريات الشرطة من الإهتداء إلى دليل ما. وآنذاك كان المفتش توماس بورروز يشرب كأساً في نادي ولينغتون، مقابل المسرح الملكي، وإذا برجل يتقدم منه ويقول له: «إن الفتى الذي تبحث عنه هو يال دريو، الممثل في فيلم «الوحش».

وتم إلقاء القبض على دريو في نتنغهام، حيث كانت تمثل فرقته ووجدت بقع الدم على سراويله. وأصرّت امرأة كانت تقف بالقرب من دكان أليفر، في كروس ستريت، أنها شاهدت دريو يمسح الدم عن وجهه مباشرة بعد حدوث الجريمة. وأصرّ دريو على أنه لا يعرف أين يقع كروس ستريت.. بينما قال شاهد آخر إنه سمعه يقول إنه ذاهب إلى شراء صحيفة من كروس ستريت. وأصرّ دريو على أن ما قاله هو أنه ذهب «عبر الشارع» ليحصل على صحيفة.

وحتى الشاهدان اللذان قالا إنهما رأياه قرب الدكان، أخذا أيضاً إلى نتنغهام.

والجزء الثاني من نظرية براون تصعب متابعته.. فهو مقتنع أن فول ريفر كانت تحت سلطة غريبة أطلق عليها إسم «الحكومة الصامتة». ويقول إنه في كثير من المدن الصغيرة والمدن في أميركا،

بدأت محاكمة فيليب يال دريو في ٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٢٩ في قاعة البلدة الرئيسية. وكان من الواضح أن الدليل ضد فيليب هو عرضي وارتكز إلى أقوال الناس الذين ادعوا أنهم رأوه، أو ربما هم رأوا شخصاً يشبهه، قرب مسرح الجريمة. ولكن الأشياء بدأت تميل إلى صالح دريو عندما جاء مساعد لحام يدعى ألفرد ويلز ليدلي بشهادته وهو كان مسبقاً أخبر الشرطة أنه، في يوم الجريمة، رأى رجلاً يشبه دريو في ستريت كروس ـ رجلاً كان يضع معطفه فوق كتفيه كما كان يفعل دريو تماماً. ولكن عندما قدّم صحافي يدعى برنار أودونيل قدم ويلز إلى دريو، قال الأول على الفور إنه لم يكن الرجل الذي رآه. تحدث إليه وكان الرجل يتحدث بلكنة شمالية. وقال إنه أخبر الشرطة بأن الرجل الذي رآه لم يكن دريو.

وأنكرت الشرطة ذلك ـ لكنها اضطرت لسحب الإنكار عندما وجدوا تصريح ويلز بين كومة من الأوراق. وأصدرت المحكمة حكماً في جريمة شهد فيها شخص أو أشخاص غير معروفين، وغادر دريو المحكمة حراً.

وكان حل اللغز على الأغلب يرتكز على واقع أن يوم السبت ٢٢ حزيران كان يشار إليه باليوم الأسود في ريدنغ، لأنه كان اليوم الذي هاجمت فيه المدينة مجموعة من العصابات وقد شدّتها إلى المكان سباقات الخيل الشهيرة. ويبدو أن قاتل الفريد أوليفر المجهول كان واحداً من هؤلاء، وليس الممثل السينمائي، دريو.

فإن أكثرية الوظائف البلدية ـ بما فيها قوات الشرطة ـ كانت كلها في أيدي مجموعة صغيرة من أصحاب النفوذ، كالأطباء والقضاة والمحامين وأعضاء آخرين من مجتمع الطبقة المتوسطة: ويشرح ـ ولكن دون أن يشرح كيف يعرف ـ أن الحكومة الصامتة أقامت نوعاً من القيادة في فندق ميلون، في فول ريفر. ولكنه يعتقد فيما بعد أن «عصابة فندق ميلون» عرفت أيضاً أن ويليام بوردن كان المذنب الحقيقي ولكن العصابة وافقت مع ليزي على أنها لا هي ولا عائلتها ستستفيدان من الجريمة. ودائماً استناداً على أقوال براون كان الأمر يتعلق بإيجاد قاتل يرتكب الجريمة ويمضي حراً.. وهكذا تستطيع ليزي وأختها اقتسام ثروة بوردن الضخمة. ويعتقد براون، كما يبدو، أن السبب كان مالياً في جزء منه ـ وأنهم كانوا، أي العصابة، يتوقون أن يدفع لهم.. وهو يذكر واقع أنه عندما ماتت إيما، تركت عقاراً قدرت قيمته بنصف مليون دولار.. بينما كانت قيمة ماتركته ليزي (عند موتها في العام١٩٢٧) أقل من نصف ما تركته أختها بكثير. ويعتقد أن تفسير ذلك كان ما لمح إليه المدّعي العام نولتن عند استجواب ليزي.. وسألها إذا كان لديها غير أختها.. وهو بذلك كان يريدها أن تعرف أنه هو يعرف تماماً أن لديها في الواقع شقيقاً.

ويعتقد براون أن جريمة أخرى، جريمة فتاة عمرها ٢٢ سنة، وتدعى برتا مانشستر، والتي حدثت بعد عشرة أشهر، لم يرتكبها سوى ويليام بوردن. وكانت برتا وجدت مقتولة وقد حطمت فراغة رأسها يوم ٣١ أيار/مايو ١٨٩٣. وقبل بدء محاكمة ليزي بقليل. الرجل الذي استؤجر لارتكاب الجريمة كان كاريتو. وقال الطبيب الشرعي ان الضربات القاتلة وجهت الى برتا في المكان نفسه الذي وجهت الضربات التي قتلت ايما بوردن ـ ويضيف

المدعي أن القاتل كان ينتظر في الحقل ليقتل والد برتا وألقي القبض عليه. وهو ادعى دائماً البراءة.. واعتبر متخلفاً عقليا وأطلق سراحه بعد ٢٥ سنة ثم أعيد ترحيله إلى أسور. ويعتقد براون أن المحكمة حكمت عليه لجهة دستورية وليس بالتحديد لجهة ارتكابه جريمة لأنه لم تتوفر فعلاً الأدلة الكافية لإدانته.ويبدو أيضاً أن براون يميل إلى الشك ـ وإن هو لم يقل ذلك ـ بأن ويليام بوردن هو الذي ارتكب الجريمة ليتأكد من أن شقيقته ستبرأ.

ولكن ـ ودائماً استناداً الى براون ـ القرار لتبرئة ليزي كان قد اتخذ مسبقاً وبموافقتها. وهي وقفت أمام المحكمة للتمويه ليتأكد بعد أن ضمنت لها المحكمة أنها ستبرئها.

كل هذا الجزء من نظرية براون يبدو غامضاً وبعيداً عن التصديق. ولكن الجزء الأكثر إقناعاً هو كما يبدو الشهادة التي قدمها هنري هاوثرن بخصوص ويليام بوردن ـ وتصريح حماته بأنها رأت بوردن يخرج من المنزل في وقت الجريمة. ومن الممكن، بالطبع، أن يكون كل ذلك مجرد أقوال اخترعها هنري هاوثرن الذي كان سمع بعض الشائعات مفادها أن ويليام بوردن كان ابن أندريو بوردن غير الشرعي ولفق بقية القصة. وهذا التلفيق غير صحيح،كما هو احتمال أن إيما بوردن لفقت قصتها عندما قالت إنها رأت رجلاً تنبعث منه رائحة كريهة يخرج من منزل بوردن. ومن جهة ثانية ليس هناك توثيق مستقل لأي من«الوقائع» في الكتاب. وليس هناك شيء في ملفات الشرطة يدعم قصة إيلين إيغان حول محاولتها إعلام الشرطة بأمر الرجل صاحب المعطف الطويل. كما انه ليس هناك دليل بأن ويليام بوردن كان الإبن غير الشرعي لأندريو بوردن. حتى وإن كان ويليام بوردن أخبر هنري

هاوثرن أن إسم والده الحقيقي هو أندريو بوردن، فإن هذا يمكن أن يكون مجرد تخيل أيضاً. وفول ريفر كانت تعج بعائلات بوردن المختلفة، وبغيرهم الكثيرين ممن يحملون الإسم نفسه.. وقدر عدد العائلات التي تحمل هذا الإسم في البلدة بأكثر من ١٢٥ عائلة.. وأن أندريو بوردن كان واحداً من المجموعة القليلة الغنية من هذه العائلات. وربما كان ويليام بوردن قد حسده، وبكل بساطة، لكونهما يحملان الإسم نفسه واختلق قصة على أن أندريو بوردن كان أباه الحقيقي.

ويميل براون إلى تقليل أو تجاهل بعض الأدلة ضد ليزي . فقبل أيام قليلة من حدوث الجريمة،حاولت أن تشتري حامض البروسيك وفسّره براون على أنها محاولة منها لحماية نفسها من ويليام بوردن ـ ولكنه لم يشرح كيف كانت ستستعمله. ويجهل براون أن ليزي كذبت عمداً صباح يوم الجريمة ـ وذلك عندما عاد والدها فقالت له إن خالتها (زوجته) تلقت رسالة أن بعضهم مريض وغادرت المنزل. طبعاً لم يكن قولها صحيحاً وذلك ما عرفناه فيما بعد. وهناك أيضاً موضوع فستان ليزي الذي قالت إنها أحرقته بعد أيام، مدعية أنه تلطخ بالدهان. فهل كان ذلك الفستان ملطخاً بالدم وقامت ليزي باخفائه بين فساتينها الأخرى في خزانة ملابسها؟

ومن ناحية ثانية، إذا كان البحث في سجلات ماسوشتس يمكن أن يؤدي نهائياً إلى نتيجة أو دليل ما، وهو أن ويليام بوردن كان ولداً غير شرعي، وإذا أمكن استخراج دليل آخر من مستشفى فول ريفر الحكومي ـ فإن هذا ـ في حال توفره يعني بالتأكيد أن ويليام بوردن هو المتهم الرئيسي في مقتل أندريو وآبي بوردن.

٦

جريمة غورس هول

تعتبر جريمة غورس هول واحدة من أقدم ألغاز القرن. فمساء السبت الواقع في أول تشرين الثاني/نوفمبر، عام ١٩٠٩، كان صناعي يدعى جورج هنري ستورز سوية مع زوجته وقريبتهما ماريون ليندلي، يجلسون في غرفة الطعام عندما دخلت عليهم الطباخة مسرعة وتصرخ: «هناك رجل في البيت» وأنها رأته خلف المطبخ قبل دقيقتين. قالت إنها ظنّته باب سائق العربة وقالت: «مالك تحدّق بي هكذا يا وورال؟». ولكن الرجل سحب مسدسه وصوبه إلى رأسها وصرخ: «كلمة واحدة تقولينها وأطلق الرصاص». تجاهلته وسارعت إلى غرفة الطعام.

اندفع ستورز ـ وكان ضخماً وقوي البنية ـ في الممر ووجد رجلاً مربوعاً ذا شاربين أشقرين. دفعه وبدأ يتعارك معه. وعندما اندفعت السيدة ستورز بدورها في الممر، سمعت الرجل يقول: «الآن حصلت عليك».. فسارعت وأخذت بندقية كانت معلقة إلى الجدار.. وعندما رفعتها في الهواء قال الرجل: «لن أطلق النار».. وانتزعت المسدس من يده.. ولكن لسوء الحظ كان في

جيبه سكين حاد. وصرخ ستورز لزَوجته أن تدق جرس الإنذار.. وفي هذه الأثناء كانت ماريون تندفع إلى الخارج لتطلب المساعدة.

دفع ستورز بالمعتدي إلى الداخل وأقفل الباب. ولكن الأخير حطم الزجاج بواسطة علبة حليب مفرج.. ليرمي نفسه فوق ستورز شاهراً سكينه. وعندما عادت المرأتان بعد لحظات قليلة وجدتا ستورز ممدداً على الأرض مصاباً بعدة جراح.. ولم تجدا أثراً للمعتدي.

واتضح أنه لم يكن في المسدس إبرة نار وكان من النوع القديم المعروف بالبيلدوغ.

أوقفت السيدة ستورز جرس الإنذار عندما دخل إلى الغرفة عميل تأمين يدعى ريتشارد أشوورت.. فانحنى فوق صاحب المطحنة الجريح وسأل:

ـ من فعل ذلك؟ هل لك أن تخبرني من؟

هزّ ستورز رأسه وتمتم: لا.. ومات بعد فترة قليلة.

وربطت الشرطة الجريمة بحادث كان قد وقع قبل شهرين تقريباً.. فيوم السبت، في ١٠ أيلول/سبتمبر، وعند الساعة التاسعة والنصف مساءً.. كان هناك من يصرخ من نافذة غرفة الطعام ويقول:

ـ إرفع يديك إلى أعلى وإلاّ سأطلق النار.. وتمّ سماع طلقة أعقبها صوت زجاج يتحطم. كان ستورز يهم بالإندفاع إلى الخارج ولكن زوجته تعلقت به ومنعته.. وعندما عادا في النهاية ليطلعا على الأضرار وجدا أن الرجل اختفى. ولهذا السبب تم تثبيت جرس الإنذار في غورس هول التي لم تكن بعيدة عن بلدة دوكينغ فيلد، في يورك شاير.

وأثناء التحقيق حول مقتل ستورز قالت ماريون ليندلي إنها سمعت السيدة ستورز تذكر إسمي رجلين كان ستورز ينظر إليهما كأعدائه. وكتبت ماريون الإسمين فوق ورقة ولكن لم يتم الكشف عنهما للرأي العام.

وبعد ١١ يوماً من وقوع الجريمة، في الثاني عشر من تشرين الثاني، أقدم وورال، سائق العربة، على الإنتحار فشنق نفسه في الإسطبل. ويبدو أنه أصيب بانهيار عصبي عندما أقفلت هول ومات سيده.. وظن أنه فقد عمله إلى الأبد.

وفي ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ألقت الشرطة القبض على شاب يدعى كورنيلوس هوارد.. وتعرفت إليه ماريون على أنه الرجل الذي كان يتعارك مع عمها. والفارق الوحيد هو أن هذا الرجل لم يكن له شاربان.

ولم تكن الطباخة ماري أيفنز متأكدة كماريون.. ولكنها قالت إنها تعتقد أنه الرجل نفسه.

كان كورنيلوس هوارد إبن عم ستورز. اقتيد إلى المحاكمة واتهم بجريمة القتل.

المحاكمة بدأت في آذار/مارس ١٩١٠ في محكمة شستر والتي كانت انعقدت برئاسة القاضي بيكفورد. وكان هوارد وصف على أنه احتياطي مدفعية، وكان في سن الحادية والثلاثين. وعندما سئلت السيدة ستورز إذا كان باستطاعتها أن تتعرف إلى القاتل في المحكمة، أشارت فوراً إلى هوارد في قفص الإتهام وصرخت: «هذا هو الرجل».

وتعرفت ماريون ليندلي إلى هوارد على أنه الرجل الذي رأته.

ويقول هوارد إن لديه ما يثبت براءته. فهو كان ترك الجيش في

أبريل الماضي واعترف بأنه حُكم - ثم برىء لمهاجمته دكاناً في شيفيلد. وادّعى أنه بعد ذلك ذهب إلى مكان يدعى «مساكن جويس» وأنه بقي هناك مساء وقوع الجريمة. وذكرت امرأة تقيم في المكان نفسه وتدعى أليس دولان، من أولدهام، ذكرت أن هوارد جاء إلى منزلها ليلة الجريمة ولعبا الورق حتى صباح اليوم التالي. ولكن ساكناً آخر نفى أن هوارد كان في المكان الذي ذكره مساء وقوع الجريمة وأنه كان غائباً لمدة يومين على الأقل. وتكونت لدى المحكمة مجموعة من الأدلة المتضاربة أدلى بها شهود آخرون. ولكن لعل أكثر ما أثّر على المحكمة بقوة هو واقع أن ستورز قد عرف ابن عمه جيداً ولم يكشف هويته. وكل ما حدث يفترض أنه لم يعرف مهاجمه.. ووجدت المحكمة أن هوارد ليس مذنباً.. فأخلت سبيله.

كانت ماري صوفيا موني فتاة جذابة تكسب عيشها من عملها كخادمة في مصنع للألبان.

في شهر أيلول/سبتمبر ١٩٠٥، كانت تقيم في المنزل رقم ٢٤٥ في لافندر هيل، في كالافام، ولم يكن يعرف عنها أنها على علاقة مع أصدقاء ذكور. ويوم الأحد، في ٢٤ أيلول/ سبتمبر، أخبرت زميلة لها إنها ذاهبة في نزهة قصيرة.. إتصلت بدكان الحلوى القريب منها عند السابعة وقالت أنها ذاهبة إلى فيكتوريا. وعند الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة عثر على جثتها في قناة مرستام على خط برايتون. كانت مهشمة وقطع القطار بعض أعضائها ويبدو أنها دفعت إلى القناة وسقطت فيه.

وأفاد رجل سكة الحديد في بيورلي أواكس أنه شاهد زوجين يتعاركان وبدا له أن الرجل كان يحاول إجبار الفتاة على الجلوس في المقعد.

ولم يتمكن أحد من كشف إسم الرجل الذي كانت ماري

وبعد خمسة أشهر ألقت الشرطة القبض على شخص آخر يدعى مارك وايلد. وأقسم شهود كثيرون أن مسدس البيلدوغ يخص وايلد. فليلة الجريمة كان هذا الأخير قد عاد إلى منزله وبقعة الدم جلية فوق ثيابه وأخبر والدته أنه قادم من معركة مع أحدهم. واكتشفت الشرطة أنه يملك مسدسين آخرين.. ولكنه كان فككها وتخلص من القطع ـ واعترف أنه فعل ذلك في حال اتهم في جريمة غورس هول. واتهم بمقتل ستورز وتمّ إرسال ثيابه الملطخة بالدم إلى المحلل الجنائي الدكتور ويليام ويلكوكس الذي أكدّ أن الدم هو دم بشري، ولكن منذ أن اعترف وايلد بذلك لم يعد هناك أية أهمية للنتيجة. ومرّة ثانية قررت المحكمة أن الدليل غير مقنع تماماً.. فتمت تبرئة وايلد وبقي لغز غورس هول دون حل.

ذاهبة إلى لقائه في فيكتوريا.. أو لماذا سمحت لنفسها أن تقتنع بالذهاب إلى برايتون في القطار. ولكن يبدو أن القاتل، كائناً من كان، بدأ يختلف معها وهما في طريقهما إلى برايتون ـ وربما كان سبب الخلاف حول ما إذا كانت ستبقى معه في الليل أم لا ـ ودفعها خارج القاطرة عندما رفضت.

شقيق ماري، روبرت كان هو الآخر عاملاً في مزرعة ويعيش حياة مزدوجة. كان على علاقة غرامية بأختين ورزق بطفلين من واحدة وبطفل ثالث من الثانية (وقد تزوجها). وفي العام ١٩١٢، وبعد سبع سنوات من مقتل شقيقته، أخذ المرأتين إلى ايستبورن وهناك قتلهما وقتل الأطفال الثلاثة وأحرق نفسه. ولكن واحدة من الأختين استطاعت النجاة

ويقترح بعض الذين كتبوا حول هذا اللغز أن لروبرت علاقة ما بموت شقيقته.. ولكن لم يتم اكتشاف أي علاقة تربط بين المأساتين.

وفي الواقع يبدو أن ستورز عرف هوية الرجل الذي طعنه مع أنه أنكر ذلك عندما كان يموت. فهو كان أخبر الشرطة أن ليس لديه فكرة عن الرجل الذي حطم البندقية ورماها من النافذة في أيلول/ سبتمبر. وادّعى ستورز أنه بعد أن سمع عبارة «إرفع يديك وإلا سأطلق النار» وتحطم زجاج النافذة، ادّعى أنه أزاح الستارة وشاهد رجلاً يصوب مسدسه باتجاهه. ولكن هذه القضية فيها الكثير من التساؤلات: هل أن الرجل صرخ «إرفع يديك» عندما لم يستطع رؤية العائلة وراء الستارة المسدلة؟ هل أن ستورز رفع الستارة بعد إطلاق الرصاص من خلال النافذة؟ وإذا كان الرجل ينوي قتل ستورز لماذا تراه لم يطلق رصاصة ثانية؟ ويبدو أن ستورز «فبرك» القصة ـ وأطلق رصاصة من خلال نافذته نفسها ـ لإيجاد سبب مقبول لدى الشرطة كي تتولى حمايته. ولماذا تراه لم يخبرها السبب الحقيقي؟ ويعتقد أنه فعل ذلك للإحتفاظ به لنفسه فقط. هل كانت زوجته وقريبته تعرفان السبب الحقيقي؟ قد لا يكون ذلك أكيداً.. ولكن الأكيد هو أنهما ربما صدقا كل ما إختار ستورز أن يقول لهما.

وأثناء الأسابيع السبعة التالية كان هناك شرطي حارس في غورس هول وتمّ تركيب جرس الإنذار. وليلة الجريمة تمّ سحب الجندي بسبب انتخابات محلية وتمّ بالتالي استدعاء كل أفراد الشرطة للمحافظة على الأمن. وأيّا كان قاتل ستورز فلا بد أنه عرف ذلك واغتنم الفرصة. وهو عندما اندفع إلى غرفة الطعام، صرخ: «الآن حصلت عليك». كان القاتل ينوي الإنتقام. ويرى أكثرية من كتبوا في هذه الجريمة أن دافع الإنتقام هو أن ستورز قد غرر بفتاة ما ـ قد تكون زوجته أو شقيقته. ومهما كان السبب فقد اختار ستورز أن يموت دون أن يذكر إسم مهاجمه.

المؤسف، في النهاية أن يغفل الدكتور ويلكوكس تجربة رئيسية. فهو برهن على أن البقع كانت دماً بشرياً، ولكن من المحتمل أنه لم يكن يعرف أن هناك تجربة أخرى لتحديد فئة دم البقع. كانت كمية كبيرة من الدم على ثياب وايلد في هول غورس.. وإن كان الدم أزيل منها.. إلا أنه كان من الممكن أخذ عينة من دم غِورس قبل دفنه. ولو حدث وكانت فئة الدم واحدة.. لكانت التهمة تزايدت ضد وايلد وثبتت عليه الجريمة.. ولكن كل ما نعرفه حتى الآن هو أن ستورز أخذ معه إلى القبر سر مقتله.

٧

قضية هيلاري روجيه الغريبة

لازال مقتل هيلاري روجيه لغزاً لم يتم الإهتداء إلى حله. وبالفعل فإن إسم القاتل يبدو واضحاً. ولكن الحكاية غريبة بما فيه الكفاية وتستحق أن تعاد روايتها:

كان هيلاري روجيه مزارعاً متقاعداً يعيش في غيميس، هادئاً، مطمئناً.. وله حساب في البنك بحدود ستة آلاف جنيه. وكان المبلغ يعتبر ثروة ضخمة في تلك الأيام. وكان روجيه قد تعرف إلى رجل شاب متزوج يدعى ويليام نايت لرفيل.. وانتقل روجيه يعيش مع الزوجين كضيف مشارك يدفع ما يتوجب عليه. ويقال إنه عاش معهما لفترة سبع سنوات على الأقل. وفي العام ١٩٢٦ انتقل الزوجان إلى منزل يدعى ناتهرست في كنافيل السفلى، القرية من ووكنغ. وكانت صحة روجيه بدأت تتدهور وأصبح بحاجة إلى ممرضة تعنى به.

وفي ٢٣ تموز/يونيو اشتد مرض روجيه، الأمر الذي استدعى إحضار الطبيب المحلي الدكتور بروير. ورأى أن المريض في صحة جيدة ولكنه مصاب بنزلة صدرية خاصة وأنه بلغ السابعة

والسبعين. وكانت السيدة ليرفيل امرأة رزينة وقوية استوعبت الوضع. ووصف الدكتور بروير العلاج وغادر المنزل. وفي ٦ آب/ أغسطس عاد بروير ورأى روجيه مرة ثانية ووجد أن وضعه لا زال كما هو. عندئذٍ، وصباح يوم ١٤ آب ١٩٢٦، تلقى بروير اتصالاً عاجلاً قائلاً إن حالة روجيه تدهورت جداً. وصل ليجد المريض غائباً عن الوعي ونبضه ضعيف جداً. واستناداً إلى أقوال ليرفيل والممرضة، كان روجيه في وضع جيد الليلة الماضية. واستنتج بروير أن روجيه مصاب بنزيف في دماغه. وفي وقت لاحق من صباح ذلك اليوم مات روجيه ووقع بروير محضر وفاته وشهد بأن الوفاة ناتجة عن هبوط في النبض ونزيف في الدماغ.

في ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٩٠٦ عثر على امرأة بريطانية شابة تدعى مادلين ليك مقتولة في غابة بالقرب من ايسن، في ألمانيا. وكان المال في جيبها موجوداً ولم يمس. تمّ فحص القتيلة عندئذٍ للتعرف إذا ما كانت تعرضت لاعتداء جنسي.. ولكن الطبيب لم يجد أي أثر لذلك.

وبعد أربعة أشهر، وفي شباط ١٩٠٧، ذهب شاب يدعى الفريد لاند، ٢٠ سنة، إلى الشرطة وقال إنه يريد أن يسلّم نفسه على أنه قاتل مادلين ليك. وروى قصته كالتالي: كان هو وإثنان من رفاقه، كارل وهنريك، قد هاجما مادلين بنية الإعتداء عليها جنسياً.. ولكنهم امتنعوا عن العمل بعد أن فقدت الوعي. وفر الثلاثة على الفور إلى بلجيكا ولكنه عاد ليسلّم نفسه. وليس لديه أي فكرة عمّا حصل للإثنين الآخرين.

وفي المحكمة في أيسن اعترف الفريد بأن الرفيقين اللذين ذكرهما أمام الشرطة ليس لهما وجود وهما من نسيج خياله. ولكن في الوقت الذي كانت المحكمة تستعد فيه لإصدار

ولكن محامي روجيه شك في الموضوع. ولم يكن في حساب روجيه المصرفي أكثر من ٨٠ جنيهاً. واعترف آل ليرفيل بصراحة أن روجيه قدم لهما مجموعة من الهدايا القيمة.. ومنها شيك بمبلغ ١٨٥٠ جنيهاً وضع في حساب السيدة ليرفيل.

وكشف المحامي عن شكوك إلى شقيقة روجيه المتزوجة وإبنة أخيه، اللتين وافقتاه على رأيه وقرروا أن موت روجيه العرضي يستحق فتح تحقيق. وعرفوا أيضاً أن الدكتور بروير لم يعاين روجيه منفرداً.. إذ كانت السيدة ليرفيل ترافقه وتتولى مساعدته ونقل أقواله. وطلبت أن يتم إحراق الجثة، ولكنه دفن في باحة كنيسة سان جون في ووكنغ. ولسبب غريب تجاهلت الشرطة كل هذا..

حكمها بالإدانة. دخلت امرأة كانت تدير مطعماً صغيراً بالقرب من أيسن وأصرّت على أن ألفريد كان في المطعم وتناول فطوره وغداءه، ثم عشاءه عند السابعة والنصف.. وأيدت إبنتاها أقوالها.

وروت شقيقة ألفريد كيف حاول أخوها الإنتحار بعد موت أبيها مصاباً بمرض السل والإدمان على الكحول. وقالت أيضاً إن أخاها كان مدمن كحول هو الآخر.. وإنه سجن عدة مرات بسبب عمليات تزوير متعددة.

وهكذا، وعلى الرغم من احتجاجه وإصراره على أنه مذنب ويريد أن يعدم.. وجدته المحكمة في نهاية تداولها أنه ليس مذنباً.

والدليل الذي بنت عليه المحكمة حكمها هو أن لاند أدلى باعترافات كاذبة بارتكاب جريمة لم يقترفها بالفعل.

ولكن لم يتم إلقاء القبض على قاتل مادلين أبداً.

ولم تسمح وزارة الداخلية بتشريح الجثة رسمياً إلا بعد مرور سنتين.

وأوكلت المهمة إلى السير برنار سبيلسبري الذي قام بتنفيذها يوم ١٦ آذار/مارس ١٩٢٨، يرافقه شرطي محلي هو المعاون بوشيه.. ويذكر أن سبيلسبري كان عمل مع بوشيه قبل أربع سنوات في قضية تسمم الفريد جونس صاحب فندق أنكور القريب من ريفليت واتهم بمقتله رجل فرنسي، شنق في وقت لاحق.

وقف سبيلسبري إلى جانب الدكتور بروير عند فتح القبر ـ وهو وضع مربك بالنسبة لطبيب متمرس عرف كيف يمكن لطبيب متمرس آخر أن يخطىء في تشخيص حالة عجوز. وكان هناك بالفعل ما يبرر ارتباكه.. إذ اتضح في المشرحة أن ليس هناك ما يدل على أن روجيه أصيب بنزيف في المخ.. ولكن أكثرية أعضائه تحتوي على كمية كبيرة من المورفين.. والدليل هو أن آثار المورفين كانت لا تزال واضحة بعد مرور ١٨ شهراً على الوفاة.

سئل ويليام ليرفيل عن الشيك بمبلغ ١٨٥٠ جنيهاً، واعترف بأن روجيه وقعه فقط وأنه هو الذي كتب المبلغ. وقالت السيدة ليرفيل أن لا دخل لها في موضوع المال.

وحدث أمر غريب أثناء التحقيق. فبعد إنتهاء التحقيق جاء رسول يحمل مغلفاً كتب عليه إسم ليرفيل. فتح الأخير الرسالة وسحب منها ورقة واحدة وانهار في غيبوبة وكسر الكرسي الذي سقط فوقه. وعندما تقدم أحدهم ونظر في الورقة اتضح أنها تضمنت رسماً لمشنقة تدلى منها رجل وكتب تحت الصورة: «أنت القاتل».

ولكن مع أن المحكمة أصدرت حكماً بالموت الناتج عن التسمم

بالمورفين وليس انتحاراً.. ولكن آل ليرفيل غادرا المحكمة لأنه لم يكن أي دليل على أنهما دسّا المورفين لروجيه.

ولكن صحيفتين محليتين ذكرتا أن ليرفيل هو القاتل.. فعمد إلىٰ ملاحقتهما وحصل على مبلغ خمسة آلاف جنيه كتعويض. ثم غادر مع زوجته وطفله إلى كندا.

وفي العام ١٩٣٣ عاد ليرفيل بسرعة إلى انكلترا وترك وراءه مجموعة من الشيكات بدون رصيد. وفي شهر آذار/مارس ١٩٣٤، انتقل إلى فندق في كومب مارتن.

كان ليرفيل يتمشى في الشارع عندما اقترب منه شرطي عرف أنه غريبٌ عن المكان وكان يود أن يجعله وكأنه في بلده من خلال التحدث إليه والترحيب به.

وسأله الشرطي: كم تنوي الإقامة في كومب مارتن؟

ـ بضعة أيام. ولكن هل يجب أن نسير طويلاً هكذا لوحدنا؟

استغرب الشرطي سؤال ليرفيل وسأله:

ـ ولم لا؟

وبينما كانا يسيران صامتين لاحظ ليرفيل صحيفة معروضة وعلى صفحتها الأولى صورة رجل يدعى ريجينالد هينكس، يقوده حارس السجن. وكان هينكس عامل تنظيفات يعيش مع أرملة تدعى كونستانس بولن وأبيها المريض البالغ من العمر ٨٥ سنة. وفي شهر كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٣، استدعى هينكس سيارة الإطفاء ليقول إنه وجد السيد بولن مع رأسه في فرن الغاز وسحبه إلى الخارج. وأضاف: إذا وجدتم بعض الخدوش والكدمات في مؤخرة رأسه. فهذه من عملي أثناء قيامي بسحبه من الفرن»..

ولكن الطبيب الشرعي وجد أن الخدوش والكدمات حصلت قبل الوفاة واتهم هينكس بالجريمة.

ولسبب ما أزعجت صورة هينكس السيد ليرفيل كثيراً وأثارت عصبيته، وأدلى بالملاحظة التالية قائلاً للشرطي: «أود أن أتحدث عنها معك».. وقبل أن يسأله الشرطي عما يعني، كان قد وقف خلف سيارة متوقفة على الرصيف وسحب من جيبه زجاجة صغيرة وشرب شيئاً منها.. وما إن بلغه الشرطي حتى وجده قد مات لتوه.. واتضح أن الزجاجة كانت مملؤة بحامض البروسيك.

وبعد شهرين، يوم ٤ أيار/مايو ١٩٣٤، شنق ريجينالد هينكس لقتله جيمس بولن.

٨

جريمة الأضاليا السوداء

أحدثت جريمة الأضاليا السوداء في الولايات المتحدة ما أحدثته جرائم جاك الغاصب في انكلترا. والجريمة عرفت في مختلف الأوساط الأميركية.. إذ أن مقتل أليزابيت شورت، المعروفة ب«الأضاليا السوداء» بسبب شعرها الأسود المسترسل، ويقال إنها كانت دائماً ترتدي ثياباً داخلية سوداء، هو من الجرائم المعقدة والتي لم يتوصل القضاء إلى كشف لغزها.

ففي ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٤٧ شاهد فتى كان يتنزه فوق دراجته عند الفجر سيارة سوداء محطمة فوق أرض بور في نوتن أفنيو في لوس أنجلوس.. ولكنه لم يكترث للأمر وأكمل طريقه.

وحوالي العاشرة والنصف من صباح ذلك اليوم، كانت تمر على مقربة من المكان نفسه ربة منزل تدعى بتي برينجر تدفع أمامها في عربة صغيرة طفلتها البالغة من العمر ثلاث سنوات، ولاحظت شيئاًأبيض أمامها هو أشبه بشخص ممدد على طرف الرصيف.. اقتربت واكتشفت أنها أمام جثة مقطعة لأمرأة شابة.

أسرعت الخطى نحو أقرب منزل، فقرعت الباب وقالت للمرأة

التي أتت لتفتح إنها تريد الإتصال بالشرطة. وبعد دقائق كان الضابطان ويل فيتزجيرالد وفرانك بركنز في طريقهما إلى مكان الجثة.. فطالعهم فتى مذعور يلوّح بيده ويشير قائلاً:

ـ هذه امرأة ميتة.

الفتاة كانت ملقية بين الحشائش وجسمها مقطوع إلى نصفين من عند الخصر وتفصل بينهما مسافة لا تتعدى القدم الواحد. كانت ساقاها منفرجتين وذراعاها محنيتين كزاوية قائمة مرفوعة فوق الكتفين. ولعل أحدهم قام بتشريح طرفي فمها وجعلها أكبر ليصل حتى أذنيها. ولم تكن هناك إشارة إذا ما كان هناك دم حول الجروح أو حول الجسم. ويبدو أنه تمّ تجفيفه كلياً وغسل عن الجثة قبل أن ترمى هناك.

وعلى مقربة من الرصيف، كان هناك كيس من الإسمنت وعليه بقع من الدم الفاتح اللون.

وكان رأي الضابط الثالث جفر هاسكنز الذي وصل بعد دقائق قليلة هو أنه أمام جريمة تحد أو جريمة جنس يقصد بها الإرهاب.

واعتقد رئيس المختبر الجنائي، راي بنكر، أن الجثة كانت وضعت في المكان قبل الفجر: فتم وضع الصدر أولاً إلى أسفل ثم إلى أعلى وبعده وضع الجزء الأسفل الذي نقل من عربة فوق كيس أسمنت. وخمّن بنكر أنها هوجمت بآلة حادة تسببت بموتها وأن الكدمات والجروح على الوجه هي من فعل تلك الآلة.

وقدر بنكر نفسه أن الوفاة حدثت قبل عشر ساعات واستغرب أن يكون شعر الفتاة الأسود أصلاً ـ وكان أصبح أحمر ـ أن يكون قد غسل بعد أن ماتت.

وتم رفع البصمات على الجثة.. وأدى ذلك العمل إلى معرفة

هوية الفتاة، كان اسمها أليزابيت شورت، وكانت في سن الثانية والعشرين، ومن مواليد هايدك، في ماسوشتس، في ٢٩ تموز/يوليو ١٩٢٤.. طولها خمسة أقدام وخمس أنشات وتزن ٥١١ رطلاً، سمراء وعيناها زرقاوان.

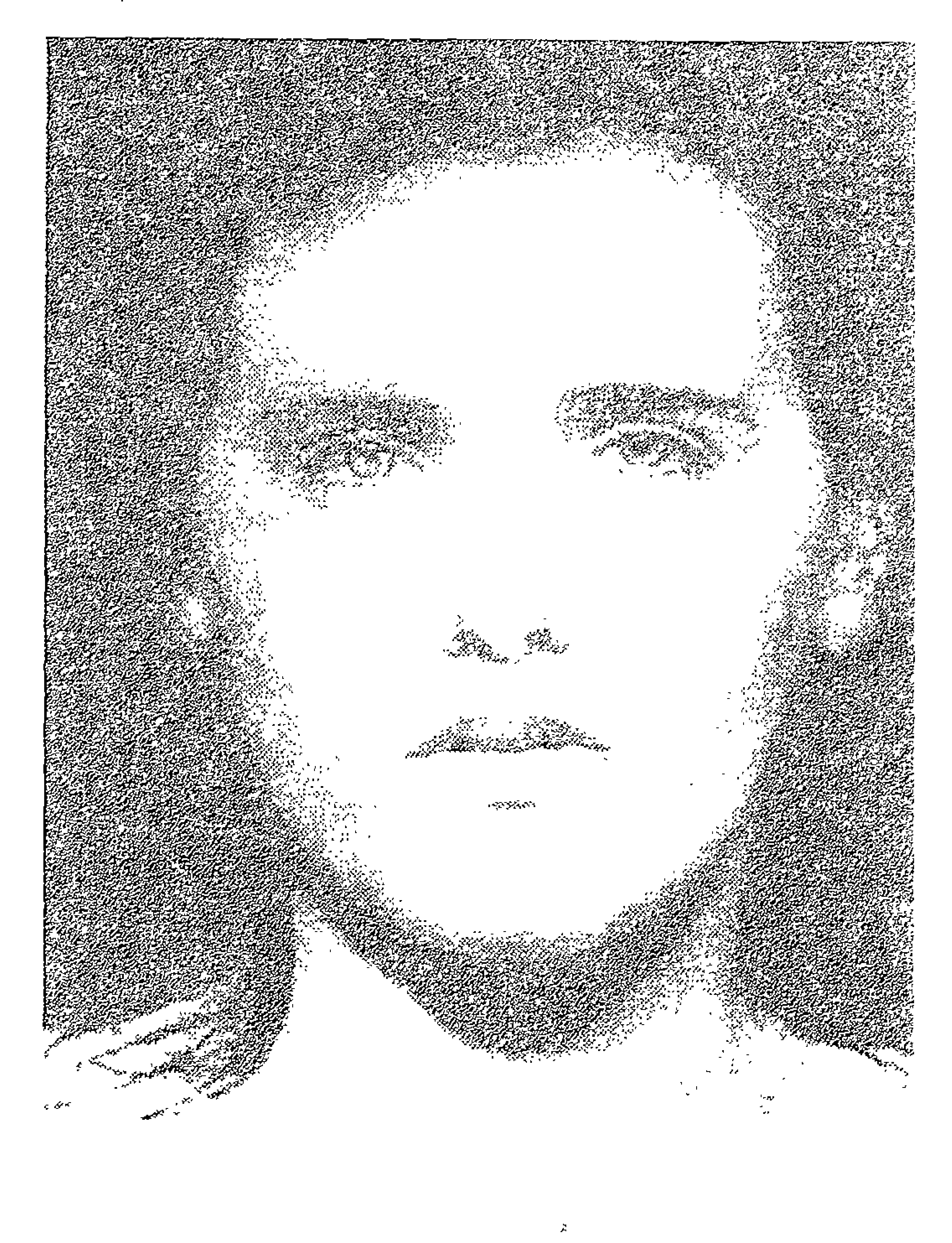
وحار أطباء مشرحة لوس أنجلوس في وضع النصف الأسفل من الجسد. فهم فشلوا في إدخال ميزان حرارة في مؤخرتها.. وبدا لهم أن في مخرجها ما يحول دون ذلك.. ولكن واحداً من الأطباء استطاع إزالة بعض قطع اللحم بواسطة مقص.. واكتشف أنها أدخلت في المخرج بعد الوفاة وأنها اقتطعت من الفخذ الأيسر.

وفي وقت متأخر من ذلك اليوم سجل جراح الشرطة أن الجثة تعود إلى انثى ما بين الخامسة عشرة والعشرين من العمر.. وهناك جراح بليغة في وسط الجبين ويمينه وفي أعلى الرأس.. إضافة إلى كدمات طولية في الخد الأيمن والجبين. ووجد الجراح جرحاً عميقاً وبطول إنشين ونصف الإنش يمتد جانبياً من طرف الفم الأيسر.. وكانت الأنسجة المحيطة بها حمراء تميل إلى الزرقة. كما كانت هناك أيضاً جروح أفقية فوق الشفة اليمنى العليا تمتد في النسيج الناعم لمسافة ثمن إنش. وبدا له أن أسنانها كانت في حالة تسوس وأن أحد الأضراس مفقود.

وبدا أن الثدي الأيسر قطع جزئياً.

وكان أغرب ما اكتشف هو عندما فتح الجراح المعدة ليجد أنهاضمّت مادة لم يتم هضمها وأنها دست عنوة في فم القتيلة وأجبرت على ابتلاعها.

ويبقى أنه كائناً من كان قاتل أليزابيت شورت، فهو كان إما سادياً أو لديه سبب وجيه لضربها.



اليزابيث شورت

وفور التعرف على صاحبة الجثة من خلال بصماتها- والتي كانت سجلت في ملف في قاعدة عسكرية في سانتا باربارا - استطاع صحافيون يعملون في صحيفة «الفاحص» في لوس أنجلوس الإتصال من مركز هاتف قريب بوالدة أليزابيت. ولكنهم لم يخبروها فوراً أن ابنتها ماتت - كان الصحافيون يحاولون

الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات ـ قبل أن تعلم الحقيقة وتصدم. وقالوا للأم فوبي شورت إن ابنتها فازت في مسابقة للجمال وإنهم يريدون خلفية موسعة عن ابنتها. وقالت فوبي إن ابنتها أليزابيت ـ المعروفة ب«بت» ـ جاءت إلى لوس أنجلوس على أمل التمثيل.. ثم راحت تقرأ على مسامع الصحافيين رسالة تلقتها مؤخراً من باسفيك بتش.. وعند هذه النقطة قاطعها الصحافيون وأخبروها أن أليزابيت قتلت، وأن صحيفة «الفاحص» ستفعل كل ما في وسعها للتأكد من أن تأخذ العدالة مجراها. ولم يتم إخبار الأم المسكينة ببقية ما شاهدوه من تفاصيل مرعبة.

ذهلت للوهلة الأولى وصرخت. ولكنها ظنت أن هذه مزحة وأنها لن تصدق أقوالهم حتى تأتي الشرطة وتخبرها بما حصل.. ثم أقفلت الخط. وغادر الصحافي الذي كان يتحدث إليها في المنزل وأسرع إلى أقرب حانة ليخمر.

وعندما نشرت الصحيفة القصة باعت آلاف النسخ الإضافية.. ولم تسجل مبيعاتها هذه الظاهرة طوال تاريخها. وفي مطلع الثمانينات أراد صحافي من لوس أنجلوس، ويدعى جون غيمور، أراد أن يبحث في حياة أليزابيت شورت القصيرة.. وأليكم ما اكتشفه ذلك الصحافي الباحث:

كان أبوها ميكانيكياً ماهراً يملك كاراجاً في بلدة وولفبرو الصغيرة القريبة من بوسطن. ازدهرت أعماله في البداية. وكانت أليزابيت الثالثة من خمس أخوات.. ثم كانت أزمة الركود الإقتصادي الشهيرة عام ١٩٢٩ وتعرضت أعمال كليو شورت، كغيره من الناس للإفلاس والوقوع تحت ديون كبيرة. وذات يوم ترك سيارته فوق جسر شارلستون واختفى. وبدا وكأن الرجل قتل

نفسه. صدمت أليزابيت ـ وكانت تعرف بإسم بتي ـ وخسرت في سنة واحدة ستة وثلاثين يوماً دراسياً. وبدأت تشكو من آلام الربو. وكان على الأم أن تقوم بأود العائلة، الأمر الذي اضطرها إلى العمل ستة أيام في الأسبوع ككاتبة في مخبز في ضواحي ميدفورد.

وكانت الأخت الكبرى موسيقية موهوبة، وكثيراً ما تستمع إلى الأوبرا من الراديو.. وطالما اختلفت معها بتي لأنها كانت تفضل الموسيقى الشعبية.

وعندما بلغت سن السادسة عشرة رتبت لها أمها أن تبقى مع الأصدقاء في ميامي بيتش في فلوريدا. وهناك كانت بتي تمضي أكثرية أيام الشتاء. وفي فلوريدا شفيت من الربو وعادت إلى المنزل في الربيع، ولكنها كانت تتردد على فلوريدا في فصل الشتاء ولمدة عامين. وعندما بلغت الثامنة عشرة، كانت على درجة قوية من الجمال ولاتفارق الإبتسامة الحلوة ثغرها.. وعملت في بعض المجالات السينمائية.

وفي ذلك الوقت تلقت فوبي شورت رسالة من زوجها كليو وقال لها إنه موجود في نورث كارولينا.. واعترف أنه لم يكن باستطاعته مواجهة الدائنين وقرر هجر عائلته، بكل بساطة. وعذره الوحيد كان أنه إذا اتضح أنه مات فإن زوجته لا بد أن تحظى بالعطف وتتوقف المطالبات. وأخبرها أيضاً أنه يود العودة إلى المنزل. وأجابته على الفور أنه من الأفضل أن يبقى حيث هو ولا يحاول العودة على الإطلاق.

سرّت بتي عندما علمت أن أباها لا زال على قيد الحياة وكتبت إليه في فاليخو في كاليفورنيا، وأجابها بأنه يعمل في قاعدة

مارايلاند البحرية ودعاها لتأتي وتقيم معه. كانت فوبي ضد الفكرة ولكنها في النهاية نزلت عند رغبة ابنتها التي وصلت إلى كاليفورنيا عام ١٩٤٣، وكانت يومها في سن التاسعة عشرة.

اجتماعها بأبيها لم يكن الحدث المثير الذي تأمله. كانت طموحة جداً وتأمل أن تصبح عارضة أزياء أو نجمة سينمائية. وكان أبوها يعمل منذ سبعة عشر عاماً وولّد رفض زوجته أن يعود إلى المنزل مرارة في نفسه. وخلال أسابيع قليلة، أصبح واضحاً أن الأب وابنته لا تجمع بينهما سوى المزايا المشتركة القليلة جداً. كانت أليزابيت مرحة وتحب أن تمضي أكثر أوقاتها في المقاهي أو الحانات. صاحبت الكثير من ضباط القاعدة البحرية، الأمر الذي أغضب والدها ووصفها بالكسولة و«عديمة الأخلاق». وأخيراً أجبرت على أن تغادر.

وقادها جندي إلى كامب كوك، في شمال لوس أنجلوس حيث نجحت في الحصول على وظيفة. وهناك أرادت أن تطلق على نفسها اسم «بت» بدلاً من «بتي».. وعملت كأمينة صندوق في الكانتين.

وجدها جنود القاعدة رائعة.. وأصبح معروفاً فيما بعد أنه حيث يتعلق الأمر بالجنس تكون هي على استعداد دائم.. وكذلك الجنود. وبما أن القاعدة كانت مزدحمة، لم تكن هناك غرف متوفرة لها في الحال، وكانت تنام حيثما يتسنى لها وتجد سريراً. ودعاها جندي كي تنتقل إلى سرير إضافي في مقصورته، وعندما رفضت ضربها على عينها.

وربحت مسابقة للجمال وانتخبت «أجمل فتاة لكامب كوك».. ولكن مشكلة السكن حملتها في النهاية على البحث عن

مكان آخر. وأخبرها الجندي الذي نقلها إلى كامب كوك أن تلتقيه في سانتا باربارا في شمال لوس أنجلوس. وهناك كانت تجلس مع مجموعة من الجنود والفتيات عندما نادى المدير الشرطة. وبما أنها كانت تحت السن اتهمت على أنها قاصر تواجدت في مكان تقدم فيه الكحول.

وأشفقت عليها شرطية تدعى ماري أونكفر واحتفظت بها إلى أن أمكن إرسالها إلى بوسطن. وهناك تمّ الإتصال بوالدها الذي قال إنه لا يريد أي علاقة معها بعد اليوم.

وعادت إلى لوس أنجلوس بعد أن ملّت وظيفة المضيفة في الحانات. واتصلت هاتفياً بصديقة تدعى شارون غينفنز كانت موجودة الآن في هيوستن، في تكساس وطلبت إليها أن تقرضها بعض المال. وطوال حياتها القصيرة كانت بت شورت تسعى دائماً لاقتراض المال من صديقاتها ومعارفها. وأرسلت شارون المال المطلوب إلى فندق كاينتون في لوس أنجلوس حيث كانت تقتسم غرفة مع فتاة تدعى لوسيل فاريللا. وكلتاهما أمضيتا ردحاً طويلاً في المقاهي والحانات. وتقول عنها لوسيل: «كانت بت تضع كثيراً من المساحيق وكان يصعب على من يراها أن يقدر سنها». أمضت

أثناء إقامتها القصيرة في هوليود، قامت أليزابيت شورت بزيارة قارئة حظ في جادة هوليود مع صديقة تدعى مارجوري غراهام.

وتتذكر مارجوري أن أليزابيت كانت مرتفعة المعنويات قبل أن تذهب إلى منزل القارئة.. ولكنهما عندما غادرا بدت «حزينة ومرتبكة». لقد أزعجها ما أخبرتها به تلك المرأة. وبقيت شاردة حزينة تفكر بأشياء لم تكشف عنها طوال ذلك اليوم.

بت أياماً طويلة تحاول البحث علّها تجد عملاً في استوديوهات هوليود. وانتهت بالحصول على وظيفة في الكانتين، وهو مكان يتردد عليه الخدم باستمرار، مع صديقة تدعى بارباراللي. وهناك التقت طياراً من القوات الجوية يدعى غوردن فيكلينغ وأمضت معه فترة طويلة.

وذات يوم حاول الممثل فرانشوت طون أن يصطحبها معه أثناء وجودها في مقهى فورموزا بالقرب من استوديوهات غولدوين. حاول مراراً ولكنها، كما قال، أخبرته أنها بانتظار شخص ما.. فأجابها: «طبعاً أنت بانتظاري».. وذكر لها أنه يعرف الكثير من المديرين ونجوم آخرين ويمكنه أن يؤمن لها لقاء من أجل أن تحصل على عمل في الأفلام.. وعندما دعاها طون إلى مكتب فارغ، مع سرير في الغرفة الخلفية، كان مقتنعاً أنه حصل على صيد ثمين.. ولكنه عندما حاول أن يقبلها.. دفعته عنها وخاب ظنها بأن لا شيء يشغل باله سوى افتراسها. ويبدو أنه عندما أدركت الثمن الذي ستدفعه ثمن مقابلتها، قررت ألا تفعل. وانزعج طون من خيبة أملها.. فأعطاها رقم هاتفه وبعض الدولارات وطلب عربة خيل تنقلها إلى المكان الذي تريده. ولسوء الحظ لم تستفد من مزية ي اللقاء.. لأن طون كان فعلاً قادراً على مساعدتها في أن تجد عملاً.

ووافقت فيما بعد على أن تمثل أمام فنان يدعى أرثر جيمس ليرسمها. ولم تمانع عندما طلب إليها أن تتعرى. كما أنها لم تمانع بالمثول عارية مع امرأة أخرى لاعداد لوحة اسمها «صافو».

صدمت عندما عرفت أن واحدة من صاحباتها المضيفات في الكانتين ـ وكانت فتاة موسرة وتدعى جورجيت، وجدت مقتولة

في شقتها خارج سانت ستريب.. ووجدت جورجيت تطفو ووجهها نحو الأسفل في بانيو الشقة يوم ١٢ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٤٤. كانت ترتدي بيجاما شفافة انتزعت كل أزرارها التي وجدت في غرفة ثانية حيث كانت بقع الدم واضحة على الأرض.

ساد الاعتقاد في البداية أن قدمها زلّت ووقعت في المغطس وغرقت.. ولكن الطبيب الشرعي أدرك أن قطعة قماش دست في فمها.. وكان فكاها مطبقين بقوة بحيث بدا من المستحيل سحبها إلى الخارج. ودست القماشة كي لا تصرخ.. فخنقها.. واغتصبت بعد أن ماتت.

وكانت سيارتها مفقودة ولكنها وجدت في قلب لوس أنجلوس في اليوم التالي. ولا بد أن القاتل نقلها إلى هناك للتمويه.

وتدخلت عائلة جورجيت لمنع الإعلانات عن الحادث ـ وكانت الصحف قد ذكرت لتوها أنها كانت «فتاة مغناجة».. وظهر من مفكرتها أنها كانت على علاقة مع عدد من الخدم الذين طالما ترددوا على شقتها.

صعقت بت بالجريمة وبقيت فترة لا تذهب إلى الكانتين. وكانت مرتبكة أيضاً لأن غوردان فيكلنغ كان في الخارج.

فقدت وظيفتها في الحال كموديل وتمّ إلقاء القبض على جيمس في توكسون، في أريزونا، في تشرين الثاني/نوفمبر.. فقد ذهب إلى أحد الفنادق مع بت شورت وصديقة تدعى بوبي هارنز واشترى للفتاتين هدايا سدد قيمتها بشيكات اتضح أنها بدون رصيد. وعندما اعترفت بوبي أنها كانت على علاقة جنسية معه طوال الليلة الماضية، ألقي القبض عليه واتهم بخرق «قانون مان» الذي يمنع نقل فتاة من ولاية إلى أخرى بقصد «أهداف غير

أخلاقية».. وحكم على أرثر جيمس بالسجن سنتين. فعادت بت إلى شيكاغو ومنها إلى منزلها في ميدفورد.

وعشية العام الجديد ١٩٤٥، وقعت في الحب مرة ثانية.. والحبيب الجديد كان ضابطاً آخر في القوات الجوية، الميجور مات غوردون، وطلب إليها أن تتزوجه.

وهي أيضاً جددت معارفها برجل يدعى فيل جيفرز، وكانت التقته في شيكاغو. وطالما دعاها إلى العشاء في الخارج. وعندما أخبرها أنه لا زال بكراً، أجابته إنها أيضاً لا زالت عذراء.. ولكنها ذهبت إلى غرفة في منزل ممنوع دخول النساء إليه.. وهناك خلعا ثيابهما وانخرطا في حفلات تدليك سويدية.. ويقول جيفرز فيما بعد: «فعلاً حافظنا على عذريتنا».

ويقول جيفرز إنه لاحظ أنها كانت تعاني من متاعب سرية. فذات ليلة علت وجهها مسحة حزن قوية.. وعندما سألها ماذا حدث؟ رفضت أن تخبره.

وبعد أيام قليلة ـ يوم ١٤ آب/أغسطس ١٩٤٥ ـ تلقت برقية من والدة مات غوردان، تعلمها فيها أن مات قتل في حادث تحطم طائرة وهو في طريق عودته من الهند. وردّت بت على خطاب والدة مات بأنها طلبت إليها إذا كان باستطاعة الأم أن تقرضها مبلغاً من المال تبدأ به حياتها من جديد. وبعد ذلك عادت ووطدت علاقتها مع غوردان فيكلنغ الذي أرسل إليها مئة دولار لتأتي لونغ بيتش في جنوب لوس أنجلوس.. ولكنها أصيبت، مرة ثانية، بخيبة أمل.. عندما عرفت أن غوردان لم يستدعها إلاّ لتكون عشيقة له. ولم يكن مهتماً بالإطلاق بفكرة الزواج.. وكانت ردة فعلها الفورية أنها بدأت تضاجع رجالاً آخرين في لونغ بيتش.



والدة اليزابيث شورت واختها في طريقهما الى لوس انجلوس للتعرف الى جثتها.

وفي هذه الفترة تحديداً اكتسبت لقب «الأضاليا السوداء».. وآنذاك كان فيلم ألان لاد «الأضاليا الزرقاء» قد بدأ يعرض في دور السينما.. وبدأ جنديان عرفا بت بإطلاق لقب «الأضاليا السوداء» عليها.. وكان السبب، على ما يبدو، لأنها كانت ترتدي دائماً ثوباً للبحر مؤلفاً من قطعتين سوداوين.. وأضافت زميلاتها في غرفة النوم أنها كانت ترتدي دائماً ثياباً داخلية سوداء.

عادت إلى لوس أنجلوس في الحال.. لتقيم مع صديقات وتضاجع رجالاً جداً. ويقول بعض الذين ضاجعتهم إنها لم تكن «سهلة جداً» كما كان يحلو لبعض الكتّاب أن يصفوها. كان مارتن لويس مدير محلي أحذية متلاصقين. وكان يلاحظ بت

تقف صباح كل يوم وتتأمل الأحذية المعروضة في الواجهة. كان مارتن متزوجاً وأباً لثلاثة أطفال.. ولكن ذلك لم يمكنه من ملاحظة كم هي جذابة.. وذات يوم دخلت المحل تسأل إذا كان بإمكانها أن تجرب زوجاً من الأحذية المعروضة والغالية الثمن. تذرعت بأنها لم تملك مالاً تشتري ما تريد.. وتأكد فعلاً كذلك.. وذات يوم قبلت دعوته إلى العشاء.. في إحدى المقاهي.. وهناك ذكرت له أنها نسيت حقيبتها في شقتها.. فأعطاها مالاً كافياً. وبعد أيام قليلة عادت إلى المحل وأعادت إلى مارتن المال الذي أعطاها إياه. وعادت لتجرب الحذاء وسألته إذا كان بالإمكان أن تنقده الثمن فيما بعد.. لأنها تحتاج إلى المال الآن لتنضم إلى «دليل السينما». وعندما سألته لاحظ أن سحاب الفستان مفتوح حتى النهدين.. وابتسمت وسألته مجدداً: «هل تحب ما تراه؟» وبالطبع أكّد إعجابه.. وعادت فسألته: «هل تحب أن ترى شيئاً أكثر من جسمي؟». وهنا طلب إليها أن تعود إلى محله بعد الإقفال.

وهناك في سيارته، ناولها الحذاء موضباً في علبة خاصة ومارسا الجنس في السيارة.. ثم عاد بها إلى فندقها.

عادت إليه في محله عدة مرات.. في كل مرة كان يقدم لها حذاء جديداً وأقرضها مبلغاً من المال لتدفع إيجار الفندق وتصرف على نفسها. واستمرت علاقتهما لفترة ولكن ضمن حدود جنسية غريبة في أكثر الأحيان. وبدا له أن بت كانت تمارس الحدود نفسها مع كل من ضاجعتهم.

وذات يوم أخبره صديقه أنه شاهد بت شورت في فيلم جنسي. وذهب ليشاهدا الفيلم في مكتب صديقه، ولكنه كان يميل إلى الشك فيما إذا كانت الفتاة صاحبة الشعر الأسود هي فعلاً بت

شورت. واعتقد أن الشعر الأسود ربما كان مستعاراً.

وتحدث فيما بعد عدد من الرجال عن علاقاتهم مع بت شورت وفي تلك الفترة نفسها تقريباً.. وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه بت شورت في هوليوود كانت أيضاً هناك مارلين مونرو التي تصغرها بعامين فقط.. وتمارس الحياة نفسها التي تمارسها بت شورت.. وتبذل كل ما في وسعها لتصبح نجمة سينمائية.

وفي نهاية العام ١٩٤٦، وجدت أنه من الصعب عليها أن تدفع الإيجار وبقية الفواتير المتزايدة. وفجأة تركت هوليوود وذهبت إلى سان دييغو في الجنوب. واقترضت ثلاثين دولاراً من صديقة لتقيم هناك.

في سان دييغو ترددت على كل دور السينما.. ولكنها قررت ذات ليلة أن تذهب إلى واحدة تعرض أفلامها بدون انقطاع.. فغلبها النعاس ونامت.. ولم تستيقظ إلا عندما جاءت موظفة الصندوق في السينما دوروثي فرانش توقظها في ساعات الصباح الباكرة وكانت آخر من يغادر السينما. وعندما أخبرتها بت شورت أن ليس لديها مكان تقيم فيه، دعتها دوروثي أن تذهب معها إلى منزلها. وهناك قدمتها إلى أمها ألفينا وأخيها الأصغر كوري.

ومن حديث دوروثي عن الأسابيع الثلاثة التي أمضتها بت شورت في منزلها يمكن استخلاص صورة واضحة عن شخصيتها. كانت تنام في أغلب الأحيان حتى الحادية عشر صباحاً.. وتبقى في الخارج حتى الثانية صباحاً وعندما تعود تقول إنها كانت مع شخص تتوقع منه أن يجد لها عملاً. وعادت ثانية إلى السينما حيث كانت دوروثي تعمل وتقضي معظم ليلتها مع المدير. وفيما بعد قبلت دعوته لتذهب معه إلى منزله وعادت بخدوش فوق

جسدها قالت إنها حدثت عندما كان يضاجعها. وابتداء من ذلك الوقت، لاحظت دوروثي أنهما عندما تسيران معا في الشارع، يقترب الرجال منهما ويحدّقون فيها. حتى والدة دوروثي بدأت تقلق على إبنها البالغ من العمر ١٤ سنة وتتخوف من أن يقع في حبائل بت شورت وتراوده عن نفسه بطريقة أو بأخرى.. وخاصة بعد أن سمح لها أن تدخل غرفة نومه.. لينام هو فوق كنبة وتنام هي فوق السرير.

وآخر ماروت دوروثي عن بت شورت أنها كانت فتاة لطيفة.. إنما غامضة في بعض الأحيان.. تحلم دائماً في المستقبل وكأن لا علاقة لها بالحاضر الذي تعيشه.

وبالضبط قبل ميلاد عام ١٩٤٦ التقاها رجل مبيعات يدعى روبرت مانلي، وكان متزوجاً لتوه يقود سيارته في شوارع سان دييغو عندما شاهدها في زاوية ما. مر بها ثم عاد إليها من جديد وعرض عليها أن ينقلها إلى حيث تريد.. وبعد تردد وجيز، قبلت العرض. وعندما سألها إذا كانت متزوجة، قالت لا.. ثم غيّرت رأيها وقالت نعم ـ وان زوجها كان طياراً وقتل في القوات الجوية.

وعاد بها إلى منزل آل فرانش.. ثم دعاها إلى تناول العشاء معه.. وذهبا إلى فندق صغير واستأجر غرفة لشخصين.

توقفا في الطريق وشربا كأسين من الكحول.. وعندما طلب إليها أن يذهبا إلى المطعم قالت له إنها تكتفي بسندويش وأنها ليست جائعة كثيراً. توقفا في سناك وأكلا همبرغر وساندويش، وعند الواحدة صباحاً عاد بها إلى مقرّ إقامتها دون أن يسألها أن ترافقه إلى غرفته في الفندق.. سمحت له أن يقبّلها عندما نزلت من السيارة، وذهب إلى الفندق.

كتبت إلى غوردون تطلب مالاً، فأرسل لها مئة دولار.. ويبدو أنه هو الآخر أخبرها أن علاقاتهما شارفت على نهايتها. وعشية عيد الميلاد أخبرت آل فرانش إنها مدعوة إلى العشاء مع رجل شاب وأنها لن تعود إلا باكراً. صبحية الميلاد، مع هدايا للجميع.

وخلال الأسبوع الثاني، بدت بت في وضع عصبي وغير مستقر. وعشية رأس السنة شربت كثيراً وخرجت من المنزل ولم تعد إلا في الصباح الباكر مع أحدهم. نامت حتى الظهر وأمضت بقية النهار مرتديةً فستاناً شفافاً برفقة دوروثي وأمّها.

وطرأ حادث مزعج.. إذ جاء رجل وامرأة وقرعا الباب.. وقالا انهما شاهدا رجلاً آخر ينتظر في سيارة. خافت بت وطلبت إليهم ألا يفتحوا الباب مرّة ثانية.. وانصرفوا.

ويوم ٧ كانون الثاني/يناير تلقت رسالة من روبرت مانلي ـ الذي يلقّب نفسه ب «الأحمر»، بسبب شعره الأحمر يقول لها أنه عائد إلى سان دييغو.

ويبدو أنها بعد تلقيها هذه الرسالة قررت أن تترك منزل آل فرانش وتعود إلى لوس أنجلوس. وعندما وصل إلى سان دييغو في اليوم التالي كانت قد وضبت حقائبها ووضعها على الفور في صندوق سيارته وانطلقا إلى فندق.. وفي الطريق لاحظ أنها لا زالت تحدق بعيداً وكأنها تنتظر شخصاً ما.. وفعلت الشيء نفسه عند باب الفندق.. وضعا الحقائب في الغرفة وذهبا إلى مرقص ليلي حيث رقصا وشربا كثيراً.. وعندما تركا المرقص أعلنت فجأة أنها تريد ركوب الحافلة وتعود إلى لوس أنجلوس. ذهبا إلى مقهى واشتريا همبرغر وعادا إلى الفندق.

فجأة بدت مرهقة جداً، وجلست دون أن تنزع شالها الصوفي

من فوق كتفيها. وعندما سألها إذا كانت تفضل أن تتمدد فوق السرير وتحاول أن تنام وينام هو فوق الكنبة، أجابته: «لا. لا. أنت تنام في السرير». تمدد فوق السرير وأغمض عينيه وراح في سبات عميق. استيقظ في الصباح ووجد بت تجلس في الجانب الآخر من السرير المزدوج وقد غطت رأسها بوسادة. وعندما نظر إلى ساعته أدرك أنه تأخر كثيراً عن موعده الأول ولكن لا بد له من الذهاب.

يستغرق الموعد المضروب كل الفترة الصباحية.. في حين بقيت بت في الفندق... وبعد ظهر ذلك اليوم عادا إلى لوس أنجلوس. وهناك أخبرته أن شقيقتها تعيش في بركاي ومتزوجة من أستاذ جامعي يدعى وست.. وأضافت أن شقيقتها ستقابلها في لوس أنجلوس في فندق بالتيمور. وصلا متأخرين.. وضع حقائبها في مستودع الأمانات التابع لمحطة الحافلات ثم ذهبا إلى بالتيمور. وهناك قال لهما موظف الإستقبال إنه ليس هناك من سيدة وست اتصلت. وشرح لها مانلي أنه لا بد من أن يعود إلى المنزل.

جلست في بهو الفندق، بعد أن تركها مانلي، فترة طويلة، وأخيراً نهضت وخرجت.. وشاهدها الموظف عند باب الفندق تتجه ناحية محطة حافلات غريهاوند. كان ذلك مساء التاسع من كانون الثاني/يناير عام ١٩٤٧. وبعد خمسة أيام تمّ العثور على جثتها في المكان الذي ذكرناه في بداية القصة. ولم يتم الإهتداء إطلاقاً إلى حقيقة ما حدث لها خلال الأيام الأربعة تلك.

أوقع مقتل بت شورت دائرة الشرطة في لوس أنجلوس في حيرة وارتباك شديدين. وكل فرد كان يريد التحرك والعمل على كشف الجريمة بأسرع وقت ممكن. وبدأت الشائعات المرعبة تنتشر ـ ومنها أن بت خضعت لعملية تعذيب رهيبة طوال أربعة أيام قبل موتها..



لين مارتن في طريقها الى مركز الشرطة لاستجوابها

وعلقت قدماها إلى أعلى ورأسها إلى أسفل.. وأن جلادها كان يطفىء سجائره في كل أنحاء جسمها. وبالفعل فهي قد جرحت بسكين حاد. لكن دون أن تكون الجراح عميقة تؤدي إلى موتها.

ولكن الكدمات فوق وجهها دلّت على أنها كانت غائبة عن الوعي في ذلك الوقت. وربما حصل لها ذلك بسبب فقدانها كمية كبيرة من الدم بعد وقت قصير.

وعلى الفور علم المحقق هاري هانسن ببرقية روبرت مانلي إلى القتيلة.. وتمّ إحضاره لاستجوابه. كان الإستجواب قاسياً ومرهقاً فانهار بعد خضوعه لتجربة ثانية لكشف الأكاذيب. وبعد سنوات قالت زوجته أن الإستجواب سبب له ارتجاجاً في المخ (ولكن مانلي كان يعاني من هذه الحالة قبل أن يلتقي بت شورت).

استجوبت الشرطة أكثر من ١٣٠ شخصاً حول علاقتهم بالقتيلة.. والغريب أن حوالي ٣٠ منهم اعترف كل منهم أنه هو المجرم.. ولكنهم في الواقع لم يكونوا سمعوا بها.. ولكن عوامل الخوف والتهديد أجبرتهم على ذلك.. ولهذا ألغت الشرطة كل التحقيقات وأطلقت سراح الجميع.. وهي كانت في الأساس متيقنة من براءتهم.. وأن القاتل الحقيقي ليس بينهم.

وبعد ستة أيام، اتصل شخص بإدارة تحرير صحيفة «لوس أنجلوس هيرالد اكسبرس» وقال لرئيس التحرير إنه يريد أن يسلم نفسه، ولكنه لم يفعل ذلك قبلاً لأنه أراد أن يتسلى أكثر وهو يشاهد الشرطة تلاحقه.. وقبل أن يقفل الخط قال: «توقّعوا بعض الذكريات من بت شورت في البريد».

وبعد أيام قليلة اكتشف ساعي البريد في صندوق فندق بالتيمور رزمة ورق بنية موجهة إلى: («فاحص» لوس أنجلوس، وصحف أخرى،) . ومع الرزمة عثر الساعي على ورقة كتب عليها: «قصاصات من الصحف.. هذه هي أشياء تخص أضاليا.. وسيتبعها خطاب لاحقاً. تضمنت الرزمة دفتر عناوين وأرقام هواتف مع إسم مارك هانس مطبوعاً بماء الذهب على الغلاف. شهادة ميلاد بت وبطاقة ضمانها الإجتماعي وعدد من صورها الشخصية. وتضمن دفتر العناوين عشرات من الأسماء، ولكن

بعض الصفحات كانت قد اقتطعت منه. وكان قد تمّ غسل كل هذه الموجودات بالبترول لإزالة البصمات عنها.. ورغم تبخره كانت الرائحة لازالت مميزة. واستجوبت الشرطة جميع من وردت أسماؤهم في الدفتر وتعقبت بعضهم إلى خارج الولايات المتحدة.. ومرة ثانية أدّت التحقيقات إلى طريق مسدود.

وتقريباً بعد عامين كانت الشرطة لازالت مستمرة في التحقيق مع المشتبه بهم. وكتب موظف في أحد النوادي ويدعى ديلان، كتب رسالة إلى الدكتور بول دي ريفر المستشار النفسي في دائرة شرطة لوس أنجلوس والخبير في جرائم الجنس ـ كتب ليقول له إنه عمل مع صديق يدعى جف كنرز في لوس أنجلوس وأن هذا الأخير قد عرف اليزابيت شورت. واعتقد ديلان أن باستطاعة كونرز أن يساعد في التحقيق. اتصل ريفر بديلان وأرسل له تذاكر الطائرة ليأتي إلى لاس فيغاس وعرض عليه أن يساعده في كتاب كان يعد عن جريمة الجنس. التقيا في لاس فيغاس واتضح في الحال ان ريفر غرر بديلان لأن هذا الأخير كان متهماً رئيسياً في التحقيق. ورفض المحقق طلبه للإتصال بزوجته أو بمحاميه، ولكنه نجح في رمي رسالة في الشارع موجهة إلى المحامي جيري غيسلر يطلب مساعدته. تسلّم غيسلر الرسالة وكان باستطاعته تأمين الإفراج عن صديقه. وألقي القبض على صديق ديلان، جيف كونرز واتهم بتورطه في الجريمة ولكنه أثبت أنه لم يكن في مكان وقوعها. امتعض ديلان من سجنه أسبوعاً بدون مبرر ورفع دعوى ضد مدينة لوس أنجلوس يطالبها بمئة ألف دولار. وأدى ذلك، في النهاية، إلى تعرض دائرة الشرطة في لوس أنجلوس لانتقادات شديدة.. ذهبتْ إلى حد اتهامات بالرشوة والفساد.

وخلال السنوات القليلة التالية، استمرت الشرطة في تلقي

اعترافات عرضية مزورة. ونشر كتاب الجريمة نظرياتها الخاصة حول قاتل الأضاليا السوداء، واختلق أحدهم، ويدعى جيمس الروي، رواية تحت عنوان: الأضاليا السوداء (١٩٨٧) يقول فيها إن القاتل هو بالتأكيد امرأة سادية. (وتردد في ذلك الوقت أن قاتل أليزابيت شورت ربما كانت امرأة سحاقية غيورة) تدعى رامونا سبراغ، وهي امرأة ضخمة بشعة، متزوجة من مقاول اسكوتلاندي. وكان شقيق المقاول مهووساً بالأشياء الميتة.. وكانت رامونا تقوم بتسميم القطط من أجله.. وهي أيضاً غررت به وأنجبت له طفلاً، وعندما شاهد زوجها تشابهاً بين الطفل وأخيه الصغير، هشم وجهه بوحشية. وأليزابيت شورت متورطة مع الآخرين من خلال فيلم جنسي. ورامونا هي التي ضربت أليزابيت شورت بعصا البيزبول فأفقدتها وعيها وطلبت إلى «الوحش الصغير» أخ المقاول أن يقوم بتربيطها، وعذبتها طوال أربعة أيام.. حتى الموت.

وبالفعل كانت شرطة لوس أنجلوس تمسك بوثائق تقترح هوية قاتل أليزابيت شورت منذ الخمسينات. ولكن اتضح أن لا قيمة لها بعد أن قام صحافي يدعى جو غيلمور، وهو إبن ضابط في دائرة شرطة لوس أنجلوس، بوضع كتاب سمّاه: «القصة الحقيقية لمقتل الأضاليا السوداء» وعرض فيه أول حل مقنع للغز أليزابيت شور.

ويقول غيلمور إن القاتل كان متهماً سابقاً يدعى جاك أندرسون ويلسون واستعمل أسماء مضللة منها إسم أرنولد سميث. ويقول؛ وإن كان في بعض الأحيان لا يذكر التاريخ الصحيح:

«في وقت مبكر في مطلع الثمانينات، عرفت دائرة شرطة مدينة لوس أنجلوس أن «شخصاً ما» يريد أن يتحدث إليهم عن مقتل الأضاليا السوداء. وقدم المخبر، الذي لم يكشف عن اسمه شريطاً

للشرطة من إعداد رجل يدعى أرنولد سميث، يصف فيه كيف أن أحد معارفه ويدعى آل موريسون، اعتاد القيام بأدوار نسائية، قتل أليزابيت شورت.

والذي أقنع المحققين هو معلومة لم تكن معروفة من الرأي العام. وهي أن تكوين أليزابيت الجنسي لم يكن طبيعياً وبالتالي كان يستحيل عليها أن تمارس الجنس.. وهذا ما أكده طبيب قام بفحصها في شيكاغو وقال إن أليزابيت لم تكن قادرة على الإطلاق على إرضاء كل الذين حاولوا أن يضاجعوها...

ويقول سميث إن آل موريسون كان سادياً ويسره صدم الفتيات.

واقنع سميث المخبر بمعلوماته الفريدة عندما أحضر صندوق حلوى قديم إلى مكان الإجتماع وعرض عليه مجموعة من الصور، بما فيها صورة له مع أليزابيت شورت. أما الرجل الثاني في الصورة كما يدعي سميث فهو القاتل آل موريسون. وادعى سميث أن في الصندوق أشياء أخرى ـ كدبابيس شعر ومناشف ـ وكلها تخص أليزابيت شورت.

ووصف سميث مناسبة عندما أحضر هو نفسه القتيلة إلى غرفته في الفندق. فجلس هو يشرب الويسكي وتمددت هي فوق السرير. ويقول سميث إنه دخل السرير وبدأ ينزع عنها ثيابها ويقبلها في عنقها.. وعندما حاول انتزاع حمالة النهدين قالت له ألا يفعل.. لأنه سيصاب بخيبة أمل على كل حال.. وعندما كان يقبل معدتها كانت هي شاردة تحدق في سقف الغرفة.

واستناداً إلى الشريط، فإن موريسون شاهد أليزابت شورت تسير عبر بوليفار هوليوود. ودعاها لترافقه في سيارته وحملها إلى

شارع سان بدرو ثم تناول مفتاحاً وأخذها إلى منزل خاو يخص رجلاً صينياً في الشارع ٣١. كان المكان مقفلاً منذ فترة وتفوح منه رائحة العفن.

وعندما أخبرته أنها تريد إجراء مكالمة هاتفية، قال لها لا. وهناك سألته إذا ما كانت سجينته وأجابها: هذا صحيح.. أنت سجينة. حاولت أن تغادر الغرفة ولكنه دفعها إلى الوراء بقوة. ضربته بحقيبة يدها وجرحته في وجهه. شدّها إليه مرة ثانية وصكت ركبتاها.. سحبها إلى السرير فبدأت تنتحب.. ضربها من جديد (كان وجه أليزابت مهشماً بشكل مرعب وأنفها مكسور).

وما إن تمددت فوق السرير، قام وسقاها جرعة من زجاجته فأحرق فمها. وعندما حاولت النهوض، ضربها من جديد.

وعندما عادت وتمددت من جديد فوق السرير عمد إلى تمزيق ثيابها ودس سروالها في فمها.. ثم قام بتربيطها بقوة مستعملاً حبلاً استقدمه خصيصاً.

عندئذٍ طعنها موريسون عدة مرات بسكين حاد صغير «ولكن ليس إلى درجة قتلها».. ثم بدأ بتقطيع جسدها حتى ماتت...

لم تمت أليزابيت شورت كما ظن موريسون لأول وهلة.. ولكن الحشوة في فمها منعتها من التنفس ففقدت الوعي.

سحبها إلى الحمام ومددها فوق ألواح حشبية وأدار وجهها إلى أسفل. وعاد تحكيم شدّها بالحبل ـ وسبب شد الميت بالحبل ليس واضحاً ـ وقرر أن يقطع الجثة كي يتمكن من نقلها بسهولة.. وعندئذٍ خطر في باله أن أسهل الطرق هي فصلها إلى جزئين من عند الوسط.

واستعمل سكيناً حاداً وطويلاً.. وعندما بدأ التقطيع نفر الدم

منها وسال فوق الأرض.. ويبدو أن أليزابت لم تكن ميتة حتى تلك اللحظة التي سبقت تقطيعها. وعندما قطع الجسد إلى نصفين، قام بملء المغطس بالماء ودفعها إلى الماء بشكل منحدر فوق الماء ليسهل خروج الدم.

وأخيراً، وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي قام موريسون بلف الجزء بالبلاستيك وستارة الحمام ووضع الرزمة بكاملها فوق كيس من الإسمنت في صندوق سيارته ونقلها إلى نورتون أفنيو.

ولعل ما أفاد بوضوح عن وجود علاقة خاصة بين سميث وأليزابيت شورت هو ما ادعاه موريسون بأنه مارس الجنس معها.. ولكن ذلك لم يكن صحيحاً.

وقال المخبر للشرطة إنه ليس لديه فكرة عن المكان الذي يمكن

لم يكشف النقاب عن جريمة قتل إيفلين فوستر في أوتربرن.

كانت ايفلين إبنة صاحب كاراج في البلدة.. وذات مساء بارد جداً في مطلع كانون الثاني/يناير ١٩٣١. كان سائق يمر خارج البلدة عندما وقفت عيناه على سيارة مقلوبة على جانب الطريق.. فتقدم منها ووجد ايفلين فوستر ممددة أرضاً وقد احترقت ثيابها، حمل الفتاة إلى منزلها.. ولكنها توفيت بعد ذلك بفترة قليلة.. إلا أنها استطاعت، قبل الوفاة بدقائق، أن تروي ما حدث لها.

بعد ظهر ذلك اليوم، وفي قرية أليشاو قال لها رجل غريب أنه يريد أن يصل إلى بونت لاند ليستقل الحافلة إلى نيو كاسل.. وعند السابعة والنصف مساءً أخذته من أليشاو إلى مكان يدعى بلسي.. وهناك حاول الرجل التحرش بها وبادرها ببعض المقدمات الجنسية.. وعندما رفضت ضربها فوق عينها بقوة غريبة جعلتها تفقد وعيها.. وعندئذٍ أخذها الرجل في السيارة

أن يكون فيه الآن أرنولد سميث.. فالأخير يتصل بالمناسبات. ويلتقيان بعد ذلك.

وكان المحققون متأكدين تماماً أن أرنولد سميث هو الرجل الذي يبحثون عنه. لقد كانت أوصاف الجريمة - ووضع القاتل النفسي والذهني - كانت لا تحتمل التكذيب أو عدم التصديق وبالدقة التي قدمت بها. وطلب المحققون إلى المخبر أن يسعى لتعيين لقاء مع سميث ويقدم هذا الأخير إلى عميل مقنع لدائرة شرطة لوس أنجلوس. ولكن سميث لم يتصل بالمخبر.. وأخيراً اتصل به وقال إنه ذهب إلى سان فرانسيسكو وسيبقى على اتصال به.

وقبل أن يحدث ذلك، تمّ استدعاء رجال الإطفاء إلى فندق هولندا، لوس أنجلوس، حيث كانت النيران تلتهم الغرفة ٢٠٢.

إلى مكان يدعى وولف نك، حيث وجدت.. وفر في اتجاه الغابة.. ويبدو أنه صبّ البترول فوق السيارة قبل أن يغادر المكان، وأضرم النار فيها. فتحت الباب لتهرب ولكنها وقعت فوق الأعشاب. وقالت إنها شاهدت الرجل يسرع الخطى باتجاه الطريق العام القريب وهناك كانت بانتظاره سيارة وسمعت حواراً بينهما قبل أن تنصرف السيارة المتوقفة.

وأثناء التحقيق برزت بعض المفارقات المحيّرة. ليس فقط أن وجهها لم يحترق بل لم يكن فيه أي أثر للضرب والكدمات التي أصدعتها.. ولم يكن فوق عينها أثر للضربة القوية التي قالت إن الرجل سددها إليها وأفقدها الوعي. وكانت ايفلين أخبرت أمها أن المعتدي مارس الجنس معها. ولكن التحقيق كشف أنها لم تتعرض لأي محاولة اعتداء جنسي.

ورغم ذلك أصدرت المحكمة قراراً بوقوع جريمة ارتكبها شخص أو أشخاص غير معروفين.

وعندما تمكن رجال الإطفاء من إخماد الحريق عثروا على جثة متفحمة ممددة فوق السرير. وتعرف المدير إلى الجثة وقال إنها لجاك ويلسون ـ أي أرنولد سميث ـ رجل طويل ونحيف ـ طوله ستة أقدام وأربع إنشات. وأضاف المدير أن الغرفة نفسها احترقت أكثر من مرة لأن القتيل كان ينزل دائماً فيها ويدخن وهو في السرير بعد أن يصب كمية كبيرة من الكحول. وهو عاد مساء ذلك اليوم وهو يحمل عدداً من الزجاجات وضعها داخل كيس ورق كبير.

وكشفت التحريات التي قامت بها دائرة شرطة مدينة لوس أنجلوس أن ويلسون هو من مواليد كانتون، أوهايو، عام ١٩٢٠، وله سجل إجرامي حافل. فهو ارتكب مجموعة جرائم منها السرقة والسطو والعربدة والعنف وغيرها الكثير من الجرائم الجنسية.

ومن إحدى الإقتراحات نذكر أن ايفلين أضرمت النيران في ثيابها عرضياً في عملية إحراق السيارة.. إذ كانت هناك شهادتا تأمين بمبلغ ١١٠٠ جنيه تقريباً . ولكن اتضح أن ايفلين لم تكن في ضائقة مالية.. وكانت تملك حساباً في البنك بمبلغ ١٤٠٠ جنيه.

وفكرة أنها ماتت عرضياً يغالطها واقع أنها ادّعت أن الشخص الذي نقلته معها قال لها إن ثلاثة سائقين نقلوه من جدبورغ وإنه شرب الشاي معهم. ونجحت الشرطة في الإهتداء إلى السائقين الثلاثة واستمعت إلى أقوالهم، فنفوا أن يكونوا نقلوا شخصاً ما معهم ذلك اليوم.

ولا بد أن القاتل الذي وصفته ايفلين فوستر بالرجل الصغير القامة ويرتدي قبعة عريضة ومعطفاً أسود ويتكلم كالظرفاء، لا بد أن هذا الرجل شاهد السائقين الموجودين فعلاً.. وهذا يعني أنه هو نفسه موجود.

وكشفت التحقيقات أن ويلسون قبض عليه عدة مرات وفي عدة ولايات وآخرها عندما كان يقوم بجمع تبرعات مدّعياً أنها لأعمال خيرية.

بعض الأدلّة اقترح أن ويلسون ما كان يبرر قتله لاليزابيت شورت.. فهو كان متورطاً إلى حد بعيد مع مجموعة من الرجال في مكان يعرف بإسم «مقهى كاسينبرغر».. بمن فيهم صاحب المقهى الذي شارك، شخصياً، في عدد من عمليات النهب والسطو. وتمكنت الشرطة من إلقاء القبض على جميع أفراد العصابة باستثناء ويلسون. وهو ربما تخوف من أن تشي به أليزابت شورت ـ والتي سبق لها أن شاهدته عدة مرات مع أفراد العصابة ويتم القبض عليه.

ولكن ماذا عن السيارة التي توقفت وحملت القاتل؟ ألم يكن السائق قلقاً بخصوص السيارة التي كانت تحترق على بعد ياردات قليلة منه؟ أم أن القاتل ادّعى أنه تعرض لحادث جعل اللهب في سيارته؟ وفي هذه الحالة لماذا لم يتقدم سائق السيارة الأخرى لمساعدة السيارة المنكوبة؟

المال الموجود في جيب ايفلين لم يمس. وهذا معناه أن السبب لم يكن السرقة.. ولكن إذا كان اعتداء جنسياً، فلماذا لم ينفذ القاتل رغبته عندما كانت الضحية غائبة عن الوعي؟ ولماذا تراه أضرم النار في السيارة؟

وكان من عادة ايفلين أن تأخذ معها موظفاً ذكراً من الكاراج عندما تقوم باستئجار سيارة. فلماذا لم تفعل ذلك في هذه المرة مع العلم أن أختها طلبت إليها ذلك؟ هل تراها عرفت الرجل الذي اعتدى عليها؟ كل هذه الأسئلة لازالت حتى الآن بدون إجابات.

وتكونت لدى بعض أفراد شرطة لوس أنجلوس أن ويلسون هو أيضاً الذي قتل جورجيت باور دورف. ويذكر غيلمور أنه من المعتقد أن ويلسون التحق بالجيش في العام ١٩٤٤ ـ مع أنه ليس واضحاً كيف يمكن لرجل يملك ساقاً أقصر من ساق أن يُقبل في الجندية ـ واعتاد أن يتردد على كانتين هوليوود حيث كانت أليزابت شورت وجورجيت باوردورف تعملان كمضيفتين. وتعتقد الشرطة أن جورجيت لم تقتل عرضياً بل ربما كان القاتل شخصاً إلتقته أكثر من مرة وكان يتردد باستمرار على شقتها.. ويذكر أن رجلاً طويلاً ونحيفاً شوهد خارج الشقة، وبعد الجريمة، بوقت قصير.

لماذا عمد قاتل أليزابت شورت إلى تشويهها وتعذيبها؟ وربما يساعد الوصف الذي قدمه سميث لعملية نزع ثيابها في السرير، ربما يؤدي إلى إيجاد الجواب.. وهو يذكر تماماً عبارتها عندما اقدم على نزع حمالة نهديها: «ستصاب بخيبة أمل.». وكان سميث يعرف أن في جسد أليزابت شورت تشويهات تجعل ممارسة الجنس معها مستحيلة. وكانت عندما تتعب ـ في مناسبة كهذه ـ تصاب بعدم اللامبالاة والبله.. وبالنسبة لويلسون فإن وضعاً كهذا يعتبر تحدياً صارخاً له. وفي كل الأحوال، أكانت تحب ذلك أم لا تحبه، فهو كان مصمماً على امتلاكها.. ولهذا، فعندما حاولت أن تترك الغرفة، ضربها حتى أفقدها الوعي، ثم اغتصبها.

٩

مقتل شيرلي كولنز

من الصعب تصنيف مقتل الفتاة شيرلي كولينز، ١٤ سنة، بين الجرائم الغامضة التي لم يكشف سرها، مع أن في القصة مظاهر محيرة لم تفسر أبداً.

عاشت شيرلي في مالبورن في أوستراليا مع أهلها بالتبني.. ألفرد ومافيس كولينز في ضواحي ريزرفوار. فأمها كانت قد تزوجت وذهبت لتعيش في كوينزلاند واختارت هي أن تبقى مع عائلة كولينز التي عرفتها يوم كانت طفلة. كانت سعيدة جداً معهم ولكنها استمرت تكتب إلى أمها مرة في الأسبوع.

كانت شيرلي فتاة شقراء جميلة ولها عينان زرقاوان. تركت المدرسة في الرابعة عشرة من عمرها وعملت لأول مرة كمساعدة مدير مقصف في مخزن في شارع كولز بوزك. ووجد الشبان الذين تأثروا بنظراتها أنها كانت خجولة ومنطوية. ولكنها قبلت دعوة واحد منهم ـ غافان ويلاوغبي ـ إلى حفل ميلاده الثامن عشر في ٣٠ آب/أغسطس ١٩٥٣. وعرض مساعد آخر، رونالد هولمز ٢١ سنة، أن يأخذها إلى الحفل. واعتقد هولمز أن سنها لا يقل عن

الثامنة عشرة. ذهبت شيرلي إلى البيت وسألت مافيس كولينز إذا كان بالإمكان أن تذهب وتلبي الدعوة. وسمحت لها أمها بالتبني بالذهاب.. شريطة أن تعود إلى المنزل عند منتصف الليل برفقة أحد.

الحفل كان في ريتشموند ومع أن رون هولمز وافق أن يقود كل هذه المسافة إلى ريزرفوار، إلا أن شيرلي أخبرته أنها ستذهب إلى ريتشموند بالقطار وتلقاه هناك، بالقرب من الجسر خارج المحطة. وسارت السيدة كولينز معها إلى محطة الحافلات وتذكرت أنه قبل أن تستقل الحافلة لازال لديها متسع من الوقت. وقالت في نفسها: «فعلاً لدي متسع من الوقت ولن يكون هولمز قبل الثامنة». ولم يخطر في بال السيدة كولينز أن ريتشموند ووست ريتشموند هما مكانان مختلفان، حتى أنهما لا يقعان على الخط نفسه. وشيرلي هكذا تكون ذهبت في الإتجاه الخاطىء.

انتظر هولمز وانتظر.. وأخيراً ذهب عند التاسعة إلى الحفل في بونت رود في ريتشموند. لم يكن بامكانه الإتصال بشيرلي لأن آل كولينز لم يكونوا في المنزل.

وعند منتصف الليل جلست مافيس كولينز فوق أريكة تنتظر عودة شيرلي. وحتى الساعة الثالثة صباحاً كانت الفتاة لازالت في الخارج. عبرت الشارع وطرقت باب أحد الجيران، الشاويش سنل الذي قال لها إن شيرلي ربما تأخرت في الحفلة وقررت أن تبقى لتعود في الصباح خاصة إذا كانت شربت كثيراً. وصباح اليوم التالي ذهبت مافيس كولينز إلى الشرطة وأعلنت عن ضياع شيرلي.

ذهبت الشرطة إلى منزل غافان وعرفوا ما حدث من رونالد هولمز. وصباح الإثنين اتصلت السيدة كولينز بزوجها الذي كان

يمضي إجازة قصيرة في منزل صديق له في جنوب غرب فيكتوريا.

وفي صباح يوم الثلاثاء، كان رجل عجوز يقوم بنزهة مع كلبه في ماونت مارتا، ٣٨ ميلاً من ملبورن، وجد فتاة نصف عارية محاطة ببقع دم جافة.. وعلى الفور أسرع إلى مركز شرطة ماونت مارتا يخبرها بالأمر.

كانت شيرلي عارية حتى الكتفين، وكان معطفها وتنورتها ملفوفين حول رأسها. وعندما أنزلت وانكشف رأسها كانت جمجمتها محطمة وربما بحجر أو بزجاجة بيرة. وكان في المكان ثلاث زجاجات من هذا النوع. وبعد ذلك قام القاتل بنزع حذائها وجواربها وبقية ألبستها الداخلية.. ثم هوى على رأسها بوعاء فخاري.

وأفاد الطبيب الشرعي الدكتور باودن أنه لا أثر إطلاقاً للإغتصاب.. وكانت لازالت عذراء. وبالفعل لم يكن هناك ما يدل على أنها تعرضت لاعتداء جنسي.

ويبدو أن شيرلي حملت إلى هناك في سيارة والسؤال المحير هو كيف توافق فتاة خجولة ومنطوية على مرافقة شخص لا تعرفه وتصعد إلى سيارته؟

وتم الإهتداء إلى حل بعد البرنامج الإذاعي الذي أعاد رواية ما حدث ذلك المساء. ومن بين الإتصالات التي تلقاها البرنامج اتصال من امرأة مهاجرة وقالت أنها بعد الثامنة مساءً بوقت قليل قتلت شيرلي. كانت المرأة تسير في شارع هودل باتجاه محطة شمال ريتشموند عندما شاهدت فتاة تقف عند الزاوية. اقتربت منها سيارة واطلقت العنان للمنبه.. وعلى الفور سارت الفتاة نحو السيارة بسرعة وتكلمت مع السائق. وأضافت المرأة أن الرجل بدا

لها وكأنه في الأربعين من العمر. ولكن كانت المرأة على عجلة من أمرها قبل أن يفوتها القطار في المحطة القريبة. وهكذا بدأت الوقائع الأساسية واضحة الآن. وادركت شيرلي إنها الآن في المحطة الفلط.. ويبدو أنها كانت تعرف الشخص الذي تحدثت إليه.. وعلى الاغلب أن الحوار الذي دار بينهما كان حول الخطأ الذي وقعت فيه بنزولها في محطة غير المحطة التي كانت تقصدها.. وتأكد لها ذلك من أنه ليس هناك جسر خارج هذه المحطة. ومن المحتمل جداً أن سائق السيارة قال لها إنه يجب أن تكون في محطة ريتشموند وعرض أن يتقلها إليها.

وربما كان في هذا تفسير لدخول الفتاة إلى السيارة، ولكنه لا يفسر لماذا سمحت له عندئذٍ أن ينقلها هذه المسافة البالغة ٣٥ ميلاً. ربما هددها، ولكن لا يبدو أن ذلك كان محتملاً. وقام خبير بدراسة بقع الدم من حول الجثة وأعلن أن الفتاة لم تقاوم. فهي فقط خرجت من السيارة وسارت على قدميها في الظلام إلى أن ضربها الرجل فوق رأسها من الخلف. كانت قد أصبحت بعيدة عنه وكان بإمكانها أن تركض وتختبيء في الهشير. ولكنها كانت واثقة أنه لن يفعل شيئاً من هذا.. ومع أنها علمت أن الحفل المدعوة إليه لا يبعد مسافة ٣٨ ميلاً.. وهذا ما يفسره واقع أن الرجل كان يحمل زجاجات البيرة وأخبرها أنه ذاهب إلى نفس الحفل. ولكن لم يتم الإهتداء أبداً إلى السبب الذي دعا فتاة خجولة مثلها أن تذهب معه ـ وربما بملء إرادتها.

اعترف أربع رجال أنهم ارتكبوا جريمة قتل شيرلي كولينز.. ولكن بعد أن حققت الشرطة مع كل منهم على حدة وجدتهم مخمورين.. فأفرجت عنهم.

وبعد تسعة أشهر من موت شيرلي، وفي شهر حزيران/يونيو ١٩٥٤، قال المفتش دونلي الذي كان مكلفاً بالتحقيق، قال في تصريح إلى مجلة «الحقيقة»: «كنا قريبين جداً، ولاكثر من مرةً، من رجلنا. نعرفه وهو يعرف إننا نعرفه.» وعلقت «الحقيقة» قائلة: «أن القاتل كان يعرف دائماً إن تحقيقات الشرطة المستمرة تقوي الحصار من حوله.. دون أن تكشف هويته الفعلية..»

ولاتزال الأسئلة حول إختفاء شيرلي بإنتظار من يجيب عليها حتى يومنا هذا.

١٠

من قتل سيرج روبنشتاين؟

إن مقتل سيرج روبنشتاين هو لغز فقط لكثرة عدد المتهمين. وربما كان هناك عدد قليل من رجال الأعمال في القرن العشرين لديهم الكثير من الأعداء ويتمنون موتهم.

عند الساعة الثامنة من صباح السابع من كانون الثاني/يناير ١٩٥٥ قرع كبير خدام روبنشتاين الإنكليزي باب مستخدمه عند الرقم ٨١٤ في الجادة الخامسة، في نيويورك. وعندما لم يحصل على جواب، فتح الباب ودخل. كانت الغرفة في وضع فوضوي مزرٍ للغاية. كان سيده يرتدي بيجاما حريرية ومربوطاً بحبل وممدداً في وسط الغرفة. كان وجهه مهشماً. وكشف الفحص الطبي على أنه مات مخنوقاً.

كان روبنشتاين قصير القامة مربوعاً طوله خمسة أقدام وسبع أنشات، جهوري الصوت، حماسي النبرة.. وكان مثله الأعلى وبطله الأوحد نابليون بونابرت.

وهو كان من أنجح رجال الأعمال في عصره. وعندما مات

قدرت ثروته بأكثر من عشرة ملايين دولار.. وحصل عليها عن طريق الصفقات المريبة والخداع وعمليات التزوير والإحتيال.

ويشرح روبنشتاين في سيرته الشخصية كيف أنه عندما كان في العاشرة من عمره ـ ١٩٢٠ ـ ساعد أهله على الهرب إلى روسيا بعد أن قاموا بحشي معطفه المصنوع من الفرو بالألماس والمجوهرات.. وكيف تعرضوا إلى ملاحقة البولشفيك ولكنهم نجحوا في الوصول إلى فنلندا سالمين. وبعد أشهر قليلة انضم إليه أهله وأخوه الكبير أندريه في ستوكهولم. كانت العائلة تعيش في النمسا عندما بلغ روبنشتاين الخامسة عشرة.. وعندما سئل ماذا يريد كهدية لعيد ميلاده، أدهش الجميع بقوله أنه يريد أن يفحصه العالم والمحلل النفساني الدكتور روبرت أدلر. والسبب، كما شرحه، كان تخوفه من تنامي عنصر التخلف لديه.

ويقول روبنشتاين أن أدلر عاينه ثلاث مرات ثم صرفه وقال له: «إذا شفيتك ستكون عادياً. ولكن ما أنت عليه الآن أفضل إذ تقودك الطموحات والرغبات.»

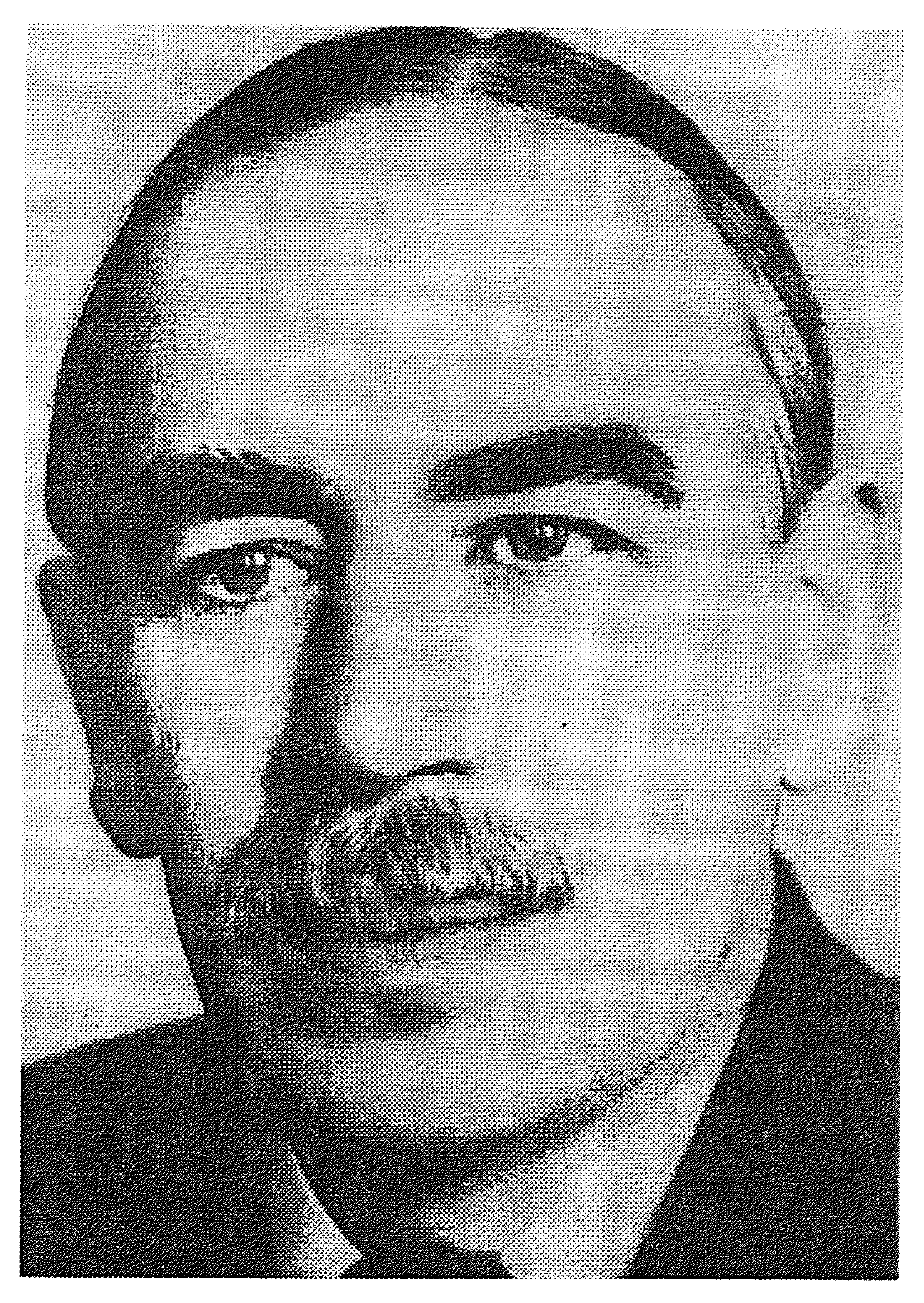
وكان مصدر طموح روبنشتاين هو وفاة أبيه مفلساً في البلقان. ولهذا اقنع أخاه أندريه تمويل تعليمه في جامعة كامبريدج.. وعندما قيل له أن يحتاج لتعليم اللاتينية انكب على دراسة هذه اللغة وأصبح يجيدها خلال أشهر قليلة.. عملياً فشل في إعادة المال الذي اقترضه من أخيه وجعل منه هكذا عدوه الأول في الحياة.

كان استاذه في مادة الإقتصاد في كامبريدج البروفسور جون مابارد كينس والذي كما يبدو أخبره أنه سيكون واحداً من أشهر الشخصيات الإقتصادية في العالم. وهكذا، وعندما بلغ روبنشتاين الحادية والعشرين، نجح في أن يجد لنفسه عملاً كمدير لبنك صغير

في باريس. هو البنك الفرنسي ـ الآسيوي. ولكن في نيته البقاء في هذا المركز. وكان البنك العميل الإقتصادي للجنرال تشيانغ كاي تشك، الذي بدا في ذلك الحين الرابح في صراعه لاطويل مع ماوتسي تونغ. وكان الصينيون قد فشلوا في البداية في إصدار سندات خزينة، ولكن البنك أصدر سندات مجددة لهم وأنذرهم أن اعتمادهم يتوقف على أبنائهم بدفع الفوائد. وبكل هدوء اشترى سيرج روبنشتاين أول سندات إصدار بمبلغ ٢٥ ألف دولار. وعندما قدم الصينيون دفعة بمليون دولار على حساب السندات الجديدة لم تيدع روبنشتاين الفرصة تفوته ويستولى على المال.. وقال في ما بعد: «لم أنل سوى أجري».

وخلال السنوات الأربع التالية ازدادت ثروته بعد قيامه بعمليات مريبة.. ولكن الحكومة الفرنسية تعبت منه أخيراً. ويومها كان سمع عن سلسلة من المطاعم تساوي حوالي نصف مليون دولار، ولكن بسبب المشاكل الإقتصادية، من الممكن السيطرة على هذه السلسلة لقاء ٦٠ ألف دولار فقط. اشترى روبنشتاين المطاعم واستخدم موجوداتها في مجموعة من المضاربات في الأسواق المالية. وحقق بذلك ثروة ـ أكثر من ربع مليون دولار ـ ولكنه تسبب بتعويم الفرنك بشكل قوي. وفي العام ١٩٣٧ قررت الحكموة الفرنسة ترحيله.

وفي لندن انتقل إلى فندق سافوي واستعد للاستفادة من شركة التعدين البريطانية والتي كان فاز بادارتها قبل أن يترك فرنسا. وبدأ روبنشتاين الآن، واستناداً إلى معلومات من مخبر مدفوع الأجر، بدأ يتسرب إلى الصحافة الإقتصادية قصة أن مدير الإدارة كان يبيع أسهمها بطريقة غير شرعية.. وبالفعل تدهورت أسهم الشركة وقام



جون ماينار كينس أستاذ في كمبريدج

المدير، الذي كان يهدد باللجوء إلى القضاء، قام ببيع روبنشتاين ١٧٣ ألف سهم ليسدد مصاريفه. وبدلاً من أن يدفع له روبنشتاين المبلغ قال له أن المال أودع في مصرف في فرنسا. أدخل المدير إلى السجن واشترى روبنشتاين ١٥٠ ألف سهم أخرى.

وكانت الشركة التعدينية التي صادرها بهذه الطريقة تساوي ستة ملايين دولار.

وأسرع روبنشتاين بالذهاب إلى اليابان مع آخر عشيقة له الهنغارية الجميلة التي كانت تسمي نفسها الكونتيسة ناتاشا. وباع المنجم الكوري إلى تجمع صناعي ياباني يرأسه أمير اليابان أيتو بمبلغ ٣,٥ مليون دولار مدفوعة بالين. وكان هناك شرط واحد ـ وهو أن المال سيبقى في اليابان التي كانت تعاني في العام ١٩٣٧ من أزمة اقتصادية طاحنة بسبب المقاطعة الصينية لها. واستعمل روبنشتاين نفوذه لتحويل مليوني دولار من الثمن إلى جنيهات أسترلينية وقام بتهريب المليونين الباقيين في الأحزمة العريضة التي كانت ترتديها نساء يابانيات استأجرهن لهذه الغاية. والنتيجة كانت أن النقد الياباني خسر ثلث قيمته.

وقام حاملو أسهم شركة التعدين البريطانية بملاحقة روبنشتاين أمام القضاء مطالبين بأموالهم. وعندما إستحقت المحكمة إلى القضية وجدت نفسها أمام عملية إحتيال وتبديد معقدة وإن الموجودات توزعت بين شركات مختلفة في كل من نيويورك ولندن وطوكيو.. وإن جزءاً كبيراً منها ضاع من خلال هذه التوزيعات المريبة. ومع إن العملية كلفت روبنشتاين حوالي المليون دولار لإنه حقق إرباحاً سريعة فاقت الثلاثة ملايين دولار.

في العام ١٩٣٨ انتقل روبنشتاين إلى الولايات المتحدة. ونجح بذلك عندما أعلن نفسه مواطنا برتغاليا يدعى سيرج مانويل روبنشتاين دي رونيللو، وشرح أن أمه روسية وأبوه نبيل برتغالي. وبالفعل اشترى جواز سفر لإثبات ذلك في شانفاي بمبلغ ألفي دولار. فغضب أخوه جداً وحاول أن يدعي عليه لجهة التشهير

بأمه.. ولكن هذه سامحته لأنها كانت تقيم في منزله عند مقتله.

وفي وول ستريت تابع روبنشتاين تضخيم ثروته وذلك عن طريق ما يعرف اليوم ب«التجارة في الداخل» ـ وهذا يعني معرفة التاجر مسبقاً بأن بعض الأسهم سترتفع فيعمد إلى شراء كميات كبيرة منها. كان روبنشتاين سعيداً بأن يدفع ثمن المعلومات.. وعندما أخبره مدير شركة «بروكلين مانهاتن للنقل» أن بورصة لندن ستستولي على الخطوط.. قام روبنشتاين بمنحه مبلغاً كبيراً من المال واشترى ٤٠ في المئة من أسهم الشركة. وأخبره المدير شيئاً آخر وهو أن حاملي الأسهم سيبيعون ما لديهم تعشرين دولار للسهم الواحد وأن الذين يرفضون قد يحصلون في ما بعد على ١٤٨ دولار للسهم الواحد.. وطبعاً لم يبع روبنشتاين وحقق في النهاية أرباحاً بلغت ٨٠٠ ألف دولار.. وكرر نفس المناورة عندما قررت وسترن يونيون الإندماج مع بوستال تلغراف وحصد يومها مبلغ مليوني دولار.

وفي صفقة لاحقة اشترى أسهماً كثيرة من شركة التكرير والإنتاج التي كانت تنتج وقود الطائرات ـ الضروري للمجهود القربي.. ويومها نشر معلومات مزوّرة رفعت أسعار الأسهم عالياً وباع هو أسهمه بسعر متدنّ، وانعكست النتيجة على أسهم مشركة بانهاندل فخفضت قيمتها. ولاحقه حاملوا الأسهم وطلبوه بتعويض قدرة خمسة ملايين دولار. ولكنهم تراجعوا عندما وجدوا أنفسهم أمام عملية معقدة تعني أنهم مملوكين بنصف دزينة من الشركات الأخرى.

كان روبنشتاين يتمتع الآن بشمگار النجاح فهو إلى كونه لطيفاً ومتملقاً في آن، إلا إنه كان شخصية تجتذب النساء وإنه لم يكن

ليكتفي إلا بعشيقتين أو ثلاث في آن واحد.. وأحياناً بنصف دزينة منهن. وفي العام ١٩٤١ بدا وكأنه قرر أن يطوي صفحة عندما تزوج عارضة أزياء من نيويورك تدعى لوريت كولبرن - ويبدو أنها قبلت بإنذاره وهو أن عليها أن تتأقلم مع علاقاته الخاصة مع نساء آخريات.

وعشية زواجه، عام ١٩٤١، تعشى مع الرئيس روزفلت في البيت الأبيض.. وفي حفل الزواج الذي أقيم في الفندق شورهام في واشنطن كان بين المدعوين تسعة سفراء وعدد من رجالات الكونغرس ومجلس الشيوخ ومنتجي الأفلام وكبار الاقتصاديين في وول ستريت. دام الزواج ثمان سنوات وانتهى عندما وجد روبنشتاين نفسه في السجن.. بسبب عمليات الاحتلال الواسعة التي قام بها.

وهذا كان من مساوىء الإنتقال إلى الولايات المتحدة كما أدركه روبنشتاين في بداية الحرب. كان مطلوباً للخدمة العسكرية. وهو اشترى شركة طيران وقال أنها أساسية لتنمية المجهود الحربي.. وانغمس في الرشوة على أعلى المستويات.. وعندما انتهت الحرب كان روبنشتاين لازال مدنياً.

ولكن الحكومة كانت تتطلع الآن نحو فرصة لترحيله. وأخيراً تأكد أنه خلال صراعه العريض لأجل البقاء خارج الجيش، إنه أدلى بتصريح مزور وأعلن أنه كان يقوم بدعم ستة أشخاص عام ١٩٤٠ يفوق دخل الواحد منهم ١١ ألف دولار. وفي المحكمة أدرك أن الرجل الأقل شعبية على الإطلاق في الولايات المتحدة.. وقضت المحكمة بسجنه لمدة سنتين.

وعاد إلى وول ستريت في العام ١٩٤٩ ووجدت أن الأمور



المليونير سيرج روبنشتاين

تغيرت كثيراً وانقلبت ضده. ولم يراوي التعامل مع قرش كروبنشتاين.. وأجبر على العمل من خلال العملاء ـ أحدهم كان صديقا له من أيام الدراسة، بولندي، ويدعى ستانلي تي ستانلي.

واحدة من آخر عملياته التجارية الكبيرة شملت شركة ستانويل

للبترول والغاز ومقرها في تورنتو في كندا.. وكان يشرف عليها لي بروكس الذي رحب في العام ١٩٥٣ ببيع بعض أسهمه.

وكان ستانلي أراد أن تمر الصفقة من خلال شركة(بلير القابضة) وتقرب من مديرها المدعو فيرجيل داري قائلاً أن لديه زبون يطمح للسيطرة على ستانويل. وعرف فيما بعد أن الزبون هي شركة الضمان نورفولك ومسجلة في هافانا. وكانت واحدة من الشركات الكثيرة التابعة لروبنشتاين على الورق فقط.

وعندما أبلغ ستانلي أن روبنشتاين كان متورطاً في الصفقة أعلن بروكس عن عدم رغبته بالتعامل، وبأي شكل كان، مع الغشاش المعروف. ولكن ستانلي عمل على تطمينه وأخيراً تمت العملية.

ورفعت شركة بلير من قيمة الأسهم التي وضعتها في لاصفقة (ولم يتضح كيف تم ذلك بالتوافق مع روبنشتاين) والذي قام فيما بعد بملاحقتها ومطالبتها بمبلغ مليون دولار وأجبرها على الخروج من الصفقة - والتي كانت بدون شك هدفه..وتم تعيين مجلس مديرين لشركة ستانويل كانوا كلهم تقريباً من حلفاء روبنشتاين.

ويبدو أن الجزء الثاني من المخطط كان آستعمال ستانويل للغاز والبترول - وهي جزء من صناعة الزيت الكندية المزدهرة.. بهدف الإستيلاء على شركة زيت كندية آخرى هي:« ترانس بترول». ولكن تنفيذ هذا الجزء لم يتم أبداً. وقبل الشروع به كان روبنشتاين قد قتل.

تم تحديد وفاة روبنشتاين عند الساعة الثانية صباحاً. فقد سمعت أمه ضجيجاً وأصواتاً مرتفعة مصدرها غرفة ابنها.. نادت ولكن أحداً لم يجبها. فقد رأت شقيقتها، ٢٨ سنة، امرأة غريبة تتجول حول الغرفة في ساعات الصباح المبكرة.. ولكن التحقيق

كشف في وقت لاحق أن المرأة كانت في ثياب النوم تتفقد الأبواب.

واتضح أن سبب القتل لم يكن السرقة ـ ومع أن محفظة روبنشتاين فقدت، إلا أن أشياء ثمينة كانت لازالت في أماكنها ودون أن تمس.

وجدت الشرطة ألفي أسم في دفاتر عناوين روبنشتاين وحققت مع كل واحد منهم، ولكن دون التوصل إلى أي نتيجة. كانت هناك بعض البصمات فوق الشريط الذي كمم فم روبنشتاين، ولكنها لم تكن مسجلة في سجلات الشرطة.

وقبل مقتله بشهرين كان روبنشاين قد تعرض للضرب على يد رجلين في الشارع. وادعى يومها أنه لم يستطع التعرف إليهما. وبعد أيام قليلة، قذف أحدهم رسالة ملفوفة بحجر باتجاه نافذته.. وفيما بعد ألقي القبض على ثلاثة رجال كانوا يحاولون ابتزاز مبلغ نصف مليون دولار من روبنشتاين. حكم على واحد منهم ولكن أفرج عنه بكفالة مالية بعد أيام ـ في الساحل الغربي ـ وفي الوقت الذي قتل فيه روبنشتاين.

وجاء من يخبر الشرطة كيف كان روبنشتاين يراقب ويتعقب رجلاً في الشارع ويلوّح له برزمة من الأوراق النقدية.. وعندما ركض الرجل ودخل كشك الهاتف أسرع روبنشتاين وراءه ورمى النقود فوقه.

وقيل يومها أن روبنشتاين قدم رشوة لرجل ولكنه ثار وغضب عند رفضها. واستنتجت الشرطة من ذلك أن روبنشتاين كان لديه سبب وجيه في أن يعرض على أحدهم مبلغاً كبيراً من المال، ولكن دون معرفة لماذا كان يفعل ذلك.

وكانت النشاء هي أوفر من يكسب في هذه الحالة، وتنتشر صورهن على صفحات الصحف النصفية إلى فندق أمباسادور في نيويورك لحضور حفل رأس السنة كانت تقيمه الفرقة الروسية البيضاء للباليه مع سبع فتيات جميلات. وكان معروفاً عنه أن لديه عاشقات كثيرات.. يترددن على شقته في الجادة الخامسة.. ويقوم بتغيير قفل الباب كلما ارتأى له أن يغير عشيقته بعشيقة أخرى. اهتدت الشرطة إلى ستة مفاتيح.. ولم تتمكن حملاتهن من إلقاء أي ضوء جديد على الجريمة.

آخر شخص ـ باستثناء القتلة ـ شاهد روبنشتاين كانت فتاة تعمل بائعة وتدعى أستيل غاردنر.. وكانت تتناول العشاء معه في مطعم غالٍ في شارع ٥٨ شرق. وهما كانا غادرا المكان قبل الواحدة صباحاً ووافقت أستيل أن ترافقه إلى شقته وتمضي معه الليلة. ولكنها تركته بعد نصف ساعة. وبدا أنه خلال العشاء أجرى روبنشتاين عدداً من الاتصالات الهاتفية، منها اتصال مع صديقته باتريسيا راي. وعندما غادر المطعم شاهد الخدم رجلين كانا يجلسان إلى طاولة قريبة منه، فخرجا بعده. واعتقد موظفو المطعم أنهما كانا يراقبان روبنشتاين طوال الوقت.

وبعد أن غادرت أستيل عند الساعة الواحدة والنصف اتصل روبنشتاين من جديد بباتريسيا وحاول إقناعها بأن تحضر فوراً إلى غرفته. تذرعت بأن لديها ما يمنعها أن تأتي في ذلك الوقت.. وعندئذٍ وصل القتلة.. ومن واقع ضربهم له، يبدو أنه عرفهم.

كان لي بروكس من شركة ستانويل للبترول متهماً طبيعياً ومنذ أن تأكد له أن روبنشتاين كان وراء إخراجه من الشركة وتبديد أسهمه. وكان بروكس قد استجوب قبل عشر سنوات في حادث

مقتل تاجر أقمشة يدعى ألبير لاتغفور.. وهذا ما دعا الشرطة لتضاعف اهتمامها بامره. ولكن لمحققين لم يفلحوا في إقامة أي علاقة بين لي بروكس وموت سيرج روبنشتاين.

وفي شباط/فبراير ١٩٥٥، قال مخبر للشرطة في السجن أنه يعتقد أن موت روبنشتاين حدث كنتيجة لمؤامرة اختطاف. وأوصلت خبرية المخبر الشرطة إلى مجرم يدعى هير من شولز،ويعمل حالياً كسائق. وفي منزل هولمز في كوينز، وجدت الشرطة مخزناً للاسلحة ومجموعة كاملة من قصاصات الصحف حول موت روبنشتاين، إضافة إلى حبال وأشرطة لاصقة من النوع الذي استعمل لربط روبنشتاين وتكميمه. اعترف شولز أنه كان ينوي اختطاف روبنشتاين ولكن ذلك كان قبل سنتين، ومع أنه جدد اهتمامه بالموضوع، ولكن لديه ما يدل ويؤكد على أنه لم يكن في مكان حدوث الجريمة في تلك الأمسية. وأخيراً كانت الشرطة مجبرة على إخلاء سبيله.. ومن نظرياتها أن أحداً نقل الخطة عن شولز وذهب لينفذها، ولكن روبنشتاين مات فعلاً في معركة.

وكانت هناك مفاجأة أخرى للجالية الاقتصادية عندما تمّ تقييم أملاكه بمليون دولار فقط.. ولكنالذين عرفوا جيداً يقولون أنه كان يملك عشرة أضعاف ذلك المبلغ. فماذا حدث للملايين التسعة الأخرى؟ وهل تراه وجدت فعلاً؟ وإذا لا، فهذا يدل على أن روبنشتاين كان واحداً من أكبر الغشاشين في تاريخ الاقتصاد الحديث.

١١

لغز زودياك

مابين العشرين من كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨، والحادي عشر من تشرين الأول/اكتوبر ١٩٦٩، تلقت الشرطة خمس رسائل موقعة باسم «زودياك» وكان قد ارتكب خمسة جرائم وأصاب شخصين آخرين بجراح بليغة.

فمساء العشرين من كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨، توقفت سيارة كبيرة فيها عاشقان شابان عند تلال فاليجو المطلة على سان فرانسيسكو. ولم ينتبه ديفيد فارادي وصديقته بتيلو جنسن إلى السيارة البيضاء التي تقدمت وتوقفت على مسافة عشرة أقدام منهما. ولم يخرجهما مِن استغراقهما سوى صوت رصاصة انطلقت فحطم زجاج السيارة الخلفي وتلتها رصاصة أخرى انغرزت في جسم السيارة.. فتحت الفتاة الباب وارتمت إلى الخارج.. وفيما كان الفتى يحاول اللحاق بها.. عاجله الجاني برصاصة أصابته في رأسه ووقع فوق المقعد. وفيما كانت الفتاة تركض وتصرخ لحق بها القاتل وأطلق عليها خمس طلقات فوقعت.. وعاد هو إلى سيارته وانطلق بها.

وتعد خمس دقائق مرت سيارة أخرى بالمكان الذي يتمدد فيه القتيلان. كانت السائقة امرأة، هذه المرأة.. شاهدت بتيلو ممددة على الأرض ولكنها لم تتوقف.. بل زادت من سرعتها باتجاه سبنيكا، أقرب المدن في طريقها.. وعندما رأت ضوء الشرطة الأخضر قادماً باتجاهها، ردت عليه باشارة لتجذب انتباهه.. وبعد ثلاثة دقائق وصل الضابطين إلى محطة البنزين حيث وجدا أن ديفيد لازال حياً وأن بتيلو قد ماتت.. ولكن ديفيد عاد وما قبل وصوله ألى المستشفى بقليل.

كان الأمر محيراً.. فمحفظة الفتى لم تمس والفتاة لم تتعرض لاعتداء جنسي. وخلص التحقيق، في بدايته، إلى أن أحد الغيورين قام بقتلهما.. فهما كانا طالبين، وحياتهما عبارة عن كتاب مفتوح.

وفي ٤ تموز/يوليو، عاد المختل العقلي إلى الصيد مرة ثانية. ففي موقف سيارات يبعد ميلين فقط عن المكان الذي قتل فيه الشاب والفتاة، كانت تجلس عاملة حانة، ٢٢ سنة، تدعى دارلين فيرني، في سيارة صغيرة مع صديقها مايك ماجو. وهما أيضاً لم ينتبها عندما مرت بهما سيارة بيضاء.. وكان في الموقف عدد آخر من السيارات. السيارة ابتعدت قليلاً ثم عادت وتوقفت على الجانب الآخر. وفجأة سقط عليهما ضوء كبير.. فظن ماجو أن هذا ضوء الشرطة وأسرع إلى تحضير رخصة القيادة. ولكن دوّى صوت نار وسقطت دارلين.. وبعد لحظات كانت رصاصة ثانية تمزق رقبة مايك. استدار الرجل نحو سيارته وأطلق على القتيلين أربع رصاصات أخرى وانطلق في سيارته بسرعة هائلة.

وبعد دقائق قليلة كانت عاملة التليفونات في شرطة فاليجو

تتلقى اتصالاً. وكان المتكلم رجلاً.. قال لها أن يريد أن يبلغ عن جريمة وقعت للتو في كولومبوس باركوي.. وأضاف: «ستجدون الفتيين في سيارة بنية: وقتلا بمسدس عيار ٩ ملم. وأنا أيضاً قتلت الفتيين الآخرين في العام الماضي. ودائماً».

وعندما وصلت الشرطة إلى موقف بلوروك وجدوا أن المتصل أخطأ في شيء واحد.. وهو أنه لم تكن هناك جريمة مزدوجة.. فمايك ماجو لازال حياً، مع العلم أن الرصاصة اخترقت بلعومه ومنعته من الكلام.

وفي هذا الوقت كان هناك زوج من الأدلة: فقبل أربعة أشهر كانت مربية دارلين قد أبدت قلقها من وجود سيارة بيضاء متوقفة خارج المنزل.. وعندما سألت دارين أجابتها: «أنه يلاحقني من جديد ولا يريد أن يعرف أحد ما رأيته يفعل. شاهدته يقتل رجلاً ما.» وصفته على أنه مستير الوجه، كستنائي الشعر، متوسط العمر.. وعندما صحا من غيبوبته وأصبح قادراً على لكلام أعطى نفس الأوصاف التي أعطتها المربية.

وبعد شهر، تلقت ثلاثة صحف رسائل مكتوبة بخط اليد تبدأ كالتالي: «عزيزي المحرر، هذا هو قاتل الفتيين يوم عيد الميلاد الماضي عند بحيرة هيرمن والفتاة يوم الرابع من يوليو». وتضمنت الرسائل معلومات مفصلة لم تترك أدنى شك بأن كاتبها هو القاتل نفسه. وطلب الكاتب بأن تنشر رسائله على الصفحة الأولى.. وهدد أنه إذا لم يتم ذلك فسيعمد إلى قتل المزيد من الفتيان في تلك الليلة. وكانت الرسائل موقعة مع مرز لصليب داخل الدائرة.

نشرت الرسائل كما طلب.. وحاولت الشرطة والخبراء الإهتداء إلى طريقة لتتعقبه.. ولكن بدون تنتيجة. إلا أن مدرساً يدعى دال

هارون اهتدى إلى فكرة البحث عن مجموعة من الشارات يمكن أن تتلائم أو تناسب كلمة «قتل».

وبعد عشر ساعات اهتدى الرجل وزوجته إلى فك رموز الرسالة. وفيها يقول «زودياك» أنه يفضل قتل البشر على الحيوانات لأن ذلك مسلياً أكثر. وادعى أنه قتل للتو خمسة أشخاص في منطقة خليج سان فرانسيسكو. وأضاف أيضاً أأنه عندما يولد من جديد في الفردوس فأن ضحاياه ستنتظره كعبيد له.

وكنتيجة لنشر الرسائل تلقت الشرطة أكثر من ألف اتصال وخطاب لم تؤكد إلى أية نتائج. ولكن رسالة رائعة وجهت إلى أحد الصحف تبدأ هكذا: «عزيزي المحرر.. زودياك يتكلم».. وتضمنت الرسالة تفاصيل دقيقة عن مقتل دارلين الأمر الذي لم يترك مجالاً للشك في أن زودياك.. هو القاتل.

وبعد شهرين، يوم ٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٦٩، ذهب زوجان شابان في نزهة على شواطىء بحيرة لاريسا، والتي تبعد ١٣ ميلاً شمال فاليجو.. والزوجان هما بريان هارتنل ٢٠ سنة، وسيسليا آن شيبرد ٢٢ سنة، وكلاهما طالبان في كلية اتحاد ألبا سيفيك.

وحوالي الرابعة والنصف لاحظ الزوجان رجلاً يمر قربهما.. مربوع القامة وبني الشعر.. دخل الغابة وعاد بعد دقائق يرتدي نواعاً من القناع وبيد بندقية.. وعندما اقترب منهما أكثر لاحظ على جبهته شارة هي عبارة عن دائرة في داخلها صليب.

اقترب منهما أكثر وقال: «أريد مالكما ومفاتيح السيارة». وقال هارتنل أنه لا يملك سوى ٧٦ سنتاً.. وبدأ الرجل يشرح لهما على أنه محكوم هارب. وقال لهما في النهاية أنه يريد تكبيلهما، فأخذ قماش وربطهما ثم رمى الرجل فوق المرأة بعد أن كل منهما كبل

الآخر. تحدثوا لعدة دقائق ثم أعلن لهما: «أني سأطعنكما». وقال هارتنل: «أطعنّي أنا أولاً. لا أستطيع رؤيتها تتألم». وأجاب الرجل: هذا ما ستفعله. ثم إنحنى على ركبتيه وطعن الزوج سبع مرّات في ظُهره. ثم انتقل وطعن المرأة خمس مرات في صدرها ثم قلبها وطعنها خمس مرات في الظهر. وانصرف.

وعثر عليهما صياد سمك في الحال بعد أن سمع الصراخ. كانا لا يزالان على قيد الحياة عندما وصلت شرطة نابا التي تلقت اتصالاً هاتفياً من مجهول.. قال: «أريد أن أبلغ عن جريمة مزدوجة». وحدد مكان «الجثتين».. ثم ترك الهاتف مدلّى.

ماتت سيسيليا شيبيرد وبعد يومين دون أن تفق من غيبوبتها. ولكن بريان هارتنل تعافى تدريجياً وأعطى أوصاف الرجل الذي هاجمهما. وعلى كان عرفت الشرطة هوية القاتل.. الذي كان رسم إشارة الصليب داخل دائرة على باب سيارتهما.

وأصبح لدى الشرطة هذه المرة دليل قوي على الأقل. فقد تمّ الإهتداء إلى التلفون المدلّى وكان عليه ثلاث بصمات.. والمؤسف أنها لم تكن مسجلة لدى الشرطة.

وبعد أسبوعين كانت فتاة في سن الأربعة عشرة تتطلع من نافذتها، عند تقاطع شارعي واشنطن وشيري في سان فرانسيسكو، فأدركت أنها أمام جريمة تتم فصولها بسرعة: فهي رأت رجلاً قوياً يجلس أمام عربة عبر الشارع يتحدث إلى السائق. وإذا بالرجل يدخل السيارة ثم يخرج بسرعة وقد ترك السائق مطروحاً في المقعد وراح يمسح الباب بقماشة. ثم استدار بهدوء وسار باتجاه الشمال.

استدعت الفتاة أخاها ليرى ما يحدث. وما إن ابتعد الرجل

حتى اتصلا بالشرطة. ولسوء الحظ فإن العاملة التي تلقت المكالمة قبل العاشرة مساءً وأخطأت ووضعت المهاجم على أنه رجل أسود.

وصلت الشرطة ووجدت سائق التاكسي، ٢٩ سنة ويدعى بول شتاين ميتاً على أثر إصابة برصاصة في رأسه. وبعد ثلاثة أيام تلقت صحيفة« سان فرانسيسكو كرونيكل» رسالة من زودياك يقول فيها: « أنا قاتل سائق التاكسي عند تقاطع شارعي واشنطن ومابل الليلة الماضية. وللتأكيد إليكم قطعة ملطخة بدمه من قميصه. وأنا نفس الشخص الذي قتل الزوجين في منطقة خليج الشمال.». وكان التوقيع كالعادة: دائرة في داخلها صليب. وآتضح أن يقع الدم على قطعة القميص هي من دم بول ستاني. وكانت الرصاصة التي قتلته إنطلقت من نفس المسدس الذي قتل دايفيد فارادي وبتيلو جنسن.

ورغم التهديدات، كان مقتل بول شتاين آخر جريمة رسمية مسجلة لزودياك. وبعد ١١ يوم من مقتل بول شتاين تلقت عاملة الهاتف في شرطة أوكلاند مكالمة تقول لها: «زودياك يتكلم.أود الاتصال بمل بلي.. وإذ لم يكن حاولي الاتصال بمل بلي..» والرجلان اللذان كان يشير إليهما زودياك من أشهر محامي الجنايات.

وافق مل بلي على الظهور في برنامج جيم دونبار الاستعراضي الإخباري عند الساعة السادسة والنصف صباحاً. وفي ذلك الوقت كان الأخبار قد انتشرت على طول الخليج واستيقظ كل الناس ليشاهدوا ماذا سيحدث.

وعند السابعة والدقيقة العشرين قال متحدث على الهاتف لبلي أنه زودياك.. ولكنه يفضل أن يناديه بام.. وقال «أنه مريض ومصاب بصداع». وهزت العاملتان في الشرطة رأسيهما وهما

كانتا تحدثتا إلى زودياك وقالت أن الصوت هو لفتى شاب على الأرجح وليس لزودياك.

وفي نفس الوقت استمر مراسلات الأخير.. وقال أنه قتل حتى الآن سبعة أشخاص، أي بزيادة شخصين عن الخمسة المعروف أن زودياك قتلهما. ويوم عيد الميلاد تلقى مل بلي بطاقة جاء فيها: «عزيزي مل. زودياك يتكلم. أتمنى لك عيد ميلاد سعيد. الشيء الوحيد الذي أسألك إياه هو هذا: أرجوك أن تساعدني. أني خائف. قد أفقد السيطرة على نفسي وارتكب الجريمة التاسعة والعاشرة». وكان مع البطاقة قطعة من قميص بول ستاين الملطخ بالدم للتعريف. وأكدت دراسة خبراء الخطوط أن حالة هذا المتخلف عقلياً بدأت تتدهور وتسوء.

ولعل أغرب فصول حكاية زودياك هو الفصل الأخير فيها:

في كانون الأول/ديسمبر، ١٩٨٠، روى موظف كان يعمل في مكتب المدعي العام في ساكرامنتو، روى لإبنه غاريت بن - كاتب يعيش في كاليفورنيا ويهتم بفك الشيفرة - ان هناك رسالة من زودياك لم تنشر بعد.. وهي تتضمن شيفرة من ٣٢ حرفاً.. ويرى أن شيئاً مهماً قد يكون فيها.

وبالفعل وضع غاريت بن كتاباً عن زودياك وقال: «ليس إنه كان بالضبط قاتلاً.. ولكنه برهن على إنه مثقف ووضع مخططاً عصرياً لم يدركه الناس في البداية.. ولعل كان هذا سره الأكبر كان يحمله في نفسه حتى الآن. وأنا، شخصياً، أقاسمه إيّاه».

ومن الطبيعي أن يكون أول عمل يقوم به غاريت بن الذهاب إلى مقر الشرطة.. وكان الكابتن كان تارلو، المحقق الوصيد الذي ما زال في عمله واول من حقق في جرائم زودياك.. فابدى على الفور

إهتماماً في الإكتشاف وكذلك فعلت صحيفة« سان فرانسيسكو كرونيكل». وأكد بن للصحيفة بإلا تنشر إسمه إذا إستعملت هذه المعلومات.. فهو لا يريد عائلته أن تصبح هدفاً للقاتل زودياك.

وأخبر بن الصحافي في كرونيكل إنه لاحظ شيئاً ما وأدركه الأخير إنه لاحظ نفس الشيء: وهو أن جميع الأمكنة التي ارتكب فيها زودياك جرائمه كانت مرتبطة بالماء. فالجريمتان الأوليتان إرتكبتا قرب مكان تجري فيه أعمال ضخ مياه. والجريمتان التاليتان تمتا قرب ينابيع الصخور الزرقاء... وكلاهما جريمتان أيضاً قرب بحيرة.. وسائق السيارة قتل أيضاً قرب مضخمة ماء لسيارة الإطفاء.

وكان بن قد إكتشف شيئاً هاماً حول الجريمة الأخيرة. فسلاح الجريمة مسدساً عيار ٠٣٨ وفي دفتر رحلته ذكر بول ستاين ملاحظ قال أنه سيأخذ مراكبه إلى زاوية شارعي مابل وواشنطن. وبالفعل وجدت السيارة على بعد أمتار قليلة، قريباً من مضخة مياه لاستعمال رجال الإطفاء.. عند تقاطع شارعي شيري وواشنطن. وفي لخطاب الذي تعترف فيه أنه قتل بول ستاين، قال زودياك إن إسم المكان كان مابل وواشنطن ـ وتماماً كما كتب ستاين.

وذهب بن إلى مكان الحادث ليرى إذا كان سيفهم التضارب. ثم أدرك أن الجمعَ ين مابل وشيري في واشنطن ستريت هم المجمع ٣٨٠٠ ـ وهذا يعني أن كل منزل في ذلك المجمع يبدأ بالرقم ٣٨ ٠ وزودياك قتل بول ستاين بمسدس عيار ٠٣٨ مع أنه طلب إليه أن يوقف سيارته عند مجمع أبعد ـ ومرة ثانية كان زودياك يلعب لعبته الحسابية الصعبة.

وفي هذه الحالة ماذا تعني المياه في الشيفرة؟ هل كان من

الممكن أن يكون إسم زودياك ووترز؟

كان هناك احتمال آخر، وربما أبسط. فصيغة الماء الكيماوي هيH_2O. والطريق الأسهل لكتابة هذه الصحيفة هيHOH. وهل يمكن أن تكون هذه هي الأحرف الأولى من إسم القاتل؟

واقترح عليه أحد أصدقائه اتجاهاً آخر. إن بناء الصور الهندسية الضخمة المنحدرات، كخطوط نازاكا في البيرو ـ يعرف بإسم فن شكل الأرض.. وربما كان زودياك نفسه مهتماً بهذا الفن. ويبدو أن هذا مؤكد مع واقع أن إتصالاته كانت تتم على بطاقات تحمل صورة للأرض أخذتها المركبة الفضائية أبولو ٩.

ولاحظ بن فيما بعد أن زودياك كان مهووساً بكلمة تايم (الوقت). كما لاحظ أيضاً أنه على الخريطة التي رافقت رسالة ماونت دمابولو ـ جبل الشيطان ـ فإن زودياك كتب مجموعة من الأرقام المماثلة لتلك الموجودة فوق ميناء الساعة. ففي الرسالة التي بعث بها إلى مل بلي كان هناك صورة لميناء الساعة. وفوق مسرح جريمته الألى ترك زودياك ساعة ماركة تايمكس متوقفة عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٢٢.

ومع أن الشرطة وصحيفة «كرونيكل» فقدت الاهتمام بابحاث بن عن زودياك ـ ليكن هناك شك بان ما يجري هو أقل من لعبة أرقام.. إنما هناك أناس كثيرون مهتمون بالبحث.

واعترف بن أن لديه مشكلة أساسية. فالشخص الذي يشك فيه لازال يعيش على الساحل الشرقي للمدينة حيث درس في جامعتها. والساحل الشرقي يبعد ثلاثة آلاف ميل عن الساحل الغربي. وهكذا بدأ من غير المحتمل أن يكون القاتل زودياك من سان فرانسيسكو قد عاش في الساحل الشرقي. وأقر بن: «إذا

حدث وكان ريدو مثل زودياك، ويكتب مثل زودياك أو كان له تاريخ سفر إلى كاليفورنيا أثناء حكاية زودياك، فعندئذٍ قد حان الوقت لأغطس رأسي في سطل مياه مثلجة».

وعند هذه النقطة، كشفت «سان فرانسيسكو كرونيكل» هوية بن. فقد وصف صحافي يدعى بيل والاس اكتشاف رسم الشعاع على الخريطة وقال أنه مقدم من غاريت بن، من سكان بلدة نابا.

غضب غاريت واتصل على الفور بالصحيفة وقال أنه قلق جداً. وباستثناء ذلك لم يكن قادراً على الحصول أي اعتذار من الصحيفة إياها.

وبعد خمسة أيام، جلس غاريت يقرأ متأخراً. وعند الواحدة والنصف صباحاً رنّ الهاتف وعندما أخذ السماعة ليرد.. سمع فقط خشخشة الاتصال. أقفل الخط. وبعد قليل رنّ الهاتف وسمع نفس الشيء.. وسجل في مفكرته: «لم أكن بحاجة كي أتحدث إلى الطالب لأعرف من هو».

وبالفعل سارع بن إلى إرسال بعض البطاقات ـ تتحدث عن اكتشافاته ـ على عنوان المتهم الذي يشك فيه في الساحل الشرقي.. وكانت كلها ممهورة بخاتم بريد نابا. وعرف متهمه الآن من هو؟

وبعد ذلك، قيل له أنه متهمه قد تشكى إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي حول موضوع البطاقات.. واستدعى امكتب بن على الفور إلى سان فرانسيسكو.. وأخبره أن المكتب تلقى شكوى حول ما يمكن أن يكون ابتزاز. فهل طلب بن مالاً من المشكوك فيه؟

وشرح بن أسبابه للاعتقاد بأنHOH كان القاتل زودياك.

وأخبره الضابط أن الشركة لا يمكن أن تصدق أن الأمر هكذا..لأن لديهم معلومات مفصلة تفيد بأن HOH يحمل دكتوراه وقام بالتدريس في عدد من المؤسسات التعليمية العالية. وهو متزوج.. وملامحه النفسية تقول أن المتزوجين لا يقدمون على ارتكابه جرائم بالجملة. (ولكن بن قوّض هذه النظرية وأعد قائمة فيما بعد باشخاص قتلوا بالجملة وكانوا متزوجين).

وتوصل بن والمكتب إلى تفاهم.. فارسل لهم بن كل ما لديه عن المتهم.. ولكنه لم يعد يسمع منهم شيئاً.

وفي ٢٢ حزيران/يونيو ١٩٨١ رنّ هاتف بن بعد الظهر ثانية عند الساعة الواحدة ولانصف بعد الظهر. وسأله المتحدث: هل جيم هنا؟ قال بن.. لا. الرقم غلط. وعند الثالثة صباحاً نظر بن من نافذته.. وشاهد أن الجانب الشرقي من الجبال المحيطة بوادي نابا تلتهب. وعلى الفور جاءت الطائرات وألقت الماء على النار.

وعند الواحدة والنصف صباحاً رنّ الهاتف في منزل بن.. وسأله المتحدث؛ هل جيم هنا؟ وعندما قال له أن الرقم غلط.. قال الطرف الآخر: «أوه» وأقفل الخط.

واكتشف فيما بعد أن الحريق كان متعمداً وقام به بخرب زرع القنابل في المنطقة.. وكان عددها تسعة ومزودة بجهاز زمني معد للإنفجار عند الساعة الحادية والنصف.

وشعر بن أن الذي وضع القنابل هو نفس الشخص الذي اتصل به هاتفياً.. وأن وقت التفجير حدد الساعة الواحدة والنصف وكذلك الاتصال الهاتفي.

كل هذا زاد من دوامة الشك والإعتراض: فمتهم بن يقيم على

الساحل الشرقي وجرائم زودياك تتم على الساحل الغربي. واقنع بن صديقاً له أن يتصل بزوجة المتهم السابقة. بحجة إنه يريد فتح إعتماد مصرفي. وكان هدف سن أن يعرف منها إذا ما كان زوجها تواجد بشكل منتظم في كاليفورنيا في أواخر العام ١٩٦٩ ـ وهي الفترة التي وقعت فيها جرائم زودياك.

كان بن مقتنعاً بان زوودياك ارتكب جريمتين أخريتين ما عدا تلك التي اعترف بها. ففي ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٦. ذهبت فتاة تدعى شري بيتس إلى مكتبة كلية ريفر سبيل سيتي وأوقفت سيارتها الصغيرة في الخارج. وعندما عادت وجدت السيارة معطلة. اقترب منها رجل وعرض أن ينقلها. قبلت.. وعلى أمل أن يسير بها إلى المكان الذي تقف فيه سيارته.. ولكنه ابتعد بها مسافة أطول ثم تعارك معها وطرحها أرضاً وعمد إلى قطع عنقها.. ثم ترك ساعة تايمكس إلى جنب جثتها، متوقفة عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثانية والعشرين. وبعد شهر بعث برسالة إلى صحيفة «برس أنتربرايز» قال فيها: «الآنسة بيتس كانت حمقاء. ذهبت إلى الجزار كما يذهب الحمل».

وبعد خمسة أشهر نلقت الصحيفة رسالة من ثلاثة نسخ موجهة إلى مكتبها مع نسخة إلى الشرطة وأخرى إلى والد الفتاة وفيها: «بيتس كان يجب أن تموت. وستليها ميتات أخرى. وكانت النسخة الموجهة إلى والد بيتس موقعة بحرفZ أصغر من الحرف المعتاد. وكانت التطورات الأخيرة معقدة بقدر ما هي القصة معقدة بحد ذاتها.

ففي العام ١٩٨٧ أنجز غاريت بن كتابه: «الأوقات ١٧ ـTimes 17» وأنهاه بهذه الفقرة:

«عرّضت نفسي في هذا الكتاب إلى ملاحقات مدنية وإجرامية. وكان ذلك بهدف كشف الحقيقة وملابساتها جلست أبحث خمس سنوات وها أنا اليوم إلقي السلاح وأترك لك أيها القارىء أن تحكم عليّ. لقد شاهدت الدليل.. واستمعت بصبر وأنات لتفسيري لذلك الدليل ومهما كانت قيمته. وأترك لنا الأمر لتقرر إذا ما كانت الجهود المبذولة والمصاريف والأخطار التي تعرضت لها تستحق كل ذلك.

وفي شهر أيار/مايو ١٩٨٧، وبعد شهر فقط من نشر غاريت لكتابه، تلقى هذا الأخير دعوة من جيروم مالتز صاحب إذاعة في لوس أنجلوس يطلب إليه المشاركة في استعراض من سبع حلقات. وحضر بن واستضافه أنطوني هيلدر الذي كان مهتماً بفكرة اقناع HOH ليظهر في الحوار.. وبعد ٢٠ دقيقة فقط قال أن سؤاله الأخير هو: هل كان HOH على علم بنشر كتاب غاريت الأخير واتهم فيه بارتكاب جريمة قتل سبعة أشخاص أبرياء؟

ورفض HOH الدعوة إلى حوار مع غاريت على الهواء ولكنه أجاب على سؤال لماذا لم يلاحق بن ويتهمه بالتجريح والنقض، فقال أنه استشار محاميه الذين قالوا أنه لا يمكنه عمل ذلك لأنه فعلاً لم يتأذى من الإتهام.

وفيما بعد، استدعى HOH جيروم مالتز، صاحب المحطة، وتشكى من الأسلوب الملتوى الذي كان يعد لزجه في المقابلات الإستعراضية. وسئل مرة ثانية لماذا لم تيلاحق غاريت بن، فأجاب أن الملاحقة لن تجدي وأن أي إنذار قضائي غير ممكن التنفيذ.

وقام بن استشارة عدد من المحامين. وكلهم أخبروه أن إذا HOH يتقدم بدعوى ضده. يمكنه الحصول على إنذار قضائي

يطلب إليه ـ أي بن ـ ليس فقط أن يتوقف عن نشر الكتاب بل أن يشتري بنفسه كل نسخة باعها وفي النتيجة: «قد يتعرض لمتاعب اقتصادية ويسجن في حال بيع نسخة واحدة بعد صدور الأنذار القضائي».

وشرح HOH في رسالة إلى مالتز أن أحد مخاوفه أن يقوم أقرباء قتلى زودياك بالبحث عنه والإنتقام لأقاربهم وأكد بن أن كل ما على زودياك أن يفعله هو أن يثبت العكس ويؤكد أنه كان على الساحل الشرقي.

والأغرب من ذلك، هو أن HOH أنهى رسالة إلى مالتز طالباً إليه عدم «التسرع» بردة الفعل.

وبعد شهرين، اتصل صحافي من «هيرالدبوسطن» بمحامي HOH طالباً منه إجراء مقابلة مع الأخير. وقال المحامي أنه نصح موكله بعدم إعطاء المقابلات وعندما اتصل الصحافي بـ HOH في منزله الصيفي. وكان جواب HOH: «الناس يضعون الكتب عن البكتيريا.. ولكن لا أحد يجري مقابلة مع البكتيريا».. ثم انطلق يفسر للصحافي أنه لن يلاحق بن لأنه لا يستطيع البرهان على أن أضراراً لحقت به من جراء نشر الأخير كتابه المعروف (تايم ١٧ -Times 17).

وقال HOH للصحافي أن الملاحقة القانونية مكلفة جداً وأن مجرد فتح الملف قد يؤدي إلى إفلاسه..

وعندما حاصره الصحافي قال: «اعتقد أني قادر على دفع تكاليف ملاحقته. ولكن ليس لدي الوقت الكافي..' والوقت هو أثمن شيء حصلت عليه.»

وعلّق بن قائلاً أنه بعد قراءة كتابه، فإن أكثرية القراء سيجدون

ذلك التصريح على مستوى رفيع من الأهمية.

وفي ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٧، نشرت صحيفة «بوسطن هيرالد» مقالاً في صحيفتين تحت عنوان: «الكاتب يستهدف المحاضر في قضية زودياك». وتضمن المقال صورة لزودياك مأخوذة له عام ١٩٧١، وانطباع الفنان عن زودياك.

وكانت النتيجة برنامجين في راديو بوسطن بما فيها مقابلات مع غاريت بن وكان HOH لازال يرفض اتخاذ أي إجراء ضده.

في نيسان/أبريل عام ١٩٩٠، كان العمل بنظام التحديد كقانون ملاحقة قد انتهى في كاليفورنيا. وبعد أسبوع تم العثور على بقايا طالبة من بوسطن تدعى جوان وبستر في هاملتون. واتصلت صحيفة محلية بـ HOH تقول له أن بن يدعي أنه هو - أي HOH - الذي قتل جوان وسألته لماذا لا يقاضيه؟

وبعد سنتين، انتهى العمل بنظام التحديد في ماسو شاتس حيث عاش HOH وعلّم. أنجز بن تحديث كتابه وذلك من خلال إثارة السؤال لماذا لا تزال HOH يرفض مقاضاته. وكانت الخلاصة هو أن HOH سيسر عند التعرف إليه على إنه زودياك بالفعل. وكتب عدد كبير من القتلة الذي إرتكبوا جرائم بالتسلسل، كتبوا إلى الشرطة - ويبدو إنهم ظاهرين شعروا بالحاجة إلى التحدث عن«انجازهم» ولكن المشكلة إن كونهم قتلة مجهولين يعني أيضاً إلقاء القبض عليهم وإرسالهم إلى السجن. وتم التعريف بHOH على أنه زودياك بافعل عرف الرأي العام كل ذلك.. ومع ذلك لازال حراً.

6

أشهر الأسرار العالمية

1- أشهر السرقات

2- أشهر قصص الحب

3- أشهر الجواسيس

4- أشهر الجرائم

5- أشهر جرائم الحب

6- أشهر الجرائم الغامضة